

TALFAH

KUNTUM KHAYR UMMAH

V. 1

Princeton University Library



32101 072240433

من منشورات



كُنْتُمْ
خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
«أُولَئِكَ أَبْرَارٌ»

تأليف

خير الله طيفاح

الجزء الأول

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة المعارف - بغداد

١٩٦٤/١/١

Talfah, Khayr Allāh

خير الله طيفاح

Kuntum khayra ummah

كُنْتُمْ
خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
«أَوْلِيكَ أَبَائِي»

الجزء الأول

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة المعارف - بغداد

١٩٦٣



2276
.4655
.355

v. 1

فلسطين

مكتبة
مجلس بلدية
دمشق

دمشق

مجلس بلدية دمشق

دمشق



الاهدياء

الى الذين جادوا بأموالهم وأنفسهم من أجل
العروبة والاسلام اقدم كتابي هذا .

المؤلف

L-29-66 1985

المقدّمة

باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد : فاني أحمد الله الذي لا إله الا هو وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اختاره من خير امة اخرجت للناس ليبلغ رسالة رب السماء الى أهل البسيطة جمعاء . وأشهد أن امة العرب التي أنجبت محمداً هي الامة التي اجتباها ربها وخصها من بين امم الارض برسالة السماء لتبلغها للناس كافة ، فحملت الرسالة بصدق واخلاص ، وأدت الامانة كاملة غير منقوصة ، فكان من حقها أن تفخر وتعز بقوله جل وعلا : « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وقد اتخذنا هذه الآية الكريمة عنواناً لكتابنا هذا .

حقاً لقد آمن العرب بالله ايماناً لم تؤمن بمثله امة اخرى ، آمنوا به بجاهليتهم فعبدوه واتخذوا من أوثانهم وسيلة لتقربهم الى الله تعالى زلفى ، بينما عبدت الامم الاخرى أوثانها واتخذتها أرباباً من دون الله ، واليك قارئى الكريم ما قاله قس بن ساعدة الايادى حول وحدانية الرب بالحرف الواحد : « أيها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم شيئاً فانتفعوا ، ان من عاش مات ، ومن فات ، وكل ما هو آت آت ، مطر ونبات ، وأرزاق وأقوات ، وآيات " بعد آيات ، ان في السماء لحبراً وان في الارض لعبراً ، ليل داج وسماء ذات ابراج وأرض ذات فجاج ، ما لى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا ؟ . ' يقسم 'قس' قسماً لا خائن فيه ولا آتماً ان لله ديناً هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه ، ونبياً قد

آن آنه وأظلكم أوانه ، فطوبى لمن أدركه وآمن به وهداه ، وويل لمن خالفه-
وعصاه • «

وآمنت به بعد الرسالة السماوية فوحدته بالركن الاول من أركان-
الاسلام الحنيف : أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله -
آمنت بالرسالة الجديدة ايماناً مبعثه القلب الصافى والفكر النير وحملت
تلك الرسالة الى سكان المعمورة فأخرجتها من الظلمات الى النور وحررت
من سخافات الجهل وعبودية الاوثان فى ربع قرن ما يعجز عنه العالم بأجمعه
فى قرن كامل وفى ذلك يقول نابليون فى كتاب حاضر العالم الاسلامى :
« لقد حرر العرب من العالم فى ربع قرن ما يعجز عنه العالم بكامله فى
قرن كامل ، وما ذلك الا بفضل المبادئ الصحيحة التى استطاع محمد أن
يلقنها الى قلوب قومه العرب » •

والواقع أن العرب حملوا مشعل النور والحريية للعالم فأصبحت
حضارتهم تظلل رقعة الكون الممتدة من الصين شرقاً الى بحر الظلمات غرباً
ومن المحيط الهندى جنوباً الى أواسط أوروبا شمالاً فحق لهم أن يتباهوا
بقوله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » أجل لقد عرف البارى جلت
قدرته امة العرب وما حوته من مزايا وفضائل انفردت بها بين امم الارض
فخصهم برسالته ، فكانوا السابقين الى اعتناقها والحاملين لواءها والمبشرين
بدعوتها وخصهم أكثر فجعل لغة القرآن لغتهم ونبى الاسلام زعيمهم وكذا
الحلفاء والقادة والفتاحين والمؤمنين الاولين والانصار والمهاجرين فكافأهم
ربهم على سابقيتهم هذه بأن جعلهم السابقين الى اعتناق الدعوة والمقرين الى
رب السماء فقال جلت قدرته : « السابقون السابقون اولئك المقربون »

لم يختر البارى جل شأنه امة العرب بالذات لتحمل الرسالة دون
سواها ولم يختر محمداً منهم لمجرد الصدفة أو لاسباب عفوية كما يقول
المرجعون ، ولم يخصصهم بها لأنهم أحوج من غيرهم الى الاصلاح كما يقول

الشعوبيون والحاقدون لان المنطق يجانف هذا القول وذلك لان الامة المتخلفة حضاريا والعاجزة عن اصلاح نفسها لهي عن اصلاح غيرها أعجز فلا يصح أن يوكل أمر اصلاح الناس الى امة عاجزة عن اصلاح نفسها •

ومن يتصفح تأريخ العروبة يجده قد حوى من حميد الصفات ونيل العادات ومن معالم القوة والحيوية ما لم تحوها امة اخرى ، فالكرم صفة عربية أصيلة وهاك بعضا مما ورد في أشعار العرب عن الكرم • فهذا حاتم يقول لزوجته :

أماوى ان المال غاد ورائح وتبقى من المال الاحاديث والذكر
أماوى انى لا أقول لسائل اذا جاء يوما حل فى مالى النزر
وهذا هرم بن سنان أحد أجواد العرب فى الجاهلية بلسان أحد شعرائها :-

من يأت يوماً على علته هرماً يلق السماحة منه والندا خلقا
لو نال حى من الدنيا بمكرمة افق السماء لالت كفه الاقفا
واليك ما قيل عن معن بن زائدة أحد أجواد العرب فى الاسلام :-

الماعلى معن وقولا لقبره سقتك الغوادى مربعاً ثم مربعاً
فيا قبر معن أنت أول حفرة من الارض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف وارىت جوده وقد كان عنه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا
فتى عيش فى معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى وأصبح عرين المكارم أجدعا

ومن صفاتهم الاصيلا الجرأة والاقدام ، فتاريخهم ملئ بالآيات والعبير وهذا عترة يتغنى بلمعان السيوف لان بريقتها يحاكي ثغر حبيته المتبسم • فهو يقول :-

ولقد ذكرتكَ والرماحُ نواهلُ منى وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقميل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسّم
ومن صفاتنا أيضا حفظ العهد ووفائنا بالوعد ولك أيها القارئ الكريم
من وفاء السموأل بن عادياء بدروع امرىء القيسى بن حجر الكندى ما يفيد
• ويعنى •

ومن صفاتنا كذلك الإباء والشمم ولنا فى قصة كليب وائل ما يرينا الإباء
العربى بأبهى وأجلى مظهره •

وهناك صفات عربية أصيلة اخرى سنذكرها تفصيلا فى الباب الاول
من هذا الكتاب بعون الله •

أخى العربى : لقد تتبعت تاريخك فى أكثر من مصدر وقرأته فى
أكثر من لغة وأنا الآن أدون لك فيما يلى غيضا من فيض من مفاخر امتك
ودرر أمجادك لعل فيها ما يفيد اولئك التائهين المغفلين من أبناء امتنا •
ويجعله حجرا صلدا نلقم به أفواه الشعوبيين الحاقدين الذين كانوا ولا زالوا
العدو الاول لهذه الامة التى حباها الله بأجل المزايا واكرم الصفات ، والله
أسأل أن يهدينا الى ما فيه صلاح ديننا ودنيانا انه قريب مجيب •

المؤلف

الباب الأول

صفات العرب ومزاياهم

ذكرنا في المقدمة ان أمة العرب حباها الله بأجمل الصفات وخير العادات جعلت منها أمة بزت أقرانها وصيرتها خير أمة أخرجت للناس فاختارها ربها لتحمل رسالته دون سواها من أمم الأرض وها نحن نذكر تلك الصفات متسلسلة مع الامثلة مبتدئين بالوفاء عند العرب •

أولا - الوفاء عند العرب

قلنا ان الوفاء صفة عربية أصيلة واليك أيها القارئ بعض الامثلة على الوفاء عند العرب منها :-

١ - قوس حاجب بن زرارة :-

توالت على مضر الجذوبة والقحط سبع سنوات حتى كادوا يهلكون من شدة الجوع والعوز ، فلما رأى حاجب بن زرارة ، وهو سيد تميم وقتها ، وطأة ذلك على قومه صمم أن يأتي كسرى ملك العجم ليلتمسه أن يسمح لقومه بالافادة من خصوبة أرضه فلما أتاه شكاه اليه الجهد الذي أصابهم وأموالهم من قحط السنين الخوالى وطلب منه أن يأذن لهم فيكونوا في حد بلادهم كي يعيشوا ويحيوا فأجابه بأنه يخشى بأسهم ، فقال حاجب : اننى ضامن لك الا يفعلوا • 'يسئلك' أو يكدر صفو بلادك • قال كسرى : ومن لى بهذا ؟ قال حاجب : ارهنتك قوسى بالوفاء بما ضمنتك لك •

ولما جاء حاجب "بقوسه - وهو لا يعدو قوساً ووتراً - ضحك من كان

بمجلس الملك لما رأوه وقالوا : بهذه العصا تفي للملك بما ضمنته له ؟ فقال الملك : لا بأس عليه خذوها فان العرب امة عهد ووفاء • واذن لهم بدخول الريف •

ومكث بنو زرارة في ريف كسرى مدة ثم مات حاجب وخلفه ابنه ، وزال القحط وخرج بنو زرارة من بلاد كسرى قاصدين بلادهم التي أخضبت بعد جذب • فتذكر عطارذ بن حاجب قوس أبيه فقصد كسرى ليطلب منه القوس • فلما دخل عليه وكلمه في القوس قال له كسرى : ما أنت بالذي وضعتها عندي • قال عطارذ : أجل أيها الملك ما أنا بالذي وضعتها • قال : فما فعل الذي وضعتها ؟ قال : هلك وهو والدي وقد وفي لك بما ضمن عن قومه فرد عليّ رهنه • قال كسرى : ردوا عليه قوس أبيه انكم أصحاب وفاء •

٢ - قصة السموأل بن عاديا : -

لما أراد امرؤ القيس أن يمضى الى قيصر ملك الروم ليطلب منه النجدة ، أودع عند السموأل دروعا وسلاحاً وأمتعة تسوى ثمناً كثيراً ، فلما مات امرؤ القيس أرسل ملك كندة يطلب الودائع من السموأل ، فأبى أن يدفعها لغير صاحبها فعاوده فأبى وقال : (لا أعدر بذمتي ولا اخون امانتي ولا أترك الواجب عليّ لئلا تتحدث عنى العرب انى خفرت ذمتي وخنت امانتي ولو كان فى ذلك حتفى أو ذهاب ملكى)

فقصد ملك كندة السموأل بعسكره وأحاط حصنه الذى احتفى بداخله وامتنع به ، وحاصره الملك حصارا عنيدا لمدة طويلة ، وكان ابن السموأل خارج الحصن يقصد صيداً ، فلما عاد ظفر به الملك وأسره ، ثم طاف حول الحصن وصاح بالسموأل فأشرف عليه من أعلى الحصن فلما رآه قال له : ان ولدك قد أسرته وها هو ذا معى فان سلمت اليّ الدروع والسلاح خلّيتُ عنك وسلمت اليك ولدك ، وان أبيت ذبحت ابنك وأنت

تنظر اليه ، فاختر أيهما شئت • فقال له السموأل : (ما كنت لا خفر ذمامي .
وابطل وفائي من أجل ولد ، فاصنع ما شئت ، فذبح ابنه وحاصر الحصن .
أمدا طويلا ولما أعياه الامر رجع خائبا ، واحتسب السموأل ذبح ولده .
واعتبره ثمنا لوفائه جريا على عادة العرب النيلة • ولما جاء موسم الحج
وحضر ورثة امرىء القيس سلم السموأل اليهم الامانة وقال :
وفيت ' بادرع الكندي اني اذا ما خان أقوام وفيت '

٣ - مع النعمان بن المنذر :

خرج النعمان يوما يتصيد على فرسه اليعموم (الاسود) فأجراه على
اثر حمار وحشي فذهب به الفرس بعيداً وانفرد عن أصحابه ومطرت
السماء وراح يبحث عن ملجأ فوجد بيتا يسكنه رجل من طي اسمه حنظلة
ومعه زوجته ولم يكن للطائي من حطام الدنيا سوى شاة يعيش من لبنها
وهو لا يعرف النعمان ، غير انه قال لزوجته : أراه رجلا ذا هبة وما اخلقه
أن يكون رجلا شريفا • فقالت له عندي شيء من طحين ادخرته فاذبح
الشاة لاتخذ من الطحين خبز ملة - خبز يشوى بالجمر والرماد الحار -
فأخرجت المرأة الدقيق وخبزته وذبح الرجل الشاة بعد أن حلبها فاتخذ من
لحمها مرقة مطبوخة باللبن وأطعمها لضيفه وجعل يحدثه بقية ليله •

فلما أصبح النعمان لبس ثيابه وركب جواده ثم قال : « يا أخا طي
أنا الملك النعمان » ثم لحق الخيل ومضى نحو الحيرة ، ومكث الطائي بعد
ذلك زمنا حتى أصابته نكبة وجهد ، وساءت حاله ، فقالت له زوجته :
« لو قصدت الملك لاحسن اليك » فأقبل حتى انتهى الى الحيرة فوافق
مجيئه يوم بؤس النعمان فاذا هو واقف في خيله والسلاح • فلما نظر
اليه النعمان عرفه وساءه أن يأتي في مثل هذا اليوم ، فوقف الطائي بين
يدي النعمان فقال له النعمان أفلا جئت في غير هذا اليوم ؟ قال الطائي :-

أبيت اللعن وما كان علمي بهذا اليوم ! فقال النعمان : والله لو سئح لي في هذا اليوم ولدى قابوس لم أجد بدا من قتله • فاطلب حاجتك من الدنيا وسل ما بدا لك فانك مقتول ! قال أبيت اللعن وما أصنع بالدنيا بعد نفسي ؟ قال النعمان : لا سبيل اليها • قال الطائي : ان كان لابد فأجِلني حتى ألمَّ بأهلي فأوصي اليهم واهبيء لهم حالهم ثم انصرف اليك • قال النعمان : فأقم لي كفيلا بموافاتك فالتفت الطائي الى شريك بن عمرة أحد ندماء النعمان وهو واقف بجانب النعمان فقال له :

يا شريك" يا ابن عمره هل من الموت محاله
يا أخا كل مصاب يا أخا من لا أخا له
يا أخا النعمان فك اليوم ضيفاً قد أتى له

فأبى شريك أن يتكفله فوثب اليه رجل من كلب يقال له فراد بن أجدع فقال للنعمان : أبيت اللعن ! هو علي • قال النعمان : أفعلت ؟ قال : نعم فضمنه اياه ثم أمر للطائي بخسمائة ناقة فمضى الطائي الى أهله وقد جعل الاجل حولا من يومه ذاك ، الى مثل ذلك اليوم من السنة التي تليه • فلما حال اليه الحول وبقي من الاجل يوم " واحد ، قال النعمان لفراد : ما أراك الا هالكا غداً • فقال فراد :

فان يك صدر هذا اليوم ولي فان غداً لناظره قريب

فلما أصبح النعمان ركب في خيله ورَجَله مسلحاً كما كان يفعل حتى أتى الغريين فوقف بينهما وأخرج معه فراداً وأمر بقتله فقال له وزراؤه : ليس لك أن تقتله حتى يستوفي يومه فتركه • وكان النعمان يشتهي أن يقتل فراداً ليفلت الطائي من القتل ، فما كادت الشمس تجب وفراد قائم على النطع والسياف الى جنبه حتى أقبلت امرأته وهي تشد :

فيا عين ابكي فراد بن اجدع رهينا لقتل لا رهيناً مودعا

فبينما هم كذلك اذ بان لهم شخص من بعيد ، وقد أمر النعمان بقتل فراد • فقيل له : ليس لك أن تقتله حتى يأتيك الشخص فتعلم من هو ؟ فكف حتى انتهى اليه الرجل فاذا هو الطائي • فلما نظر اليه النعمان شق عليه مجيئه فقال له : ما حملك على الرجوع بعد افلاتك من القتل ؟ قال : ديني : قال وما دينك ؟ قال : النصرانية • قال النعمان : اعرضها علي • فعرضها عليه فتنصر النعمان وأهل الحيرة أجمعون وترك القتل منذ ذلك اليوم وأبطل تلك السنة وأمر بهدم الغريين وعفا عن فراد والطائي وقال : والله ما أدري أيهما أوفى وأكرم ؟ أهذا الذي نجا من القتل فعاد أم هذا الذي ضمن ؟ والله لا أكون الأم الاثنين • فقال الطائي :

ما كنت اخلف ظنه بعد الذي أسدى اليّ من الفعال الخالي
ولقد دعنتي للخلاف ضالتي فأبيت غير تمجدي وفعالي

٤ - قصة سفانة بنت حاتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فريقاً من جنده الميامين الى من لم يسلم من قبيلة طى يتقدمهم بطل العروبة والاسلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ففزع عدى بن حاتم وكان فى جاهليته من أشد الناس عداوة لرسول الله ، فزرع الى الشام وبقيت قبيلته فهجم علي بجنده واستاق خيلهم ونعمهم وأسر رجالهم وسبا نساءهم وأتى بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم • فلما عرض الاسرى على الرسول العربى الكريم نهضت من بينهم سفانة ابنة حاتم فقالت : يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد فان رأيت ان تخلي عنى ولا تشمت بى أحياء العرب ! فان أبى كان سيد قومه يفك العانى ويقتل الجانى ويحفظ الجار ويحمى الذمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشى السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد فى حاجة فرده خائباً أنا ابنة حاتم طى

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يا جارية هذه صفات المؤمنين حقاً

• ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه • خلوا عنها فان أباهما كان يحب مكارم الاخلاق • ثم أردف فقال : ارحموا عزيزا ذل وغنيا افتقر وعالما ضاع بين جهال • وامتنّ عليها فأطلق سراحها وقومها معها تكريماً لها ولايها • فاستأذنته بالدعاء له فأذن لها وقال لاصحابه : اسمعوا دعاءها ، فقالت : أصاب الله برك مواعده ولا جعل لك الى لثيم حاجة ولا سلب نعمةً عن كريم قوم الا جعلك سبياً في ردها اليه •

فلما أطلقها رجعت الى أخيها عدى وهو بدومة الجندل فقالت له : يا أخي ايت الرجل - تقصد محمداً صلى الله عليه وسلم - قبل أن تعلق حباله فاني رأيت هدياً ورأيت سيغلب أهل الغلبة ، ورأيت خصالاً تعجبني : رأيتهم يحب الفقير ، ويفك الاسير ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير • وما رأيت أجود ولا أكرم منه ، فان يكن نبياً فللسابق فضله وان كان ملكاً فلن نزال في عز ملكه •

فقدم عدى الى الرسول فأسلم وأسلمت سفانة وأسلمت طي باسلامهما وكان وفاء متقابلاً من الرسول العربي ، ومن الكريم عدى فمرحى لامة انجبتهما •

٥ - قصة عباس بن مرداس مع سجان عبيد الله بن زياد

تبع عبيدالله بن زياد الخوارج فحبسهم وحبس عباس بن مرداس معهم فرأى صاحب السجن شدة اجتهاد عباس وحلاوة منطقه فقال له : انى ارى لك مذهبا حسنا وانى أحب أن أصنع لك معروفا ! أفرأيت أن تركتك تتصرف الى بيتك أتدلج اليّ ؟ قال نعم فكان يفعل ذلك كل يوم • ولكن ابن زياد لج في حبس الخوارج وقتلهم فكلّم فى الرأفة بهم فليج وأبى وقال : أقمع النفاق قبل أن يظهر ، لهؤلاء كلام اسرع الى قلوب الناس من النار الى اليراع ، وفى ذات يوم قتل رجل من الخوارج رجلا

من الشرطة فقال ابن زياد : ما أدري ما أصنع بهؤلاء ! كلما أمرت رجلا
بقتل رجل منهم فتكوا بقاتله والله لاقتلن من فى حبسى منهم جميعا •

وكان السجنان قد أخرج مرداسا الى منزله كما كان يفعل ، فلما أتى
مرداسا الخبر تهيأ سحرا للخروج فقال له أهله : اتق الله فى نفسك فانك
ان رجعت الى السجن قتلت • فقال : انى ما كنت لالتقى الله غادرا فرجع الى
السجان فقال له : أما علمت بما عزم عليه صاحبك ؟ - يقصد زيادا قال
عباس : نعم • ولم يكن جزاؤك أن تعاقب بسببى •

فأصبح عبيدالله يقتل الخوارج ثم دعى بمرداس فلما حضر وثب
السجان فقبل قدم عبيدالله ثم قال : هب لى هذا • وقص عليه قصته فوهبه
له وعفا عنهما وهذا مثال آخر يرينا الوفاء كيف يكون •

٦ - قصة العجوز مع الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر رضى الله عنهم

خرج الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر رضوان الله عليهم قاصدين
حج بيت الله الحرام ففاتهم متاعهم فجاجعوا وعطشوا فمرّوا بعجوز فى خباء
لها فقال أحدهم هل من شراب ؟ قالت نعم • فأناخوا اليها وليس عندها
الا شويهة واحدة فقالت : هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى اهيبء لكم
ما تأكلون ، فقام اليها أحدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا
وأقاموا عندها حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا : نحن نفر من قريش نريد
هذا الوجه فاذا رجعنا سالمين بعون الله المى بنا فانا ان شاء الله صانعون لك
خيرا وارتحلوا •

فلما عاد زوجها أخبرته بما فعلت فاستحسن صنعها وبعد زمن
الجأتها الحاجة الى دخول المدينة فدخلها وجعلا يحطبان الحطب ويعيشان
منه ، فمرت العجوز ذات يوم ببعض طرق المدينة فاذا الحسن بن علي
واقف بباب داره فعرّفها وبعث اليها غلامه فدعا بها فقال لها : يا أمة الله

أُتعرِفيني؟ قالت: لا • قال: أنا ضيفك يوم ذبح الشاة • قالت: بأبي أنت وامي ثم اشترى لها عددا من شياه الصدقة وأمر لها بمقدار من الدراهم وبعث بها مع غلامه الى أخيه الحسين • فأمر لها بمثل ذلك وبعث بها مع غلامه الى عبدالله بن جعفر • فقال لها: بكم وصلك الحسن والحسين؟ قالت بكذا • فأمر لها بضعف عطيتهما وقال: لو بدأت بي لاتعبتهما في العطاء وهذا مثل آخر للوفاء •

٧ - قصة يزيد بن المهلب :

وَجِدَ الحجاج على يزيد بن المهلب فسجنه وعذبه واغرمه مالا كثيرا لا طاقة له به فتوسل يزيد بالسجان وهربا معا الى سليمان بن عبد الملك وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما وصل يزيد الى سليمان أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فأخبر الحجاج الوليد بذلك وكتب هذا الى أخيه بذلك ، أما سليمان فقد كتب الى أخيه يقول : يا أمير المؤمنين اني انما اجرتُ يزيد بن المهلب لانه هو وأبوه واخوته من أصحابنا قديما وحديثا ولم اجر عدوا لامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه واغرمه أربعة آلاف ألف درهم، ثم طالبه بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم وقد سار هذا الرجل اليّ مستنجريا من ظلم الحجاج فأجرتّه وأنا أغرم عنه ثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين ألا يخزيني في ضيفي فنعنم صنيعه وأهل الفضل هو • فكتب اليه الوليد : « لا والله لا أومنه حتى تبعث به اليّ في وثاق • فكتب اليه سليمان : ولئن أنا بعثته اليك لاجيئن معه • فأشددك الله الا تفضحني ولا تخفرنني ذمامي ، فكتب اليه الوليد والله لئن جئني لا أعفون عنه • فقال يزيد لسليمان : ابعتني اليه فاني لا اريد أن اوقع بينكما •

فأحضر سليمان ولده أيوب فقيده ودعا بيزيد فقيده أيضا ثم شد قيد هذا الى قيد هذا بسلسلة وغلها بغلين وحملهما الى الوليد وكتب اليه : أما بعد : يا أمير المؤمنين فاني قد وجهت اليك يزيدا وابن أخيك أيوب بن

سليمان ، وقد هممت أن أكون ثالثهما ، فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب قبله ثم اجعل يزيداً ثانياً ، واجعلني اذا شئت ثالثاً والسلام •

فلما دخل يزيد بن المهلب وأيوب بن سليمان على الوليد مقيدين بسلسلة اطرق استحياءً وقال : « لقد أسأنا الى سليمان ، اذ بلغنا به هذا المبلغ » • فأراد يزيد أن يتكلم ويحتج عن نفسه • فقال له الوليد : ما تحتاج الى الكلام فقد قبلنا عذرك ، وعلما ظلم الحجاج ، ثم أحضر حدادا وأزال القيد عنهما وأحسن اليهما ووصل بن أخيه بثلاثين الف درهم ووصل يزيد ابن المهلب بمثل ذلك وردهما الى سليمان وكتب الى الحجاج كتابا قال فيه : لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فايك أن تعاودني فيه بعد اليوم ، فسار يزيد الى سليمان بن عبد الملك ابن مروان في أعلى المراتب وأفضل المنازل وعاش شعثها بأمان •

٨ - نعمة عدوك قلادة في عنقي :

أرسل أبو جعفر المنصور الى شيخ من أهل الشام كان في بطانة هشام بن عبد الملك بن مروان فسأله عن تدبير هشام في حروبه مع الخوارج فوصف له الشيخ بعضها فقال : - رحمه الله - كذا ، وصنع - رحمه الله - كذا • فقال المنصور : قم عليك لعنة الله ، تطأ بساطي وترجم على عدوى • فقام الشيخ وقال وهو مولٍ : ان نعمة عدوك قلادة في عنقي لا ينزعها الا غاسلي • فقال المنصور : ارجع أيها الشيخ ، فرجع • فقال المنصور : أشهد أنك حر شريف ، ارجع الى حديثك ، فعاد الشيخ الى حديثه حتى اذا فرغ دعا له بمال فأعطاه • فقال الشيخ : والله يا أمير المؤمنين ما لي اليه حاجة : ولقد مات عنى من كنت بذكره اغنى فما أحوجنى الى وقوف على باب أحد بعده • فقال المنصور : لله أنت فلو لم يكن لقومك غيرك لكنت أبقيت لهم مجدا وعزا باقيا •

قال صاحب شرطة المأمون : دخلت يوماً على أمير المؤمنين ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد ، فلما رأي المأمون قالى لى : يا عباس ، قلت لبيك أمير المؤمنين ! قال : خذ هذا الرجل اليك واحفظه عندك وبكر به الي من الغد . فدعوت جماعة فحملوه لان الغل قد منعه من الحركة . فقلت فى نفسى : يجب أن يحفظ هذا فى بيتى ، فأمرتهم فتركوه فى مجلس بدارى ، ثم أخذت أسأله عن قصته وعن حاله ومن أين يكون ؟ فقال : أنا من دمشق وأهلها خيرا . فقلت : من أنت من أهلها ؟ . قال : وعمن تسأل ؟ . قلت : أتعرف فلانا ؟ قال : ومن أين تعرفه ؟ قلت : وقعت لى معه قصة ، قال : ما كنت بالذى يعرفك خبره حتى تعرفنى قصتك معه !

قال صاحب الشرطة : كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى أن الوالى تدلى بزنبيل من قصره وهرب هو وأصحابه ، وكنت من جملة الهاربين . فبينما أنا هارب فى بعض الدروب ، اذ بجماعة يعدون خلفى ، فما زلت أعدو أمامهم حتى فهمت فمررت بهذا الرجل الذى ذكرته لك وهو جالس بباب داره فقلت : أغثنى أغاثك الله ! قال : لا بأس عليك ، ادخل الدار ، فدخلت ، فقالت زوجته : ادخل تلك المقصورة فدخلتها . ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل والرجال معه يقولون : هو والله عندك . فقال : دونكم الدار ففتشوها ، ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامراته فيها . فقالوا : هو فى المقصورة . فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا . وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم ارتجف من شدة الخوف وما تحملنى رجلايا . فقالت المرأة . اجلس لا بأس عليك فجلست فلم البث حتى دخل الرجل فقال : لا تخف قد صرف الله عنك شرهم ، وصرت الى الامن والدعة .

فقلت له جزاك الله خيرا • ثم ما زال يحسن معاشرتي وقد أفرد لي مكانا في داره ، ولم يفتر عن تفقد أحوالي •

فقت عنده أربعة أشهر في أرغد عيش وأهنئه الى أن سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها • فقلت : أتأذن لي بالخروج حتى اتفقد حال غلماني فلعلى أظف منهم على خير ؟ • فأخذ عليّ الموائيق بأن أرجع اليه • فخرجت وطلبت غلماني فلم أجد لهم أثرا ولا خبرا • فرجعت اليه وأعلمته امرى - وهو مع هذا كله لا يعرفني ولا يسألني ولا يكلمني الا بالكنية - فقال : علام تعتزم ؟ قلت عزمت على التوجه الى بغداد • فقال : القافلة بعد ثلاثة أيام تتحرك الى بغداد وعندها اخبرك • فقلت له : انك تفضلت عليّ هذه المدة ولك عليّ عهد لا أنسى لك هذا الفضل ما حييت ، ثم دعا غلاما له أسود وقال له : اسرج الفرس ثم جهز آلة السفر ، فقلت في نفسي : اظنه يريد الخروج الى ضيعة أو ناحية من النواحي ! فأقاموا يومهم ذاك في كد ووتعب •

ولما حان يوم خروج القافلة جاءني سحرا وقال : قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها • فقلت في نفسي : كيف أصنع وليس معي ما اتزود به ولا أكثرى به مركوبا ، ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان أفخر الثياب وخفين جديدين وآلة سفر كاملة ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في روسطى ثم قدم لي بغلا محملا بصندوقين وقدم لي كذلك فرسا وقال : اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك • وأقبل هو وامرأته يعتذران اليّ من التقصير في أمرى • وركب معي يشيعني ، وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره لأفي له بمجازاته ومكافأته ولهذا أسأل عنه •

فلما سمع الرجل حديثي قال : لقد أمكنك الله من الوفاء له ومكافأته على فعله ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك • فقلت :

وكيف ذلك؟ قال: أنا ذلك الرجل • وإنما الضر الذي أنا فيه غير عليك
حالي وما كنت تعرفه منه • فما تماكنت ان قمت وقبلت رأسه • ثم قلت له :
فما الذي أشارك الى ما أرى؟ فقال: هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي
كانت في أيامك فنُسبت اليّ، وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد
وأخذت أنا وضربت الى أن أشرفت على الموت وقيدت وبعث بي الى أمير
المؤمنين وأمرى عنده عظيم وخطبى لديه جسيم وهو قاتلى لا محالة •

وقد اخرجت من أهلى بلا وصية وقد تبغى من علمانى من ينصرف
الى أهلى بخبرى وهو نازل عند فلان فأن رأيت أن تجعل من مكافأتك لى أن
ترسل من يحضره حتى أوصيه بما أريد؟ فان أنت فعلت ذلك جاوزت حد
المكافأة وقمت لى بوفاء عهدك؟ قلت يصنع الله خيرا • فأحضرت حدادا فك
قده وادخل الحمام والبس أفخر الثياب وارسل من يحضر ولده، فلما
رآه جعل يبكى ويوصيه • فاستدعى العباس نائبه وقال: عليّ بالافراس
والهدايا ثم أمره أن يتبعه الى حدود الانبار • فقال له: ان ذنبى عند أمير
المؤمنين عظيم وخطبى لديه جسيم، وان أنت احتججت بأنى هربت بعث
فى طلبى كل من يباه فاردد واقتل • فقال العباس: انجُ بنفسك ودعنى
ادبر أمرى • فقال: والله لا أبرح بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان
احتجت اليّ حضرت •

فقال العباس: ان كان الامر على ما تقول فلتكن فى مكان كذا • فان
أنا سلمت غداة غد أعلمتك، وان أنا قتلت فقد وفيتك حقك كما وفيتنى •
فتفرغ العباس لنفسه وجهر له كفنا •

قال العباس: فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون فى طلبى
وهم يقولون هات الرجل معك وقم • فتوجهت الى دار المأمون فاذا هو
جالس ينظر فقال: أين الرجل؟ فسكت، قال ويحك أين الرجل؟ فقلت

يا أمير المؤمنين اسمع مني • فقال : لله عليّ عهد لئن قلت انه هرب لاضررب
عنقك • فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ما هرب ولكن اسمع حديثي وحديثه
ثم شأنك وما تريد أن تفعله في أمري قال : قل • فقلت : يا أمير المؤمنين
كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة كاملة وعرفته اني
أريد أن أفي له واكافئه على فعله معي وقلت : أنا وسيدى أمير المؤمنين بين
أمرين : أما ان يصفح عني فأكون قد وفيت وكافأت ، وأما أن يقتلني فأفيه
بنفسى • وقد تحنط وهذا كفى يا أمير المؤمنين • فلما سمع المأمون حديثي
قال : لا جزاك الله عن نفسك خيرا انه فعل لك ما فعل من غير معرفة ،
وتكافئه بعد المعرفة بهذا ؟ هلا عرفتني خبره فكنا نكافئه عنك ولا نقصر في
وفائك له •

فقلت : يا أمير المؤمنين انه هنا وقد حلف الا يبرح بغداد حتى يعرف
سلامتي فان احتجت الى حضوره حضر • فقال المأمون : وهذه منه أعظم من
الاولى : اذهب اليه الآن فطيب نفسه ، وسكن روعه واعتن به حتى
أتولى مكافأته •

فأتيته ، وقلت له : ليزل خوفك • ان أمير المؤمنين قال : كذا وكذا •
فقال : الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء سواه • ثم قام وركب •
فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحده حتى
حضر الغداء ، فأكل معه ، وخلع عليه ، وعرض عليه عمالة دمشق فاستعفى ،
وأمر له بصلة وكتب الى عامله بدمشق يوصيه به خيرا •

١٠ - محمد بن صالح وحمدونة بنت عيسى بن موسى :

قال ابراهيم بن المدبر جاني يوما محمد بن صالح بعد أن اطلق
سراحه من السجن فقال لى : اريد أن أخلو بك وانبتك عن أمرى شيئا
فقلت : افعل ، وصرفت الحاضرين وأخذ يحدثني فقال : خرجت في سنة

كذا وكذا ومعى أصحابى واستولينا على قافلة بعد أن هزمتنا أصحابها ، وبينما أنا مشغول فى حوزها اذ طلعت على امرأة ما رأيت قط أحسن منها وجهاً ولا أحلى منطقاً فقالت : يا فتى ان رأيت أن تدعو لى بالشريف المتولى أمر هذا الجيش ! فقلت : قد رأيته وسمع كلامك ! فقالت : بحق الله وحق رسوله أنت هو ؟ فقلت : نعم ، وحق الله وحق رسوله انى لهو ! فقالت : أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى ولابى محل من سلطانه ، ولنا نعمة ان كنت ممن سمع بها فقد كفاك ما سمعت ، وان كنت لم تسمع بها فسل عنها غيرى ، فو الله لا استأثرت عنك بشيء أملكه ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه علىّ وما أسألك الا أن تصوننى وتسترتى وهذه الف دينار معى لنفقتى فخذها وهذا حلى علىّ ثمنه خمسمائة دينار فخذها ، وما شئت بعده آخذها لك من تجار مكة أو المدينة أو أهل الموسم ، فليس منهم أحد يمنعنى شيئاً أطلبه ، وادفع عنى واحمنى من أصحابك ومن عار يلحقنى ، فوقع قولها من قلبى موقعا عظيماً ، فقلت لها : قد وهب الله لك مالك وخليك وجاهك ووهب لك القافلة بجميع ما فيها ، ثم خرجت فنادت فى أصحابى فاجتمعوا فقلت : انى قد أجزت هذه القافلة وأهلها وخفرتها وحميتها ، ولها ذمة الله وذمة رسوله علىّ ، فمن أخذ منها خيطاً أو عقلاً فقد اذنته بحرب فانصرفوا معى وانصرفت •

فلما أخذت وحبست فى عهد المتوكل جاءنى السجان يوماً وقال لى : ان بالبواب امرأتين تزعمان انهما من أهلك ، وقد حضر علىّ أن يدخل عليك أحد الا أنهما أعطتاني دملجا من ذهب وجعلتاه لى ان أوصلتهما اليك وقد أذنت لهما وهما بالدهلير فاخرج اليهما ان شئت •

ففكرت فيمن يجيئنى فى هذا البلد وأنا به غريب لا أعرف أحداً ثم قلت : لعلهما من ولد أبى أو بعض نساء أهلى فخرجت اليهما فاذا بصاحبتى ، فلما رأتنى بكت لما رأت من تغير خلقى وثقل حديدى ، فأقبلت عليها الاخرى

فقلت : أهو هو ؟ فقلت : أى والله انه لهو ! ثم أقبلت عليّ وقالت : فداك
أبى وامى والله لو استطعت أن أفيك مما أنت فيه بنفسى وأهلى لفعلت ،
فوالله لا تركت المعاونة لك والسعى فى حاجتك وخلصك بكل حيلة ومال
وشفاعة ، وهذه دنابير وثياب وطيب فاستعن بها على اصلاح وضعك ورسولى
يأتيك فى كل يوم بما يصلح حالك حتى يفرج الله عنك ثم أخرجت اليّ
كسوة وطيبا ومائتى دينار ، وكان رسولها يأتينى كل يوم بطعام نظيف
ويتواصل برها بالسجان فلا يمنع عنى شيئا اريده ، حتى من الله عليّ
بالخلاص فخطبتها فتزوجتها •

١١ - وفاة دلفاء لزوجها :

قال محدث سألت أبا الندى وهو محمد بن أحمد الفندجاني رجل
علم واسع ولغة وفهم ، وكان من أعلم من شاهدت بأخبار العرب فقلت :
هل تعرف من شعر الدلفاء بنت الابيض فى ابن عمها وزوجها نجدة بن
الاسود ؟ قال : نعم • كنت فيمن حضر جنازة نجدة حتى وضعناه فى قبره
واهلنا عليه التراب وصدرنا عنه غير بعيد فأقبلت نسوة يتهادين فيهن امرأة
قد فاقتهن طولا كالغصن الرطب ، واذا هى الدلفاء ، فأقبلت حتى أكبت على
القبر وبكت بكاء محسرا وأظهرت من وجدها ما خفن معه على نفسها فقلن
لها : يا دلفاء ، انه قد مات السادات من قومك قبل نجدة فهل رأيت نساءهم
قتلن أنفسهن عليهم ؟ فلم يزلن بها حتى قامت فانصرفت عن القبر ، فلما
صارت منه غير بعيد عطفت بوجهها نحوه وقالت :

سئمت حياتى حين فارقت قبره ورحت وماء العين ينهل هامله
وقالت نساء الحين قد مات قبله شريف فلم تهلك عليه حلاله
صدقن ! لقد مات الرجال ولم يمتم كنجدة من اخوانه من يعادله
فتى لم يضق عن جسمه لحد قبره وقد وسع الارض الفضاء فضائله

قال : فقلت : أحسنت والله يا أبا الندى وأحسنت فهل تعرف من
شعرها شيئاً آخر ؟ • قال : نعم • كنت ممن حضر قبر نجدة عند زيارة
الدلاء له في تمام الحول فرأيتها قد أقبلت على القبر ، وبكت بكاءً شديداً
ثم أنشأت تقول :

يا قبر نجدة لم أهجرك مقلية ولا جفوتك من صبرى ولا جلدى
لكن بكيتك حتى لم أجد مدداً من الدموع ولا عوناً من الكمد
وآيستنى جفونى من مدامعها فقلت للعين فيضى من دم الكبد
فلم أزل بدمى أبكيك جاهدة حتى بقيت بلا عين ولا جسد
والله يعلم لولا الله ما رضيت نفسى عليك سوى قتل لها يدي

قال : فقلت : أحسنت يا أبا الندى وأحسنت ° ، فهل تعرف من شعرها
شيئاً آخر ؟ قال : نعم • حضرنا في زمن الربيع ونحن في رياض خضرة
معبشة فركب الفتيان وعقدوا الريايات الصفر في القنا الحمر ، وجعلوا
يتجادلون • فلما أردنا الانصراف قال بعضنا لبعض : الا تجعلون طريقكم
الى الدلاء لعلها اذا نظرت اليكم تسلت بمن بقى عنم هلك • قال : فخرجنا
نؤمها فأصناها بارزة من خبائها وهى كالشمس الطالعة ، الا انه يعلوها
كسوف الحزن • فسلمنا عليها ، وقلنا : يا دلاء ! الى متى يكون هذا الوجد
على نجدة ؟ أما آن لك أن تتسلى بمن بقى من بنى عمك عنم هلك ؟
ها نحن اولاء سادات قومك وفتيانهم ونجومهم ، وفينا السادة والذادة والبأس
والنجدة ، فأطرت ملياً ثم رفعت رأسها باكية وقالت :

صدقتم انكم لنجوم قومي ليوث عند مختلف العوادلى
ولكن كان نجدة بدر قومي وكهفهم المنيف على الحبال
فما حسن السماء بلا نجوم وما حسن النجوم بلا هلال
ثم دخلت خبائها وأرسلت سترها فكان آخر العهد بها •

١٢ - قصة أبي حاضرة داعية عيسى بن زيد :

قال أبو العتاهية : حبسني الرشيد يوما لتركي الشعر ، وغلقت عليّ
الابواب • وحين ادخلت السجن دهشت كما يدهش مثلي في تلك الحالة •
ف نظرت فاذا رجل جالس في جانب من السجن مقيد ، فجعلت أنظر اليه
ساعة يتمثل بقوله :

تعودت حسن الصبر حتى الفته فأسلمني حسن الغزاء الى الصبر
وصيرني بأسي من الناس راجيا لحسن صنيع الله من حيث لا أدري

فقلت له : أعد - أعزك الله - هذين البيتين • فقال لي : ويملك يا أبا
العتاهية ما أسوأ أدبك ! وأقلّ عقلك ! دخلت عليّ السجن فما سلمت
تسليم المسلم على المسلم • ولا سألت مسألة الحر للحر ، ولا توجعت توجع
المبتلى للمبتلى ، حتى اذا سمعت بيتين من الشعر الذي لا فضيلة منك سواء ،
لم تصبر عن استعادتهما ولم تقدم قبل مسألتك عنهما عذرا لنفسك في
طلبهما !•

فقلت : يا أخي ! اني دهشت من هذه الحال فلا تعذلي واعذري
متمضلا • فقال : أنا والله بالدهشة والحيرة أولى منك • لانك حبست علي
أن تقول الشعر الذي به ارتفعت ، وبلغت ما بلغت واذا قلته أمنت ، وأنا
حبست علي أن أدل علي ابن رسول الله ليقتل أو يقتل دونه ، والله لا ادل
عليه أبدا • والساعة يدعي بي فاقتل فأينا أحق بالدهشة ؟

فقلت : أنت والله أولى ، سبلك الله وكفأك • ولو علمت ان هذه
حالك ما سألتك فقال : اذن لا أبخل عليك ثم أعاد عليّ البيتين حتى
حفظتهما • ثم سأله عن اسمه فقال : أبو حاضرة : داعية عيسى بن زيد •
قال : فلم نلبث الا قليلا حتى سمعنا صوت الاطفال تفتح فقام فسكب عليه

ماء في جرة كانت عنده ولبس ثوبا نظيفا ، ودخل الحرس ومعهم الشموع فأخرجونا جميعا • وقدم قبلى الى الرشيد فسأله عن أحمد بن عيسى • فقال : لا تسألنى عنه وافعل ما بدا لك فلو انه تحت ثوبى ما كشفت عنه • فأمر به فضربت عنقه ، ثم قال لى : أظنك يا أبا اسماعيل ارتعت ؟ فقلت : دون ما رأيته تسيل منه النفوس • فقال : ردوه الى محبسه فردونى •

١٣ - قصة الحرة المنبعة :

خرج دريد بن الصمة في فوارس من بنى جشم ، يريد الغارة على بنى كنانة ، فلما كان بوادٍ لهم ، رفع له رجل من ناحية الوادى ومعه ظعينة - امرأة - فلما نظر اليه قال : لفارس من اصحابه : صح به ان خل عن الظعينة ، وانج بنفسك وهو لا يعرفه فانهى اليه الرجل واليح عليه ، فلما أبى • التقى زمام الراحلة ، وقال للظعينة :

سبرى على رسلك سيرَ الأَمينِ سير رواح ذات جأش ساكن
ان اثنتائى دون قرن شائى ابلى بلائى واخبرى وعائى
ثم حمل على الفارس فصرعه ، واخذ فرسه فاعطاها للظعينة ، نبعث دريد فارسا آخر لينظر ما صنع صاحبه فرآه صريعا فصاح به فتصام عنه ، فظن انه لم يسمع فغشيه ، فالتقى زمام الراحلة الى الظعينة ثم حمل على الفارس فارداه وهو يقول :

خلِ سبيلَ الحرة المنبعة انك لاقِ دونها ربيعة
فى كفه خطية مطبعة اولاً فخذها طعنة سريعة
فالطعن منى فى الوغى شريعة

ثم حمل عليه فقتله : فلما ابطأ على دريد بعث فارسا آخر لينظر ما صنعا فانهى اليهما فرآهما صريعين • ونظر اليه يقود ظعنته ويجر

رمحه فقال له الفارس : خلّ عن الظئينة : فقال ربيعة لظئنته : اقصدي .
قصد البيوت ثم أقبل عليه وقال :

ماذا تريد من شتمِ عباسٍ الم ترّ الفارس بعد الفارس •
اردهما عامل رمح يابس • (الشتم = الاسد)

ثم طعنه فصرعه فانكسر رمحه ، فارتاب دريد وظن انهم قتلوا الرجل
واخذوا الظئينة ، فلحق بهم فوجد ربيعة بن مكدم لا رمح معه وقد دنا من
الحى ، ووجد أصحابه قد قتلوا جميعا ، فقال له دريد : أيها الفارس ! ان
مثلك لا يقتل ، وان الحيل نائرة باصحابها ولا ارى معك رمحا وارك
حديث السن ، فدونك هذا الرمح فاني راجع الى اصحابي فمشبطهم عنك •
فأتى دريد اصحابه فقال : ان فارس الظئينة قد حماها وقتل فوارسكم
واتزع رمحي ولا طمع لكم فيه فانصرف القوم وقال دريد :

ما أن رأيت ولا سمعت بمثله	حامى الظئينة فارساً لم يقتل .
اردى فوارس لم يكونوا نهزة	ثم استمر كأنه لم يفعل .
يزجى ظئنته فيسحب رمحه	متوجهاً عيناه نحو المنزل .
ياليت شعري من أبوه وامه	يا صاح من بك مثله لا يجهل .

وبعد زمن غار بنو مالك بن كنانة وهم قوم ربيعة بن مكدم • غاروا
على بني جشم - رهط دريد - ففتكوا فيهم وأسروا وغنموا وكان دريد بن
الصمة من بين الاسرى فأخفى نفسه عنهم ، وبينما هو عندهم اذ جاء نسوة
يتهادين فلما ابصرنه صرخت احدهن فقالت : هلكتم واهلكتم ماذا جرّ
علينا قومنا ؟ هذا والله الذي اعطى ربيعة رمحه يوم الظئينة • ثم التقت عليه
ثوبها وقالت : يا آل فراس انا جارة له منكم • هذا صاحبنا يوم الوادي .
فسألوه من هو ؟ فقال انا دريد بن الصمة فما فعل ربيعة بن مكدم ؟ قالوا :-

قتلته بنو سليم • قال : فمن الظئينة التي كانت معه ؟ • قالت المرأة : ريطة بنت جندل وانا هي ، فحبسه القوم وأمروا انفسهم وقالوا . لا ينبغي أن تكفر نعمة دريد عندنا ، وقال بعضهم : والله لا يخرج من أيدينا الا برضا المخارق الذي اسره فانبعثت المرأة بالليل تقول :

سنجزى دريداً عن ربيعة نعمة وكل فتى يجزى بما كان قدما
فإن كان خيراً كان خيراً جزاءه وإن كان شراً كان شراً مترجماً
سنجزيه نعمي لم تكن بصغيرة باعطائه الرمح السديد المقوما
فقد أدركت كفاه فينا جزاءه وأهل " بأن يجزى الذي كان انعماً
فلا تكفروه حق نعماء فيكم ولا تركبوا تلك الذي تملأ الضماً
فإن كان حياً لم يضق بثوابه ذراعاً غنياً كان أو كان مبرماً
ففكروا دريداً من أسار مخارق ولا تجعلوا البؤس الى الشر سلماً

فاصح القوم فتعاونوا بينهم فاطلقوه ، وكسته ريطة وجهزته ولحق يقومه وامتنع عن غزو بني فراس حتى هلك •

١٤ - قصة عمارة :-

كانت عند عبدالله بن جعفر جارية يقال لها عمارة ، وكان لها منه مكان لم يكن لاحد من جواريه ، فلما وفد عبدالله بن جعفر على معاوية خرج بها معه فزاره يزيد بن معاوية فرآها فلما نظر اليها وقعت في نفسه ، ولم يزل يكتُم الناس أمرها خشية من أبيه حتى مات معاوية وأفضى الامر اليه ، فاستشار بعض من قدم عليه من أهل المدينة ، وجميع من يثق به في امرها ، وكيف الحيلة فيها ؟ • ف قيل له : « ان امر عبدالله بن جعفر لا يرام بومنزله من الخاصة والعامة ومنك ما قد علمت ، وانت لا تستجيز اكرامه ، وهو لا يبيعها بشيء ابدأ وليس يغنى في هذا الا الحيلة » فقال : انظروا

رجلاً عراقياً له أدب وظرف ومعرفة ، فطلبوه فأتوا به ، فلما دخل رأى
بيانا وحلاوة وفهماً فقال يزيد : « انى دعوتك لامر ان ظفرت به فهو
حظك آخر الدهر وقد أ'كافئك عليها ان شاء الله ثم أخبره بأمره فقال له :
عبدالله بن جعفر ليس يرام ما فى قلبه الا بالحديعة ، ولن يقدر احد على
ما سألت ، فارجو ان اكونه والقوة بالله فاعنى بالمال • قال : خذ ما شئت ،
فأخذ من طرف الشام وثياب مصر ، واشترى متاعاً للتجارة من مال ودواب
وغير ذلك ثم شخص الى المدينة فأناخ بعرضة عبدالله بن جعفر واكترى
منزلاً الى جانبه ، ثم توسل اليه وقال : انى رجل من أهل العراق قدمت
بتجارة واحببت أن اكون فى عز جوارك وكنفك الى أن ابيع ما جئت به •

فبعث عبدالله بن جعفر الى قهرمانه ، ان اكرم الرجل ووسع عليه
فى منزله فلما اطمأن العراقي سلم عليه وعرفه بنفسه وهياً له بغلة فارهة
وثياباً من ثياب العراق والطاقاً أخرى بعث بها اليه وكتب معها : يا سيدى
انى رجل ونعمة الله علىّ سابقة ، وقد بعثت اليك بشيء من تحف وثياب
وعطر وبعثت بغلة خفيفة العنان وطيفة الظهر فاتخذها لركوبك ، فأنا
أسألك بقرابتك من رسول الله صلى عليه وسلم الا قبلت هديتى ، فإن
أعظم أملى فى سفرتى استفيد الانس بك والتحرم بمواصلتك •

فأمر عبدالله بقبض هديته وخرج الى الصلاة فلما رجع مر بالعراقي
فى منزله فقام اليه وقبل يده واستكثر منه فرأى أدباً وظرفاً وفصاحة
واعجب به وبنزوله عليه فجعل العراقي فى كل يوم يبعث الى عبدالله بهدية
طريفة فقال عبدالله جزى الله ضيفنا هذا خيراً فقد ملأنا شكراً وما نقدر
على مكافئته وبقي العراقي مستمراً على اهدائه من الظرف الى أن دعاه
عبدالله يوماً ودعا بعمارة فى جواريه فلما طاب لهما المجلس وسمع غناء

عمارة تعجب وجعل يزيد من عجبه فلما رأى ذلك عبدالله سر به الى أن قال له هل رأيت مثل عمارة قال لا والله يا سيدى ما رأيت مثلها وما تصلح الا لك وما ظننت أن يكون فى الدنيا مثل هذه الجارية • 'حسن' وجه وحسن عمل قال فكم تساوى عندك ؟ قال ما لها ثمن الا الخلافة قال : اتقول هذا لتزين لى رأياً فيها وتجتلب سرورى ؟ قال : لا يا سيدى والله انى لاحب سرورك ، وما قلت لك الا الجد ، وبعد فانى تاجر أجمع الدرهم الى الدرهم طلبا للربح ولو اعطيتها بعشرة آلاف دينار لاخذتها ، فقال له عبدالله : عشرة آلاف دينار ؟ قال : نعم • - ولم يكن فى ذلك الزمن جارية بهذا الثمن - فقال له عبدالله : انا أبيعها بعشرة آلاف دينار • قال العراقى : اخذتها ، قال : وقد وجب البيع وانصرف العراقى •

فلما اصبح عبدالله لم يشعر الا بالمال قد جىء به • فقيل له قد بعث العراقى بعشرة آلاف دينار وقال : هذا عن عمارة ، فرده وكتب الى العراقى يقول : انما كنت امزح معك ، ومثلى لا يبيع مثلها بكثير او قليل • فأجابه العراقى قائلاً : جعلت فداك ان الجد والهزل فى البيع سواء ، فقال له عبدالله : ويحك ما أعلم جارية تساوى ما بذلت ، ولو كنت بائعها من أحد لأترتك ولكنى كنت مازحاً ، وما ابيعها بملك الدنيا لحرمتها بى وموضعها من قلبى • فقال العراقى : ان كنت مازحاً فأنى كنت جاداً ، وما اطلعت على ما فى نفسك وقد ملكت الجارية وبعثت اليك بقيمتها ، وليست تحل لك وما لى من اخذها بد •

فمانعه اياها ، فقال له : ليست لى بينة ولكنى استحلقت عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره • فلما رأى عبدالله الجد قال : بس الضيف أنت ! ما طرقتنا طارق ولا نزل بنا نازل اعظم بلية منك • أتحلقتنى

فيقول الناس اضهد عبد الله ضيفه وقهره والجأه الى أن استخلفه • أما والله
تعلمن اني سأعتصم في هذا الامر بالصبر وحسن العزاء • ثم أمر قهرمانه
يقبض الثمن منه ، وتجهيز الجارية بما يشبهها من الخدم والثياب والطيب ،
فجهزت بنحو من ثلاثة آلاف دينار •

فأخذ العراقي الجارية وخرج بها ، فلما برز بها من المدينة قال :
يا عمارة اني والله ما ملكتك قط ، ولا أنت لي ، ولا مثلي يشتري جارية
بعشرة آلاف دينار ، وما كنت لاقدم على ابن عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاسلبه أحب الناس اليه ، لنفسى ولكنى دسيس من يزيد بن معاوية
وانت له ، وفي طلبك بعثنى ، فاستترى منى •

ثم مضى بها حتى ورد دمشق فتلقاء الناس بجنابة يزيد وقد استخلف
من بعده ابنه معاوية بن يزيد الاول • فأقام العراقي أياما ثم تطف
للدخول عليه وكان من ابرز رجال امية نبلاً ونسكاً ، فلما اخبره الخبر
قال : هي لك وكل ما دفعه أبى اليك من مهر فهو لك ، وارحل من يومك فلا
اسمع بخبرك في شيء من بلاد الشام •

فرحل العراقي ، ثم قال للجارية : اني قلت لك ما قلت حتى خرجت
بك من المدينة ، فاخبرتك انك ليزيد وقد صرت لي وانا اشهد الله انك
لعبد الله ابن جعفر وانى قد رددتك عليه فاستترى منى •

ثم خرج بها حتى قدم المدينة فنزل قريبا من عبدالله ، فدخل عليه
بعض خدمه فقال له : هذا العراقي ضيفك الذى صنع بنا ما صنع وقد نزل
العرصة لا حياه الله ، فقال عبدالله : مه ، انزلوا الرجل واكرموه ، فلما
استقر ، بعث الى عبدالله يقول : 'جعلت' فذاك ان رأيت أن تأذن لي أن
الشافهك بشيء فعلت ، فأذن له • فلما دخل سلم عليه وقبل يده ، فقربه

عبدالله منه ثم قص عليه القصة حتى اذا فرغ منها قال : قد والله وهبتها لك قبل أن أراها واضح يدى عليها ، فهي لك ومردودة عليك ، وقد علم الله تعالى أنى ما رأيت لها وجهاً الا عندك •

فبعث اليها فوجاءت وجاء بما جهزت به موقراً فلما نظرت الى عبدالله خرت مغشياً عليها ، فخرج العراقي وتصايح أهل الدار فرحين بعمارة ، فجعل عبدالله يقول ودموعه تجرى : أحلم هذا أم حقيقة ؟ ما اصدق عيني أبداً ، فقال له العراقي 'جعلت فداك قد ردها اليك ايثارك الوفاء ، وصبرك على الحق ، وانقيادك له •

فقال عبدالله ! الحمد لله ، اللهم انك تعلم انى تصبرت عنها وآثرت الوفاء ، وأسلمت لامرك ، فرددتها عليّ ، فلك الحمد حتى ترضى ، ثم قال : يا أخا العراق ما فى الارض منة اعظم مما مننت ، والله اسأل أن يجازيك عنا خير الجزاء •

واقام العراقي أياما ، وباع عبدالله غنماً بثلاثة عشر الف دينار وقال لقهرومانه : احملها اليه ، وقل له أن يعذر ولو انى وصلته بكل ما املك لرأيتة اهلا لاكثر من ذلك ، فرحل العراقي محموداً وافر المال •

ثانياً - حفظ العهد والجوار

ومن صفاتنا العربية الاصيلة التى نعز بها ونفخر حفظ الجوار والعهد وهاك قارىء الكريم بعضاً من امثلة لا تحصى عن العهد والجوار عند العرب •

١ - اجاره من الموت :

أتى الاعشى الاسود العنسى وقد امتدحه فاستبسطاً جائزته فقال الاسود : ليس عندنا عين" ولكن نعطيك عرضاً ، فاعطاه خمسمائة مثقال ذهباً ومثقالاً

عبراً ، فلما مر ببلاد بني عامر خافهم على ما معه فأتى علقمة بن علاثة فقال له : أجرني . فقال : اجرتك . قال : من الجن والانس . قال : نعم . ومن الموت ؟ . قال : لا . فأتى عامر بن الطفيل . قال : أجرني . قال : اجرتك . قال : من الانس والجن . قال : نعم . قال ومن الموت ؟ قال : نعم . قال : وكيف تجيرني من الموت ؟ قال : ان مت وانت بجوارى بعث بالدية الى اهلك . قال : الآن علمت انك اجرتني من الموت . ثم مدح عامراً وهجا علقمة . فقال علقمة : لو علمت الذي اراد اعطيته اياه .

٢ - اغاثة :

جاور رجلان من هوزان بنى مرة بن عوف وكانا قد اصابا دماً في قومهما ثم ان قيس بن عاصم المنقري اغار على بنى مرة فاصاب واحداً منهما في عدة اسارى كانوا عندهم ففدى كل قوم اسيرهم من قيس بن عاصم وتركوا الهوازني فاستغاث اخوه بوجوه بنى مرة : سنان بن حارثة والحارث بن عوف بن ظالم ، وهاشم بن حرملة ، والحصيني بن الحمام فلم يغنيوه فركب الى موسم عكاظ فأتى منازل مذحج ليلاً ونادى :

دعوت سناناً وابن عوف وحاتناً
واعليت دعوى بالحصين وهاشم
اعيدهم في كل يوم وليلة
بترك اسير عند قيس بن عاصم
حليفهم الادنى وجار بيوتهم
ومن كان عما سرهم غير نائم
فصموا واحداث الزمان كثيرة
وكم من بنى العلات من متصامم
فيا ليت شعري من لاطلاق غلثة
ومن ذا الذي يحظى به في المواسم

فسمع صوتاً من الوادى يردد هذه الابيات :-

الا ابهذا الذي لم يجب
عليك بحق يجلى الكرب
فانهم للرضا والغضب
وقيساً وعمر بن معد يكرب
فنادى يزيد بن عبد المدان
عليك بذنا الحى من مذحج

يفكوا اخاك بأموالهم واقفل بمثلهم فى العرب
اولاك الرؤس فلا تعدهم ومن يجعل الرأس مثل الذنب

فاتبع الصوت فلم ير احدا فغدا على قيس بن عبد يغوث المرادى
فاخبره خبره فقال له : والله ، ان قيس بن عاصم ما صنعت معه معروفاً قط ،
ولا هو لى بجار ، ولكن اشتر اخاك منه وعلى الثمن ولا يمنعك غلاؤه •
ثم اتى عمر بن معد يكرب • فقال له عمرو : هل بدأت بأحد قبلى ؟ قال :
نعم ، بقيس بن عبد يغوث • قال : عليك بمن بدأت به • فتركه وأتى
يزيد بن عبد المدان فأخبره امره فقال له يزيد : مرحباً بك واهلاً • ابعت
الى قيس بن عاصم فان هو وهب لى اخاك شكرته ، والا اغرت عليه يأتينى
بأخيك ، او وهبتك كل اسير من بنى تميم بنجران لتشتري به اخاك •
فقال : هذا الرضا ، فارسل يزيد الى قيس بن عاصم بهذه الايات :

يا قيس' ارسل اسيراً من بنى جشم انى بكل الذى تأتى به جازى
لا تأمن الدهر أن تشجى بغصته فاختر لنفسك احمادى واعزازى
فافكك اخا منقر عنه وقل حسناً فيما سئلت وعقبه بانجازى

وبعث بالايات رسولاً الى قيس بن عاصم فأشده اياها ثم قال له :
يا أبا على ! ان يزيد بن عبد المدان يقرؤك السلام ويقول لك : ان المعروف
فروض ومع اليوم غدٌ فاطلق لى هذا الجسمى فقد استعان بأشراف بنى مرة
وبعمرى ابن معد يكرب وبمكشوح المرادى فلم يصب عندهم حاجته ،
فاستجار بى ولو ارسلت الىّ فى جميع اسارى مضر لقصيت حاجتك •
فقال قيس لمن حضر مجلسه من بنى تميم : هذا رسول يزيد بن عبد المدان
سيد مذحج وابن سيدها ومن لا يزال له فيكم يدٌ ، وهذه فرصة لكم فما
ترون ؟ قالوا : نرى أن تغلى ثمنه عليه ، فانه لن يخذله ابدأ ولو أتى ثمنه
على ماله كله • فقال قيس : بئس ما رأيتم اما تخافون سجال الحروب
ودول الايام ومجازاة القروض •

فلما أبوا عليه قال : ببعونيه ، فاغلوه عليه ، فتركه في
أيديهم وكان أسيراً في يد رجل من بني سعد ، وبعث الى يزيد فاعلمه بما
جرى وان الاسير لو كان في يده ، او في يد منقرى لاخذه وبعث به ،
ولكنه في يد رجل من بني سعد ♦

فأرسل يزيد الى السعدى : أن ارسل الى بأسيرك ولك فيه حكمك ♦
فأتى السعدى يزيدا فقال له يزيد : احتكم ♦ فقال : مائة ناقة ورعاؤها ♦
فقال له يزيد : انك لتقصير الهمة ، قريب الغنى ، جاهل بأخطار بنى الحارث ،
أما والله لقد غنيتك يا أبا بنى سعد ، ولقد كنت اخاف أن يأتى ثمنه على
رجل أموالنا ♦ ولكنكم يا بنى تميم قصار الهمم ، وأعطاه ما احتكم وجاوره
الاسير واخوه حتى ماتا ♦

٣ - زفر بن الحارث يجير خالد بن عتاب :-

استعمل الحجاج خالد بن عتاب على بلاد الرى وكانت امه ام ولد أى
ليست عربية الاصل ، فكتب اليه الحجاج يسب امه ويقول : أنت الذى
هربت عن أبك حتى قتل - وكان خالد قد حلف الا يسب أحد امه الا اجابه
كأنما من كان - فكتب اليه خالد قائلاً : كتبت الى تشتم امى وتزعم انى
فررت عن ابى حتى قتل ، ولعمري لقد فررت عنه بعد أن قتل ، وحين لم
أجد لى مقاتلا ، ولكن أخبرنى عنك يا لئيم حين فررت انت وابوك يوم
الحرّة - موضع قرب المدينة وقعت فيه معركة فى عهد يزيد - فأيكما كان
إمام صاحبه ؟ ♦

فقرأ الحجاج كتاب خالد وقال : صدق وانشد يقول :

انا الذى فررت يوم الحرّة ثم نثيت كرة بفرّة

والشيخ لا يفر الامرة ♦

ثم طلبه ففر الى الشام بعد ان سلم بيت المال الى وكيله ولم يأخذ منه

شيئاً وكتب الحجاج الى عبد الملك بما كان ، فلما وصل خالد الى الشام سأل
عن خاصة عبد الملك فقيل له : روح بن زنباع ، فأتاه حين طلعت الشمس
فقال : انى جئتك مستجيراً • فقال : انى قد اجرتك الا أن تكون خالداً •
قال : فانى خالد • قال : انشدك الله الا خرجت عنى لانى لا آمن عبد الملك •
فبقى عنده حتى غربت الشمس فخرج خالد فأثنى زفر بن الحارث الكلابى
فقال : انى جئتك مستجيراً • قال اجرتك • قال : انا خالد بن عتاب قال :
وان كنت خالداً •

فلما اصبح دعا ابنين له فتهادى بينهما - وقد السن - فدخل على
عبد الملك فلما رآه دعا بكرسى له فجعله عند فراشه فجلس ثم قال :
يا أمير المؤمنين انى قد أجرت عليك رجلاً فأجرتنى • قال قد اجرته الا أن
يكون خالداً • قال : فهو خالد • قال : لا ولا كرامة •

فقال زفر لابنيه انهضانى • فلما ولّى قال : يا عبد الملك ، والله لو
كنت تعلم ان يدى تطيق حمل القناة لأجرت من أجرت ، فضحك عبد الملك
وقال : اجرناه وأمر خالد بالفى درهم وعفى عنه •

٤ - حدثنى عن أغرب ما مرّ بك :-

لما افضت الخلافة الى بنى العباس اختفى جميع رجال امية - ومنهم
ابراهيم بن سليمان - فشفع له عند السفاح بعض حرسه فاعطاه الامان ثم
أحله مجلسه وأكرم مثواه • وقال له السفاح ذات يوم : يا ابراهيم حدثنى
عن أغرب ما مرّ بك أيام اختفائك • فقال : كنت مختفياً بالحيرة بمنزل مشرف
على الصحراء ، فبينما كنت يوماً على ظهر ذلك البيت ابصرت اعلاماً سوداء
قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة ، فأوجست منها خيفة اذ حسبتها تقصدنى
فخرجت مسرعاً من الدار متكرراً حتى أتيت الكوفة وانا لا اعرف من اختفى
عنده ، فبقيت متحيراً فى امرى فنظرت واذا أنا بباب كبير فدخلته فرأيت

فى الرحبة رجلا وسيماً الطيف الهيئة نظيف البزة فقال لى : من أنت ؟ وما حاجتك ؟ قلت : رجل خائف على دمه جاء يستجير بك • فرحب بى وادخلنى منزله ووارانى فى حجرة تلي حجرة حرمه ، فاقمت عنده ولى كل يوم ما احب من طعام وشراب ولباس ، وهو لا يسألنى عن شىء من حالى ! الا انه كان يركب فى كل يوم من الفجر ، ولا يرجع الا قبيل الظهر ، فقلت له يوما : اراك تدمن الركوب فقيم ذلك ؟ قال لى : ان ابراهيم بن سليمان بن عبدالمك قتل ابى ، وقد بلغنى انه مختف بالحيرة ، فأنا اطلبه نعلى أجدّه وادرك منه ثأرى ، فلما سمعت ذلك - يا أمير المؤمنين - عظم خوفى وضاعت الدنيا فى عينى وقلت ، انى قد سقت نفسى الى حتفى •

ثم سألت الرجل عن اسمه واسم أبيه ، فاخبرنى عن ذلك ، فعلمت ان كلامه حق فقلت له : يا هذا ، انه قد وجب عليّ حقك ، وجزاء المعروفك لى أريد ان ادلك على ضالتك • فقال : وايين هو ؟ قلت : أنا بغيتك ، انا ابراهيم بن سليمان فيخذ بئارك فتبسم وقال : هل اضجرك الاختفاء والبعد عن دارك واهلك فأحببت الموت ؟ قلت : لا والله ! ولكنى أقول لك الحق ، وانى قتلت أباك فى يوم كذا من اجل كذا وكذا •

فلما سمع الرجل كلامى هذا وعلم صدق قولى ، تغير لونه ، واحمرت عيناه ثم اطرق طويلا ، والتفت الىّ وقال : اما انت فسوف تلقى ابى عند حاكم عادل فيأخذ بئاره منك ، واما انا فلا اخضر ذمتى فتسبنى العرب ، ولكن ارجب أن تبعد عنى خشية ان يغلبنى الشيطان ، وقدم لى الف دينار أبيت أن آخذها وانصرفت عنه ••

فهذه الحادثة أغرب ما مرّ بى وهذا الرجل اكرم من رأيتّه وسمعت عنه بعدك - يا أمير المؤمنين - •

اهدت المنصور دم رجل كان يسعى بفساد دولته متفقاً مع الخوارج وكان من اهل الكوفة ، وجعل لمن دلّ عليه او جاء به مائة الف درهم ، ثم ان الرجل ظهر في بغداد ، فبينما هو يمشى مخفياً في بعض طرقها اذ بصرت به رجل من اهل مدينته فعرفه ، فأخذ بمجامع ثيابه وقال : هذا بغية أمير المؤمنين ♦

فبينما الرجل على هذه الحال اذ سمع وقع حوافر الخيل ، فالتفت فإذا معن بن زائدة الشيباني فاستغاث به وقال له : اجرنى اجارك الله ! فالتفت معن الى الرجل المتعلق به وقال له : ما شأنك وهذا ؟ فقال الرجل انه بغية أمير المؤمنين الذي اهدت دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم ♦ فقال معن : دعه ، وقال لغلامه انزل عن دابتك واحمل الرجل عليها ♦ فصاح الرجل المتعلق به وصرخ واستجار بالناس وقال : أيجار بيني وبين بغية أمير المؤمنين ؟ فقال له معن : اذهب فقل لأمر المؤمنين واخبره انه عندي ♦

فانطلق الرجل الى المنصور ، فدخل وسلم عليه واخبره بالأمر ، فأمر المنصور باحضار معن في الساعة ، فلما وصل أمر المنصور الى معن ، دعا جميع اهل بيته ومواليه واولاده واقاربه وحاشيته وجميع من يلوذ به وقال لهم : اقسم عليكم ألا يصل الى هذا الرجل مكروه ابداً وفيكم عين تطرف ♦

ثم انه سار الى المنصور فدخل وسلم عليه فلم يرد عليه المنصور السلام ثم قال له : يا معن أتتجراً عليّ ؟ قال : نعم : يا أمير المؤمنين ♦ فقال المنصور : ونعم أيضاً ! وقد اشتد غضبه ♦ فقال معن : يا أمير المؤمنين كم من مرة تقدم في دولتكم بلائى وحسن وفائى ، وكم من مرة خاطرت

بدمى وحياتي ، أفما رأيتموني اهلاً لأن يوهب لى رجل واحد استجار بى ،
بين الناس بوهمه أنى من المقرين عند أمير المؤمنين ، وكذلك انا ، وها أنا
بين يديك •

فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه بعد أن سكن ما به من الغضب
وقال : لقد اجرناه لك يا معن • فقال معن : ان رأى امير المؤمنين أن يجمع
بين الامرين فيأمر له بصلة ، احياء واغناء • فقال المنصور : - قد أمرنا له
بخمسين الف درهم ، فقال معن : يا أمير المؤمنين : ان صلات الخلفاء على
قدر جنایات الرعية ، وان ذنب الرجل العظيم فاجزل له صلته • قال
المنصور : قد امرنا له بمائة الف درهم وعفونا عنه • فقال معن : عجلها
يا أمير المؤمنين فان خير البر عاجله ، فأمر بتعجيلها فحملها وانصرف وأتى
منزله ، وقال للرجل : يا رجل خذ هذه صلتك والحق بأهلك واياك
ومخالفة الخلفاء فى امورهم بعد هذه •

٦ - ابو حنيفة يرعى الجوار :-

كان لأبى حنيفة جار بالكوفة يغنى فى غرفته ويسمع ابو حنيفة غناؤه
فيعجبه وكان كثيراً ما يغنى :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد تغرى

فلقية العسس ذات ليلة فأخذ وسجن ، ففقد ابو حنيفة صوته تلك
الليلة ، فسأل عنه من غدٍ فأخبر بأمره ، فدعا بسواده وقلنسوته فلبسها
وركب الى عيسى بن موسى فقال له : ان لى جاراً أخذ عسسك البارحة
فحبس ، وما علمت منه الا خيراً فقال عيسى : سلموا الى ابى حنيفة كل من
أخذ العسس البارحة ، فاطلق سراح جميع المساجين ، فلما خرج الفتى
دعا به ابو حنيفة وقال له : الست كنت تغنى يا فتى كل ليلة :

أضاعونى وأى فتى أضاعوا فهل أضعناك ؟ قال الفتى : لا • ولكن

احسنت وتكرمت أحسن الله جزاءك ♦ قال : فعد الى ما كنت تغنيه فانى كنت
آنس به ولم أر به بأساً ♦ قال : افعل ♦

٧ - الحجاج يعفو عن اسير :-

أتى الحجاج بقوم خرجوا عليه فضرب اعناقهم واقامت صلاة المغرب
وقد بقى منهم واحد فقال الحجاج لقتيبة بن مسلم الباهلى انصرف به معك
حتى تغدوا به عليّ ، قال قتيبة : فخرجت بالرجل معى فلما كنت ببعض
الطريق قال لى : هل لك فى خير ؟ قلت وما ذاك ؟ قال : انى والله ما خرجت
على المسلمين ولا استحلت قتالهم ، ولكن ابتليت بما ترى ♦ وعندى ودائع
وأموال ، فهل لك أن تخلى سبيلى وتأذن لى حتى آتى أهلى وارد لكل ذى
حق حقه واوصى ، ولك عليّ أن أرجع حتى أضع يدي فى يدك ♦
فعجبت له ، وتضاحكت لقوله ، ومضينا هنيهة ثم عاد عليّ القول ، وقال :
انى اعاهدك الله على أن أعود اليك ♦ فما ملكت نفسى حتى قلت له اذهب
فلما توارى شخصه اسقط فى يدي ، فقلت : ماذا صنعت فى نفسى ؟
وأتيت أهلى مهموما ، فسألونى عن شأنى فأخبرتهم الخبر ، فقالوا : لقد
اجترأت على الحجاج ♦ فبتنا بأطول ليلة ، فلما كان أذان الفجر اذ الباب
يطرق ، فخرجت فاذا أنا بالرجل ، فقلت : أرجعت ؟ قال : سبحان الله !
جعلت لك عهد الله عليّ أفأخونك ولا أرجع ! فانطلقت به حتى اجلسته
على باب الحجاج ودخلت ♦

فلما رآنى قال : يا قتيبة اين أسيرك ؟ قلت أصلح الله الامير بالباب ،
وقد اتفق لى معه قصة عجيبة ♦ قال وما هى ؟ فحدثته عنها فاذن له
بالدخول ثم قال : يا قتيبة اتحب أن اهبه لك ؟ قلت : نعم ♦ قال : هو لك
فانصرف به معك ♦

فلما خرجت به قلت له : خذ أى طريق شئت فرفع طرفه الى السماء

«وقال : لك الحمد يا رب ، وما كلمنى بكلمة ، ولا قال لى أحسنت ولا أسأت فقلت فى نفسى : مجنون والله ! فلما كان بعد ثلاثة أيام جاءنى وقال لى جزاك الله خيراً ، أما والله ما ذهبَ عني ما صنعت ولكن كرهت أن اشرك مع حمد الله حمد أحد .»

٨ - حاتم الطائي وسعد بن حارثة :-

خرج الحكم بن أبى العاص ومعه عطور يريد الحيرة وكان بها سوق يجتمع اليها الناس كل سنة ، فمر بطريقه بحاتم بن عبدالله الطائي ، فسأله الجوار فى أرض طى حتى يصير الى الحيرة ، فأجاره ثم أمر بجزور فنحرت وطبخت ثم دعاهم الى الطعام فأكلوا ولما فرغوا من طعامهم طيَّبَهُمْ الحكم من طيبه .

وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لام ريع الطريق طعمة لهم لان بنت سعد بن حارثة بن لام كانت عنده .

ومر سعد بن حارثة بحاتم ومعه قومه من بنى لام ، فوضع حاتم سفرته وقال : اطعموا حياكم الله . فقالوا : من هؤلاء الذين معك يا حاتم؟ قال : جيرانى . قال له سعد : فأنت تجير علينا فى بلادنا؟ قال له : أنا ابن عمكم وأحق من لم تخفروا ذمته . فقالوا : لست هناك ، وأرادوا أن يفضحوه ووثبوا عليه ، وتناول سعد حاتمَ فأهوى عليه حاتم بالسيف فأطار ارنبة أنفه ووقع الشر حتى تحاجزوا ، ثم قالت بنو لام لحاتم : بيننا وبينك سوق الحيرة فما جدك ، ثم وضعوا تسعة أفراس رهنا ، ووضع حاتم فرسه رهنا عند رجل من كليب وخرجوا حتى انتهوا الى الحيرة ، وسمع بذلك أيباس بن قبيصة الطائي فخاف أن يعينهم النعمان بن المنذر ويقويهم بما له وسلطانة للصهر الذى بينه وبينهم ، فجمع رهطه من بنى حية وقال : يا بنى حية ، ان هؤلاء القوم قد أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم

في مما جدته ، فقال رجل منهم : عندي مائة ناقة سوداء ومائة ناقة حمراء ،
وقام آخر وقال : عندي عشرة 'حصن على كل حصان منها مائة فارس
مدجج لا يرى منه الا عيناه وقال حسان بن جبلة الخير : قد علمتم أن أبي
قد مات وترك لي خيرا فعليّ كل لحم وطعام وشراب ما أقاموا بسوق الحيرة •
ثم قام اياس فقال : عليّ مثل 'جميع ما أعطيتم كلكم - كل ذلك كان وحاتم
لا يعلم بشيء مما فعلوا -

وزهب حاتم الى ابن عمه - وهم بن عمر - وكان منقطعا عنه لا يكلمه
فقال له زوجته : - أي وهم - هذا والله أبو سفانة حاتم قد طلع علينا بعد
غياب طويل ، فقال : مالنا ولحاتم اثبتى النظر فقالت : ها هو • فقال ويحك
هو لا يكلمني ، فما جاء به اليّ ؟ ثم نزل حتى سلم عليه • فرد سلامه
وحياه ثم قال له : ما جاء بك يا حاتم ؟ • قال : خاطرت على حسبك
وحسبي • قال : في الرحب والسعة • هذا مالي وعدته تسعمائة بعير فخذها
مائة مائة حتى تذهب الابل أو تصيب ما تريد • ثم ان اياس بن قبيصة قال
لقومه : احملوني الى الملك وكان به نفرس فحمل حتى ادخل عليه فقال :
انعم صباحا أبيت اللعن • فقال النعمان : وحيك الاهل ، فقال : اياس :
أتمد اختناك بالمال والحيل وجعلت بني ثعل في قعر الكنانة ، أيطن اختناك
أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوبىء ولم يشعروا ان بني حية
بالبلد ؟ فان شئت والله ناجزناك حتى يسفح الوادي دما فليحضروا أمجادهم
غدا بمجمع العرب •

فعرف النعمان الغضب في وجهه وكلامه • فقال له : يا أحلنا
لا تغضب فاني سأكفيك • وأرسل النعمان الى سعد بن حارثة والى أصحابه
وقال : انظروا ابن عمكم حاتما فارضوه ، فو الله ما أنا بالذي اعطيكم مالي
تبدرونه • وما أطيق بني حية •

فخرج بنو لام الى حاتم وقالوا له : أعرض عن هذا المجاد نضع
 دية انف ابن عمنا • قال : لا والله لا أفعل حتى تتركوا أفراسكم ويغلب
 مجادكم • فتركوا دية أنف صاحبهم وأفراسهم وقالوا : قبحها الله وأبعدها •
 فعمد اليها حاتم ففقرها وأطعم الناس لحمها •

٩ - تستجير بقبر أبيه :-

لما ولي الحجاج تميم بن زيد القيني السد ، دخل البصرة فجعل
 يخرج من أهلها من نساء • فجاءت عجوز الى الفرزدق فقالت : انى استجير
 بقبر أبيك : فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : ان تميم بن زيد يريد أن يفتك
 بابن لى معه ، ولا قره لعيني ولا كاسب لى سواء فقال لها : وما اسم ابنك ؟
 فقالت : خنيس فكتب الى تميم بن زيد يقول :

تميمُ بن زيد لا تكونن حاجتى بظهر فلا يعيا عليّ جوابها
 وهب لى خنيسا واحتسب فيه حتفه لعبرة أم ما يسوغ شرابها
 أتتى فعادت يا تميم بغالب وبالحفرة السافى عليها ترابها
 وقد علم الاقوام انك ماجد وليت اذا ما الحزب شب شهابها
 فلما ورد الكتاب على تميم تشكك فى الاسم فقال : اجيش أم خنيس ؟
 انظروا من له مثل هذا الاسم فى عسكرنا فاصيب ستة ما بين جيش وخنيس
 فوجه بهم اليه جميعا •

ثالثا - الكرم والايثار

ومن الصفات العربية الاصيلة التى ميزت امة العرب عن سواها ،
 الكرم وهو الجود بالنفس والنفس فى سبيل الرقة والمنعة والكرامة ••
 وها نحن أيها القارئ الكريم نسطر فى أدناه بعضا من حوادث الكرم التى
 انفردت بها امة يعرب من بين امم الارض فى جاهليتها وبعد اسلامها ومنها ••

١ - ايثار ابن ماجة الايادى :-

خرج كعب بن ماجة الايادى يوماً ، فى قَفَلٍ معهم رجل من بنى النمر بن قاسط وكان ذلك فى حر الصيف ، فضلوا وشح مأوهم فكانوا يتصافنون الماء - وذلك بأن يطرح فى القصب حصاة ثم يصب فيه الماء بقدر ما يغمر الحصاة فيشرب كل واحد قدر ما يشرب الآخر •

ولما نزلوا للشرب ، ودار القصب بينهم ، حتى انتهى الى كعب رأى الرجل النمرى يحد النظر اليه ، فأثره بمائه على نفسه ، وقال للساقى : اسق أخاك النمرى فشرب النمرى نصيب كعب من الماء ذلك اليوم • ثم نزلوا من الغد منزلهم الآخر فتصافنوا بقية مائهم فنظر اليه النمرى كظرة امس وقال كعب : كقوله بالامس • وارتحل القوم وقالوا : يا كعب ارتحل فلم يكن له قوة للنهوض وكانوا قد قربوا من الماء فقالوا له : يا كعب انك وارد ، فعجز عن الجواب ، ولما يشسوا منه خيموا عليه بثوب يمنعه من السبع أن يأكله وتركوه مكانه ، فمات عطشاناً ونجا صاحبه من الموت بمائه •

٢ - من كرم حاتم :

قالت ماوية زوجة حاتم : اصابتنا سنة اقمشعت لها الارض واغربت لها السماء ، وراحت الابل حدبا حدابير (صفة الجوع) وضنت المراضع على اولادها وحلقت السنة المال ، وايقنا بالهلاك ، فوالله انالنى ليلة شديدة البرد اذ تضاعى صبيتنا جوعا ، عبدالله ، وعدى وسفانا ، فقام حاتم الى الصيين وقمت أنا الى الصبية وأقبل يعللنى بالحديث ، فعرفت ما يريد فتناومت •

فلما تهورت النجوم ، اذا شىء قد رفع كسر البيت ثم عاد • فقال حاتم من هذا ؟ قالت : جارتك فلانة ، اتيتك من عند صبية يتعورون عواء الذئاب من شدة جوعهم ، فما وجدت معولا الا عليك يا أبا عدى ، فقال : اعجلهم فقد أشبعك الله واياهم •

فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشى بجانبها أربعة كأنها نعامة حولها
 وثالها فقام حاتم الى فرسه فوجأ ليتها بمدية فخرت على الارض ثم كشط
 عن جلدها ودفع المدية الى المرأة فقال لها : شأنك ! فاجتمعنا على اللحم
 نشوى ونأكل ثم جعل يمشى فى الحى ، يأتهم بيتا بيتا فيقول : هبوا أيها
 القوم • عليكم بالنار ، فاجتمعوا والتفع فى ثوبه وجلس فى ناحية ينظر
 إلينا • فوالله ان ذاق منها مرعة وانه لاحوج إليها منا •

فأصبحنا وما على ظهر الارض من الفرس الا عظم وحافر فأنشأ حاتم
 يقول :

مهلاً نوراً أقلى اللوم والعدلا ولا تقولى لشيء فأت ما فعلا
 ولا تقولى لمالٍ كنت مهلكه مهلاً وان كنت أعطى الاس والحبلا
 يرى البخيل سبيل المال واحدة ان الجواد يرى فى ماله سبلا

٣ - حاتم ومادية :

تزوج حاتم ماوية وكانت من أحسن نساء العالم فى حينها ولبت
 عنده زمنا طويلا أنجبت له أولادا منهم عدى وعبدالله وكانت قد استكرت
 من زوجها كثرة بذله وافراط كرمه حتى كادت تحدث بينهما جفوة وكان
 لحاتم ابن عم يقال له مالك انتهر فرصة هذا القنور وقال لماوية : (ما تصنعين
 بحاتم ؟ فوالله لان وجد مالا ليتلفنه ، ولئن لم يجد ليتكلفن ولئن مات
 ليركن ولده عيالا على قومه طلقى حاتما وانا اتزوجك ، فأنا خير لك منه
 وأكثر مالا ، وأنا أمسك عليك وعلى ولدك • فقالت : صدقت انه كذلك فلم
 يزل بها حتى طلقت حاتما • وكان من حق النساء وقتها أن يطلقن أز
 واجهن ، وكان طلاقهن أن يحولن أبواب بيوتهن الى جهة معاكسة لسابقتها ،
 فجعلت باب بيتها الى المغرب بعد أن كان مشرقا •

فأتى حاتم بيته فوجد زوجته قد حولت باب خبائها فقال لابنه : يا عدى

• كما ترى أمك ، ما عدا عليها ؟ قال : لا أدري غير أنها غيرت باب الحباء •
 وجاء قوم فنزلوا عند باب الحباء كما كانوا ينزلون من قبل ، فعدوا
 فإذا هم خمسون رجلا ، فضأت بهم ماوية ذرعا • فقالت لجارتها اذهبي الى
 مالك فقولي له : ان أضيافا نزلوا باب داري وهم خمسون رجلا فأرسل
 إلينا بناب ولبن وأوصتها قائلة انظري الى جبينه وفمه فان شافهك بالمعروف
 فاقبلي منه ، وان ضرب بلحيته وزوره فارجعي ودعيه •

فلما أتت مالكا وجدته متوسدا وعطاء لبن فأيقضته وأخبرته الخبر
 وقالت : انما هي الليلة حتى يعلم الناس مكانك ، فأدخل يده في رأسه
 ووضرب بلحيته على زوره وقال : اقربها عنى السلام وقولي لها ، هذا الذى
 أمرتك أن تطلقى حاتما من أجله ، فما عندى من كبيرة قد تركت العمل ،
 ولا صغيرة ارضعها ، وما عندى لبن يكفى أضيافكم •

فرجعت الجارية وأخبرت ماوية بما سمعت ورأت ، وأعلمتها
 بمقالته ، فقالت لها ويحك اتى حاتما فقولي له : ان أضيافك قد نزلوا بنا
 الليلة ولم يعلموا بمكانك فأرسل إلينا بناب ننحرها ونقرهم وبلبن نسقمهم ،
 فانما هي الليلة حتى يعرفوا مكانك •

فأتت الجارية حاتما فصرخت به فقال حاتم : لبيك قريبادعوتى • فقالت : ان ماوية
 تقرأ عليك السلام وتقول لك : ان أضيافك قد نزلوا بنا الليلة فأرسل اليهم
 بناب ننحرها ولبن نسقمهم • فقال : نعم وأبى ، ثم قام الى الابل فأطلق
 اثنتين من عقالهما ثم صاح بهما حتى أتيا الحباء فضرب عراقيهما ، فطفت
 ماوية تصيح وتقول : هذا الذى طلقتك فيه ، ترك ولدك وليس لهم شيء •
 ثم عاودت زوجها وخضعت لواقعه •

٤ - جود عثمان بن عفان رضى الله عنه :

أصاب الناس قحط فى خلافة سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله تعالى

عنه وأرضاه فلما اشتد بهم الامر جاؤا الخليفة وقالوا : يا خليفة رسول الله ، ان السماء لم تمطر والارض لم تنبت ، وقد أدرك الناس الهلاك . فما تصنع ؟ فقال لهم : انصرفوا واصبروا فاني أرجو الله ألا تمسوا حتى يفرج الله عنكم . فلما كان في آخر النهار ورد الخبر بأن عيراً لعثمان بن عفان جاءت من الشام ، فلما وصلت خرج الناس يتلقونها ، فاذا هي الف بعير موسقة برآً وزبيياً فأتاخذت بباب عثمان رضى الله تعالى عنه ، فلما جعلها في داره جاءه التجار يبغون ابتياعها منه فقال لهم : ما تريدون ؟ قالوا : انك لتعلم ما نريد ، بعنا من هذا الذي وصل اليك ، فانك تعلم حاجة الناس اليه ، قال : حبا وكرامة ، كم تبيعونني على شرائي ؟ قالوا : الدرهم درهمين ، قال : اعطيت زيادة على هذا . قالوا : الدرهم أربعة ، قال : اعطيت زيادة على هذا ، قالوا : خمسة . قال اعطيت أكثر من هذا . قالوا : يا أبا عمر ما بقى في المدينة تجار غيرنا ، وما سبقنا اليك أحد فمن ذا الذي أعطاك ؟ قال : ان الله أعطاني بكل درهم عشرة بقوله تعالى : (ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) . أعندكم زيادة ؟ قالوا : لا . قال : فاني أشهد الله اني جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله توزع على مساكين المسلمين وفقرائهم ، فوزعت .

٥ - لييد والوليد بن عقبة :

كان لييد بن ربيعة جوادا في الجاهلية وبعد الاسلام ، وقد آلى في الجاهلية أن يطعم ما هبت الصبا ، ثم أدام ذلك بعد اسلامه ، وكانت له جفتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم - ونزل لييد الكوفة - وأميرها الوليد بن عقبة ، فبينما هو يخطب الناس ، اذ هبت الصبا فقال الوليد في خطبته على المنبر : لقد علمتم حال أخيكم ابي عقيل وما جعل على نفسه أن يطعم ما هبت الصبا . وهو يوم من أيامه ، وقد هبت ريحها فأعينوه : وأنا أول من فعل ، ثم انصرف الوليد فبعث اليه بمائة ناقة وبهذه الايات :

أرى الجزار يشخذ شفرتيه اذا هبت رياح ابي عقيل
أشم الانف أصيد عامرى طويل الباع كالسيف الصقيل
فلما وصلت الهدية الى لييد شكره وقال : انى تركت الشعر منذ
قرأت القرآن ثم قال لابنته أجيبه فلعمرى لقد عشت دهرا وما أعيانى جواب
شاعر فقالت :

اذا هبت رياح أبى عقيل دعونا عند هبتها الوليد
أشم الانف أصيد عيشميا أعانه على مروءته لييدا
بأمشال الهضاب كأن ركبا عليها من بنى حام قعودا
أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها وأطعنا الوفودا
فعد ، ان الكريم له معاد وظنى بابن اردى أن يعودا
فقال لييد : أجدت وأحسنت لولا انك سألت فى شعرك • فقال : انه
أمير وليس بسوقة ، ولا بأس بسؤاله ، ولو كان غيره ما سألتاه • قال : أجل
انه على ما ذكرت يابنية •

٦ - كرم معاوية بن أبى سفيان :

قال معاوية يوما لعقيل بن أبى طالب هل من حاجة فأقضيها لك ؟ قال
نعم • جارية عرضت علىّ وأبى أصحابها أن يبيعوها الا بأربعين الفا ، فأحب
معاوية أن يمازحه فقال : وما تصنع بجارية قيمتها أربعون الفا ، وأنت
أعمى تجترىء بجارية قيمتها خمسون درهما • قال أرجو أن تلد لى غلاما
اذا أغضبه يضرب عنقك بالسيف • فضحك معاوية وابتاع له الجارية
وولدت له مسلما بن عقيل •

فلما أتت على مسلم ثمانى عشرة سنة وقد مات عقيل أبوه • قال
لمعاوية : يا أمير المؤمنين • ان لى أرضا بمكان كنا فى المدينة وانى أعطيت
بها مائة الف وقد أحببت أن أبيعكها • فادفع لى ثمنها ، فأمر معاوية
بتسليم الارض ودفعت الثمن ليه •

فبلغ ذلك الحسين بن علي رضي الله عنه • فكتب الى معاوية : أما بعد •
فانك غررت غلاما من بنى هاشم فابتعت منه أرضا لا يملكها فاقبض من
الغلام ما دفعته واردد الينا أرضنا •

فبعث معاوية الى مسلم ، فأخبره بذلك وأقرأه كتاب الحسين وقال
معاوية : (اردد الينا مالنا وخذ أرضك فانك بعت مالا تملك • فقال مسلم :
دون ذلك أن أضرب رأسك بالسيف ، فاستلقى معاوية ضاحكا يضرب
الارض برجليه ثم قال : يا بنى هذا والله كلام قاله لى أبوك حين ابتعت
له امك •

ثم كتب الى الحسين انى قد رددت عليكم الارض وسوغت مسلما
• ثمنها •

فقال الحسين : أيتيم يا آل سفيان الا كرما •

٧ - أسخى من البحر اذا زخر :

حبس معاوية عن الحسين بن علي صلواته حتى ضاقت عليه حاله
فقيل له : لو وجهت الى ابن عمك عبدالله بن العباس ، فانه قدم بنحو
الف درهم •

فقال الحسين : وأين تقع الف الف من عبد الله ؟ فو الله لهو أجود
من الريح اذا عصفت وأسخى من البحر اذا زخر • ثم وجه اليه مع رسوله
كتابا ذكر فيه حبس معاوية صلواته عنه وضيق حاله ، وانه يحتاج الى مائة
الف درهم ، فلما قرأ عبدالله كتابه • وكان أرق الناس قلبا والينهم عظفا
انهملت عيناه بالدموع ثم قال : يا معاوية ويل يداك من الاثم : حين
أصبحت لين المهادر رفيع الضماد ، والحسين يشكو ضيق المال وكثرة
العيال •

ثم قال لقهрманه : احمل الى الحسين نصف ما أملك من فضة وذهب

وثوب ودابة وأخبره انى شاطرته مالى ، فان يكفه ذلك والا فارجع واحمل اليه الشطر الآخر ، فقال القيم : فهذه المؤن التى عليك من أين تقوم بها ؟ قال : اذا بلغنا ذلك دللتك على أمر تقيم به حالك •

فلما أتى الرسول برسالته الى الحسين قال : انا لله حملت والله على ابن عمى ، ما حسبته يتسع لنا بهذا كله • فأخذ الشطر من ماله وهو أول من فعل ذلك فى الاسلام •

٨ - وجود على مقدار نفسه :

• خرج عبدالله بن العباس مرة من المدينة يريد معاوية فى الشام فأصابته السماء فظفر الى خباء عن يمينه فقال لغلامه مل بنا اليها • فلما أتياها اذا شيخ ذو هيئة رثة فقال له : أنسخ ، انزل ، حيث ودخل الى منزله • فقال لامرأته : هيئى شأنك ما يصلح شأن هذا الرجل فقد توسمت فيه الخير • فان يكن من مضر فهو من بنى عبدالمطلب • وان يكن من اليمن فهو من بنى آكل المرار فقالت له : قد عرفت حال صيبتى وان معيشتهم من هذه الشاة وأخاف الموت عليهم ان فقدوها فقال : موتهم أحب اليّ من اللؤم ثم قبض على الشاة ، فأخذ الشفرة بيده وأنشد :

قرينتى لا توقظى بنيه ان يوقظوا ينسحبوا عليه

وينزعوا الشفرة من يديه أبغض هذا أن يرى لديه

ثم ذبحها وكشط جلدھا وقطعها ارباعا وقذفها فى القدر حتى اذا استوت ثرد فى جفنة فعشاهم ثم غداهم وأراد عبدالله الرحيل فقال لغلامه: ارم للشيوخ ما معك من نفقة • فقال الغلام : ذبح لك شاة فكافأته بثمان عشرة أمثالها وهو لا يعرفك • فقال عبدالله : ويحك ! فانا أعرف نفسى ارم بهاليه فكانت خمسمائة دينار •

ثم ارتحل عبدالله ، فأتى معاوية • ففضى حاجته ثم أقفل راجعا الى

المدينة حتى اذا قرب من ذلك الشيخ قال لغلامه مل بنا ننظره في أية حالة هو فانتبهنا اليه ، فاذا برجل يسرٍ عنده دخان عال ورماد كثير وابل وغنم ففرح بذلك وقال له الشيخ انزل بالرحب والسعة : فقال له عبدالله : أتعرفني فقال لا والله فمن أنت فقال : أنا نزيلك ليلة كذا وكذا فقام اليه وقبل رأسه وقال : قد قلت أبياتا أتسمعها مني ؟ فقال هات فأشدد :

توسمته لما رأيت مهابة	عليه وقلت : المرء من آل هاشم
والا فمن آل المرار فأنهم	ملوك عظام من كرام أعظم
فقت الى عنز بقية أعنز	لاذبحها فعل امرىء غير نادم
فعوضنى عنها غناى ولم يكن	تساوى عنزى غير خمس دراهم
فقلت لاهل في الخلاء وصييتى	أحقا أرى أم تلك أحلام نائم

فضحك عبدالله وقال : أعطيتنا أكثر مما أخذت منا • يا غلام أعطه مثلها : وبلغت فعلته معاوية فقال : لله در عبدالله من أى بيضة خرج ؟ وفي أى عش درج !

٩ - من حيل الكرماء :

أهدى معاوية الى عبدالله بن العباس حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجته ، فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو يطيل النظر منها - فقال : هل فى نفسك منها شىء قال نعم ، والله ان فى نفسى منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف •

فضحك عبدالله وقال : هى لك ، قال : جعلت فداك أنا أخاف أن يبلغ ذلك معاوية ، فيغضب لذلك : قال فأختمها بخاتمك وارفعها الى الحازن وهو يحملها اليه ليلا ، فقال : الحاجب : والله ان هذه الحيلة فى الكرماء لاكثر من الكرم وقعا على النفس ولوددت انى لا أموت حتى أراك مكانه - يقصد معاوية •

فظن عبدالله انها مكيدة منه فقال : دع هذا الكلام • أنا من قوم نفي
بما عقدنا ولا ننقض بما أكدنا •

١٠ - يد عند عبدالله بن العباس :

أتى رجل عبدالله بن العباس وهو بقاء داره فقال : يا ابن العباس
ان لى عندك يدأ وقد احتجت اليها • فصعد فيه بصره وصوبه فلم يعرفه
ثم قال له : ما يدك عندنا ؟ قال رأيتك واقفا بززم وغلامك يمتح لك
من مائها والشمس قد صهرتك فضلمتلك بطرف كسائي حتى شربت •
قال : انى لأذكر ذلك ، وانه يتردد فى خاطرى وفكرى • ثم قال :
لقيمه ما عندك ؟ قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم قال : ادفعها اليه •
وما أراها تفى بحق يده علينا •

قال له الرجل : والله لو لم يكن لاسماعيل ولد غيرك لكان فيه
ما كفاه فكيف « وقد ولد سيد الاولين والآخرين محمدا صلى الله عليه
وسلم ؟ » •

١١ - اختبار الاجواد :

تمارى ثلاثة فى أجواد الاسلام • فقال رجل : أسخى الناس فى
عصرنا هذا عبدالله بن جعفر بن أبى طالب ، وقال آخر : أسخى الناس
عرابة' الاوسى وقال ثالث : بل قيس بن سعد بن عبادة وأكثروا الجدل فى
ذلك وعلا ضجيجهم وهم بقاء الكعبة •

فقال لهم رجل : قد أكثرتم الجدل فى ذلك ، فما عليكم أن يمضى
كل واحد منكم الى صاحبه يسأله ، حتى ننظر ما يعطيه ونحكم على
العيان •

فقام صاحب عبدالله اليه ، فصادفه قد وضع رجله فى غرز ناقته يريد
ضيعة له ، فقال : يا ابن عم رسول الله ! قال : قل ما تشاء • قال : أنا ابن

سبيل ومنقطع به ، فأخرج رجله من غرز الناقة ، وقال له : ضع رجلك واستو على الراحلة وخذ ما فى الحقيبة واحتفظ بالسيف فانه من سيوف علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه •

فجاء بالناقة • والحقيبة فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار وأعظمها وأجلها السيف •

ومضى صاحب قيس بن سعد بن عبادة فصادفه نائما • فقالت الجارية: هو نائم فما حاجتك اليه ؟ قال : انا بن سبيل ومنقطع به • قالت : حاجتك أهون من ايقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار ، والله يعلم ان ما فى دار قيس غيره وامض الى معادن الابل : الى ابل لنا بعلامتنا فخذ راحلة من رواحلنا وما يصلحها للسفر وامض لشأنك • ولما انتبه قيس من رقدته أخبرته بما صنعت فأعتقها •

ومضى صاحب عرابة الاوسى اليه ، فألفاه قد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يمشى على عبيدين وقد كف بصره فقال : يا عرابة أنا ابن سبيل ومنقطع به : فخلى العبيدين وصفق بيمناه على يسراه وقال : اواه اواه ما تركت الحقوق لعرابة مالا ، ولكن خذهما يعنى العبيدين قال : ما كنت بالذى اقص جناحيك ! قال ان لم تأخذهما فهما حران ، فان شئت تأخذ وان شئت تعتق وأقبل يلتمس الحائط راجعا الى منزله •

فأخذهما صاحبه ورجع بهما الى رفاقه فقالوا : ان هؤلاء الثلاثة أجود عصرهم الا ان عرابة أكثرهم جودا لانه أعطى جهده •

١٢ - ان هذا لاسخى منى :

خرج عبدالله بن جعفر الى ضيعة له ، فنزل على نخيل قوم ، فيها غلام يقوم عليها ، وعنده ثلاثة أقراص خبز ، فدخل كلب فدنا منه ، فرمى اليه بقرص فأكله ، ثم رمى اليه بالثاني فأكله ثم بالثالث فأكله وعبدالله ينظر اليه ،

فقال عبدالله : يا غلام كم قوتك اليومى؟ قال : ما رأيت ، قال : فلم أئرت الكلب؟ قال : لان أرضنا ليست بأرض كلاب ، وأخاله قد جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال : فما كنت صانعا اليوم قال : أطوى يومى هذا ، فقال عبدالله بن جعفر : والله ان هذا لاسخى منى ، فاشترى النخل والغلام وأعتقه ووهب النخل له •

١٣ - عمارة وعبد الملك بن مروان :

قال عمارة كنت اجالس عبد الملك بن مروان كثيرا فى ظل الكعبة ، فيينا أنا معه ذات يوم اذ قال لى : يا عمارة • ان تعش قليلا فسترى الاعناق اليّ مائلة والآمال نحوى سامية ، واذا كان ذلك فلا عليك أن تجعلنى لرجائك بابا ولاملك ذريعة فو الله ان فعلت لاملأن يديك غبطة ولاكسونك نعمة سابعة •

ثم ان عبد الملك سار الى دمشق ، وصارت اليه الخلافة ، فخرجت اليه زائرا واستأذنت فأذن لى ، ودخلت فسلمت عليه فلما انقضى سلامى قال : مرحبا بأخى ، ونادى أحد غلمانه فقال : بوئه دارا وأحسن مهاده ونزهه وآثره على خصتى •

ففعل ، وأقامت عنده عشرين ليلة أحضر غذاءه وعشاءه ، فلما أردت الانصراف والابوة الى أهلى ، أمر لى بعشرين ألف دينار ومائتى الف درهم ومائة ناقة بكسوتها ، وقال لى : أترانى يا عمارة ملأت يديك غبطة؟ فقلت : يا سبحان الله ، يا أمير المؤمنين ، وانك لذاكر لذلك؟ قال : نعم ، والله لا خير فيمن ينسى ما وعد به ويذكر ما أوعد • كم لهذا الامر يا عمارة؟ قلت : والله لكأنه بالامس ، وله دهر يا أمير المؤمنين ، قال : فو الله ما كان ذلك عن خبر سمعناه ولا حديث كتبناه ، ولا أثر روينا ، غير انى عقلت فى الحدائثة أنباء رجوت أن يرفع الله بها درجتى وينشر بها ذكرى •

قلت : وما هي يا أمير المؤمنين : قال : كنت لا أشارى ولا أمارى
ولا أهتك ستره الله دوني ، ولا ارتكب محرما حضره الله عليّ ، ولا
حسدت ولا بغيت وكنت من قومي واسطة القلادة ، وكنت أكرم جليسي
وان كان ذميا وأرفع قدر الأديب واكرم ذا الثقة واداري السفه ،
وأرحم الضعيف فبذلك رفع الله قدرى يا عمارة ، خذ اهبة السفر وامض
راشدا •

١٤ - احتكموا وأكثروا :

استعمل الوليد بن عبد الملك عثمان بن حيان المرى على المدينة وأمره
بالغلظة على أهل الظنة من سكانها ، فلما استخلف سليمان بن عبد الملك
أخذته بألقى درهم ، فاجتمعت القيسية في ذلك فتحملوا شطرها وضاقوا
ذرها بالشرط الثاني ، ووافق ذلك استعمال يزيد بن المهلب على العراق فقال
عمر بن هبيرة : عليكم بيزيد بن المهلب فمالها أحد غيره •

فذهب الى يزيد عمر بن هبيرة والققعاع بن حبيب والهديل بن
زفر بن الحارث ، وسار معهم عثمان نفسه ، فاستأذن لهم حاجبه ، فخرج
يزيد الى الرواق فقرب ورحب ، ثم دعا بالغذاء لهم فأكلوا •

فلما تغدوا تكلم عثمان بن حيان - وكان لسنا مفوها - فقال : زادك
الله في توفيقك ، أيها الأمير ، ان الوليد وجهنى الى المدينة عاملا عليها
وأمرنى بالغلظة على أهل الظنة فيها ، وان سليمان أغرمنى غرما - والله -
ما يسعه مالى ولا تحمله طاقتى فأيتك لتحمل من هذا المال ما خف عليك
وما بقى - والله - ثقيل عليّ •

ثم تكلم كل منهم بما حضره ، فقال يزيد بن المهلب : مرحبا بكم
وأهلا ان خير المال ما قضى به الحقوق ، وحملت به المغارم ، وانما لى من
المال ما فضل عن اخوانى وايم الله لو علمت أن أحدا املا بحاجتكم منى
لهديتكم اليه فاحتكموا واكثروا •

فقال عثمان : النصف أصلح الله الأمير ، قال : نعم وكرامة ، اغدوا على مالكم فخذوه ، فشكروا له وقاموا فخرجوا • فلما صاروا على باب السرادق قال عمر بن هبيرة : قبح الله رأيكم ، والله ما يبالي يزيد انصفها يحمل أم كلها فمن لكم بالنصف الباقي ؟ •

قال القوم : هذا والله الرأى • وسمع يزيد مناجاتهم ، فقال لحاجبه : انظر يا يحيى ان كان بقى على القوم شىء فليرجعوا •

فرجعوا اليه ، وقالوا : فان رأيت ان تحملها كلها فأنت أهلها ، وان أبيت فما لها أحد غيرك ، قال : قد فعلت • وغدا يزيد بن المهلب الى سليمان فقال : يا أمير المؤمنين : أتانى عثمان بن حيان وأصحابه • قال : امسك فى المال ؟ قال : نعم قال سليمان لآخذنه منهم • قال يزيد : انى قد حملته • قال فأده : قال يزيد : والله ما حملته الا لأؤديه • ثم غدا يزيد بالمال على الخزان فدفعه اليهم •

فدخلوا على سليمان فأخبروه بقبض المال ، فقال وفيتُ يمينَ سليمان ، احملوا الى أبى خالد ماله •

١٥ - أنت أخو الندى وحليفه :

قال بعض مشيخة قريش : أذن الوليد بن عبدالمك يومًا للناس فدخلوا عليه ، وأذن للشعراء فكان أول من بدر بين يديه عويق القوافى الفزارى فاستأذنه فى الانشاد فقال : ما بقيت لى بعد ما قلت لآخى بنى زهرة ؟ قال : وما قلت له مع ما قلت لأمير المؤمنين ؟ قال : الست الذى تقول :

يا طلحُ أنت أخو الندى وحليفه
ان الندى من بعد طلحة ماتا
ان العقال اليك أطلق رحله
فبحيث بت من المنازل باتا
وقال : ألسنت الذى تقول ؟

إذا ما جاء يومك يا ابن عوف فلا مطرت على الارض السماء
تساقى الناس بعدك يا ابن عوف ذريع الموت ليس له شفاء
الم تقم علينا الساعة التي قامت عليه ؟ لا والله لا أسمع منك شيئاً ولا
أنفك بنافعة أبداً اخرجوه عنى *

فلما اخرج قال له القرشيون والشاميون وما الذى أعطاك طلحة
حتى استخرج هذا منك ؟ قال : أما والله لقد أعطاني غيره أكثر من عطيته
ولكن لا والله ما أعطاني أحد قط أحلى فى قلبى ، ولا أبقى شكراً ولا
أجدر الا انساها من عطيته : قالوا : وما أعطاك ؟ قال :

قدمت المدينة ومعى بضیعة لى لا تبلغ عشرة دنانير ، اريد أن ابتاع
مقوداً من قعدان الصدفة ، فاذا برجل فى صحن السوق على طنفسة قد
طرح له واذا الناس حوله ، واذا بين يديه ابل ، فظننت انه عامل السوق
فسلمت عليه فأبنتى وجهته ، فقلت : رحمك الله ، هل أنت معينى على
مقود من هذه القعدان أن تتباعه لى ؟ فقال : نعم أو معك ثمنه ؟ فقلت : نعم .
فأهوى بيده اليّ فأعطيته بضیعتى فرفع طنفته والقاه تحتها ، ومكث طويلاً
ثم قمت اليه فقلت : رحمك الله انظر فى حاجتى ! فقال : ما منعنى منك الا
النسيان ، أمعك جبل ؟ قلت نعم ، قال افرجوا فأفرجوا عنه حتى استقبل
الابل التى بين يديه ، فقال : اقرن هذه وهذه وهذه ، فما برحت حتى
أمر لى بثلاثين بكرة ادنى بكرة منها خير من بضاعتى ! ثم رفع طنفته
فقال : وشأنك ببضاعتك فاستعن بها على قضاء حاجتك ثم بعث معى نفراً
فأطردوها ، حتى أطلعوها من رأس الثنية فوالله لا انساها ما دمت حياً
أبداً *

١٦ معن بن زائدة :

قال معن بن زائدة الشيبانى : لما هربت من المنصور خرجت من باب

حرب بعد أن أقمت في الشمس أياما وخففت لحيتي ولبست جبة صوف غليظة ، وركبت جملا وخرجت عليه لامضى على البادية فتبعني رجل متقلدا سيفي حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام الجمل فأناخه وقبض عليّ ، فقلت : ما شأنك ؟ فقال : أنت بُغيةُ أمير المؤمنين فقلت له : ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين ؟ فقال : أنت معن بن زائدة ، فقلت : يا هذا اتق الله ، وأين أنا من معن ؟ فقال : دع هذا عنك ، فانا والله أعرف بك . فقلت له : فان كانت القصة كما تقول ، فهذا جوهر حملته معي بأضعاف ما بذله لمن جاء بي ، فخذة ولا تسفك دمي .

فقال : هاته ، فأخرجته اليه ، فنظر اليه ساعة وقال : صدقت في قيمته ولست قابله حتى أسألك عن شيء ، فان صدقتني أطلقك ، فقلت : قل ! فقال : ان الناس وصفوك بالجود فأخبرني ، هل وهبت قط مالك كله ؟ قلت لا . قال : فضصفه قلت لا . حتى بلغ العشر فاستحييت وقلت : نعم أظن اني قد فعلت هذا ، فقال : ما ذلك بعظيم ، انا والله راجل ورزقي من أبي جعفر عشرون درهما ، وهذا الجوهر قيمته الف دينار وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ، ولجودك المأثور بين الناس ، ولتعلم ان في الدنيا من هو أجود منك ، فلا تعجبك نفسك ، ولتحقر بعد هذا كل شيء ففعله ولا تتوقف عن مكرمة ، ثم رمى بالعقد اليّ وخلي خطام الجمل وانصرف .

فقلت يا هذا قد فضحتني ، ولسفك دمي أهون عليّ مما فعلت ، فخذ ما دفعته اليك ، فاني عنه في غنى ، فضحك ، ثم قال : أردت أن تكذبني في مقامى هذا فوالله لا آخذه ولا آخذ لمعروف ثنا أبدا ومضى . فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت ، وبذلت لمن يجيء به ما شاء فما عرفت له خبرا وكان الارض ابتلعه .

١٧ - ما ولدت العرب أكرم منك :

قال الاصمعي : قَصَدْتُ فِي بَعْضِ الْيَوْمِ رَجُلًا كُنْتُ أَعْشَاهُ لِكْرَمِهِ
فَوَجَدْتُ عَلَى بَابِهِ بَوَابًا فَمَنْعَنِي مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ يَا أَصْمَعِيُّ
مَا أَوْقَفَنِي عَلَى بَابِهِ لِأَمْنِكَ مِثْلَكَ إِلَّا لِرَقْعَةِ حَالِهِ ، وَقُصُورِ يَدِهِ ، فَكُتِبَتْ
رَقْعَةٌ فِيهَا :

إِذَا كَانَ الْكُرَيْمُ لَهُ حِجَابٌ فَمَا فَضَلَ الْكُرَيْمُ عَلَى اللَّئِيمِ
ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : أَوْصَلْ رَقْعَتِي إِلَيْهِ ، فَفَعَلَ وَعَادَ بِالرَّقْعَةِ وَقَدْ وَقَعَ عَلَى
ظَهْرِهَا :

إِذَا كَانَ الْكُرَيْمُ قَلِيلَ مَالٍ تَحْجِبُ بِالْحِجَابِ عَلَى الْغَرِيمِ
وَمَعَ الرَّقْعَةِ صِرَةٌ فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ •

فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا تَحْفَظُ الْمَأْمُونُ بِهَذَا الْخَبْرِ ، فَلَمَّا رَأَيْتَنِي قَالَ : مِنْ أَيْنَ
يَا أَصْمَعِيُّ قُلْتَ : مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ مِنْ أَكْرَمِ الْأَحْبَاءِ حَاشَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ :
وَمَنْ هُوَ ؟ فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْوَرْقَةَ وَالصِّرَةَ ، وَأَعَدْتُ عَلَيْهِ الْخَبْرَ • فَلَمَّا رَأَى
الصِّرَةَ قَالَ : هَذَا مِنْ بَيْتِ مَالِي ، وَلَا يَبْدُ لِي مِنَ الرَّجُلِ ! فَقُلْتُ : وَاللَّهِ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي اسْتَحْيِي أَنْ تَرَوْعَهُ بِرِسْلِكَ • فَقَالَ : لِبَعْضِ خَاصَّتِهِ ،
أَمْضِ مَعَ الْأَصْمَعِيِّ ، فَإِذَا أَرَاكَ الرَّجُلَ ، فَقُلْ لَهُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ
غَيْرِ إِزْعَاجٍ •

فَلَمَّا حَضَرَ الرَّجُلَ بَيْنَ يَدَيْ الْمَأْمُونِ قَالَ لَهُ : أَنْتَ الَّذِي رَفَعْتَ لَنَا
بِالْأَمْسِ ، وَشَكَوْتَ رَقْعَةَ الْحَالِ ، وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ أَنْخَسَ عَلَيْكَ بِكُلِّكَ فَدَفَعْنَا
إِلَيْكَ هَذِهِ الصِّرَةَ لِتُصْلِحَ بِهَا حَالَكَ ؟ فَقَصَدَكَ الْأَصْمَعِيُّ بَيْتَ وَاحِدٍ
فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ ؟

فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ فِيمَا شَكَوْتَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مِنْ رَقْعَةِ الْحَالِ • لَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ أَعِيدَ قَاصِدِي إِلَّا كَمَا
أَعَادَنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ •

فقال له المأمون : لله أنت ؟ فما ولدت العرب أكرم منك • فأكرمه حتى كفاه •

١٨ - الاصمعي يطلب القرى :

قال الاصمعي : سرت في تطوافي في العرب بجبلى طي ، فقدمت الى قوم منهم يحتلبون اللبن ، ثم يصيحون : الضيف الضيف ! فان جاء من يضيفهم ، والا أراقوه ، فلا يذوقون منه شيئاً دون الضيف الا أن يجهدهم الجوع •

ثم وقفت الى رجل من ولد حاتم بن عبدالله ، فسألته القرى ، فقال : القرى والله كثير ، ولكن لا سبيل اليه ، فقلت : ما أحسب عندك شيئاً ، فأمر بالجنان ، فاخرجت مكرمة بالثريد ، عليها وذر اللحم واذا هو جاد في المنع ، فقلت : والله ما أشبهت أباك حيث يقول :

وابرزُ قدرى بالفناء ، قليلها يرى غير مضمون به وكثيرها
فقال :-

الا اشبهه في هذا ، فقد أشبهته في قوله :

أماوية أما مانع فميينى وأما عطاء لا بنهنة الزجر

فانا والله مانع ميين • فرحلت عنه •

ودفعت الى امرأة من ولد ابن هرثمة فسألته القرى ، فقالت : انى والله 'مرملة' مسنة ، ما عندى شيء ، فقلت : أما عندك جزور ؟ فقالت : والله ولا شاة ولا دجاجة ، ولا بيضة ! فقلت : أما ابن هرثمة أبوك؟ فقالت : بلى والله انى لمن صميمهم ، قلت : قاتل الله اباك ! ما كان أكذبه حيث يقول :

لا امنع العود بالفضال ولا اتباع الا قريبة الاجل

انى اذا ما البخيل آمنها بانت ضمورا منى على وجل

ووليت ، فنادت : ارجع أيها الراكب ، فعله والله ذلك أفله عندنا

فقلت : الا تكونى اوسعتينا قرى فقد اوسعتينا جوابا •

١٩ - ولقد أبيت على الطوى :

قال تميم بن عدى اليربوعى كنت مع عبدالله بن العباس ، عند منصرفه من دمشق ، فسألته فى بعض الايام ، وقلت له بماذا يتم عقل الرجل ؟ فقال : اذا صنع المعروف مبتدئا به ، وجاد بما هو محتاج اليه ، ويتجاوز عن الذلة ، وجازى على المكرمة ، وتجنب مواطن الاعتذار ، فقد تم عقله • فحفظت ذلك منه والصقته بقلبي •

ثم بعد أيام نزلنا منزلا ، فطلبنا طعاما فلم نجده ولا قدرنا عليه - فان زيادا كان قد نزل بذلك المنزل قبلنا بأيام قليلة فى جمع كثير ، فأتوا على ما كان فيه من الطعام - فقال عبدالله لو كي له : اخرج الى هذه البرية ، فلعلك تجد راعيا معه طعام ، فمضى الوكيل ومعه غلمان ، فأطالوا التوقف ، فما كادوا يرجعون حتى لاح لهم خباء ، فأموه ، فوجدوا فيه عجوزا ، فقالوا لها : هل عندك طعام نبتاعه منك ؟ فقالت : أما طعام بيع فلا • ولكن عندى أكلة لى ، وبأولادى اليها أمس حاجة ، قالوا : وأين أولادك ؟ قالت : فى رعيهم ، وهذا وقت عودتهم • قالوا : فما أعددت لهم ؟ قالت : خبزة تحت ملتها انتظر بها مجيئهم ، قالوا لها : فيجودى علينا بنصفها ، قالت : لا ولكن بها كلها ، قالوا لما منعت النصف وجدت بها كلها ولا خبز عندك غيرها ؟ قالت : ان عطاء الشطر من خبزة نقيصة ، فأنا أمتع ما ينقصنى وأجود بما يرفعنى ، فأخذوا الخبزة لفرط حاجتهم اليها وانصرفوا ، ولم تسأل من هم ولا من أين جاؤا •

فلما أتوا عبدالله ، وأخبروه خبر العجوز عجب من ذلك ، وقال : ارجعوا اليها ، فاحملوها فى دعة ، وأحضروها ، فرجعوا اليها وقالوا لها : ان صاحبنا أحب أن يراك ، قالت : ومن صاحبكم ؟ قالوا عبدالله بن العباس

قالت ما أعرف هذا الاسم • قالوا : العباس بن عبدالمطلب ، وهو عم النبي •
 قالت : والله ان هذا لشرف عال وذروته الرفيعة ، وماذا يريد مني ؟ قالوا :
 يريد أن يكافئك على ما كان منك • قالت : لقد أفسد الهاشمي ما أثل له
 ابن عمه عليه السلام ، والله لو كان ما فعلت معروفًا ما أخذت عليه ثوابًا ،
 وإنما هو شيء يجب على كل انسان أن يفعله • قالوا : فإنه يجب أن يراك
 ويسمع كلامك ، قالت أصير اليه لاني أحب أن أرى رجلا في جناح النبي
 صلى الله عليه وسلم وعضوا من أعضائه •

فلما سارت اليه رحب بها وأدنى مجلسها وقال : ممن أنت ؟ قالت :
 من كلب • قال : كيف حالك ؟ قالت : لم يبق من الدنيا ما يفرح الا وقد
 بلغتني واني الآن أعيش بالقناعة وأصون القرابة ، وأنا أتوقع مفارقة الدنيا
 صباح مساء • قال : اخبريني ، ما الذي أعددت لاولادك عند انصرافهم
 بعد أخذنا الخبزة ؟ قالت أعددت لهم قول العربي :

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكَل

فأعجبه قولها ، وقال لبعض غلمانه ، انطلق الى خبائها ، فاذا أقبل
 بنوها فجنني بهم ، فقالت للغلام : انطلق ، فكن في فناء البيت ، فانهم
 ثلاثة ، فاذا رأيتهم تجد أحدهم دائم النظر نحو الارض ، عليه شعار
 الوقار ، فاذا تكلم أفصح ، واذا طلب أنجح ، والآخر حديدي النظر ،
 كثير الحذر ، اذا وعد فعل ، وان ظلم قتل ، والآخر كأنه شعلة نار ،
 وكأنه يطلب بثأر ، فذلك الموت المائت والداء الكابت ، فاذا رأيت هذه
 الصفة منهم فقل لهم عنى : لا تجلسوا حتى تأتونى •

فانطلق الغلام فأخبرهم الخبر ، فما بعد أمدته حتى جاؤا ، فأدناهم
 عبدالله وقال : انى لم أبعث اليكم والى والدتكم الا لاصلح من أمركم ،
 واصنع ما يروقكم ، فقالوا : ان هذا لا يكون الا عن مسألة أو مكافأة فعل

جميل نقدم ولم يصدر منا واحدة منهما ، فان كنت أردت التكرم مبتدئا ،
فمعروفك مشكور ، وبرك مقبول مبرور ، فأمر لهم بسبعة آلاف درهم ،
وعشر من النوق ، فقالت لهم العجوز : ليقل كل واحد منكم بيتا من قوله :
فقال الاكبر :

شهدت عليك بحسن المقال وصدق الفعال وطيب الخبر

وقال الاوسط :

تبرعت بالبذل قبل السؤال فعال كريم عظيم الخطر

وقال الاصغر :

وحق لمن كان ذا فعله أن يسترق رقاب البشر

وقالت العجوز :

فعمرك الله من ماجد ووقيت ما عشت - شر القدر

ثم ودعوه وانصرفوا ♦

قال تميم اليربوعي : فالتفت اليّ عبدالله وقال لى : يا تميم ، وددت
لو وجدت مزيدا فى ابتداء المعروف الى هذه المرأة وبنيتها ، وجعل هو
يتأوه من تقصيره عن مراده فى ذلك ، فقلت له : لقد أحسنت وأرجحت
وقد شهد فعلك بما سبق من قولك ، فأنت أتم الناس عقلا وأكملهم
مروءة ♦

٢٠ - غسان بن عباد وعلي بن عيسى :

كانت بين غسان بن عباد وعلي بن عيسى عداوة عظيمة ، وكان على
ابن عيسى ضامنا أعمال الخراج والضياح ببلدة ما ، فبقيت عليه بقية قدرها
أربعون الف دينار فألح المأمون عليه بطلبها ، الى أن قال لعلى بن صاحب
الحاجب : امهله ثلاثة أيام فان أحضر المال والا فاضربه بالسياط حتى
يؤدى المال أو يتلف ♦

فانصرف علي بن عيسى من دارالمأمون آيسا من نفسه ، وهو لا يدري
وجها يتجه اليه ، فقال له كاتبه : لو عرجت على غسان بن عباد وعرفته
خبرك • لرجوت أن يعينك على أمرك ! فقال له : على ما بينى وبينه من
العداوة ؟ قال نعم : فان الرجل اريحي كريم •

فدخل على غسان ، فقام اليه وتلقاه بالجميل ، وأوفاه حقه من الخدمة
ثم قال له : الحال بينى وبينك كما علمت ، ولكن دخولك الى دارى له
حرمة فوجب بلوغ ما رجوته منى ، فان كانت لك حاجة فاذكرها :
فقص عليه القصة ، فقال : أرجو أن يكفيكه الله تعالى ، ولم يزد على
ذلك شيئاً • فهض علي بن عيسى ، وخرج آيسا نادما على قصده غسان ،
وقال لكاتبه : ما أفدتنى بالدخول على غسان غير تعجيل السماتة •

فلم يصل علي بن عيسى الى داره حتى حضر اليه كاتب غسان ومعه
البغال عليها المال فتقدم وسلمه ، وبكر الى دار أمير المؤمنين ، فوجد غسانا
قد سبقه اليها ودخل على المأمون وقال : يا أمير المؤمنين ان لعلي بن عيسى
بحضرتك حرمة وخدمة وسالف أصل ولقد لحقه من الخسران فى ضمانته
ما تعرفه الناس ، وقد توعدته بضرب أطار عقله وأذهب لبه ، فان رأى
أمير المؤمنين أن يجزيينى على حسن كرمه ببعض ما عليه ، فهى صنيعته
علي تحرس ما تقدمها من احسانه ، ولم يزل يتلطف الى أن حط عنه
النصف ، واقتصر على عشرين الف دينار •

فقال غسان : على أن يجدد عليه أمير المؤمنين الضمان ، ويشرفه
بخلعة تقوى نفسه ، وترهف عزمه ، ويعرف بها مكان الرضا عنه ، فأجابه
المأمون الى ذلك • قال : فيأذن أمير المؤمنين ان أحمل الدواة الى حضرته
ليوقع بما رآه من هذا الانعام ؟ قال : افعل • فحمل الدواة الى أمير
المؤمنين : فوقع بذلك وخرج علي بن عيسى بالخلعة والتوقيع بيده •

فلما حضر في داره حمل من المال عشرين الف دينار ، وأرسلها الى غسان وشكر له جميل فعله معه ، فقال غسان لكتابه : والله ما شفعت عند أمير المؤمنين الا لتوفر عليه ويتنفع بها ، فامض بها اليه ، فلما ردها كتبه الى علي بن عيسى علم قدر ما فعله معه غسان ، فلم يزل يعرفها له الى آخر العمر •

٢١ - لقد كان ذلك الرجل شوّماً :

خرج معن بن زائدة في جماعة من خواصه للصيد فاعترض طريقهم قطيع ظباء فتفرقوا في طلبه ، وانفرد معن خلف ظبي حتى انقطع عن اصحابه ، فلما ظفر به نزل فذبحه ، فرأى شيخاً مقبلاً من البرية على حمار ، فركب فرسه واستقبله فسلم عليه فقال : من أين ؟ والى أين ؟ قال : أتيت من أرض اجذبت منذ عشرين عاماً وقد اخضبت في هذه السنة ، فزرعتها مقثاة ، فاجرجت القناء في غير اوان ، فجمعت منها ما استحسنته ، وقصدت به معن بن زائدة لكرمه المشكور وفضله المشهور ومعروفه المأثور ، واحسانه الموقور •

قال : وكم أملت منه ؟ قال : ألف دينار قال : فان قال لك كثيراً ! قال : خمسمائة ، قال : فان قال لك كثير ! قال : فان قال لك كثير ! قال : مائة ، فما زال به حتى قال : لا أقل من الثلاثين ، قال فان قال لك كثير ، قال : ادخل قوائم حمارى في عينيه وارجع الى اهلى خائباً • فضحك معن ، وساق جواده حتى لحق بأصحابه ، ونزل في منزله وقال لحاجبه اذا أتاك شيخ على حمار بقناء فادخل به عليّ •

فأتى الرجل بعد ساعة ، فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلاله ، وكثرة حشمة وخدمه وهو متصدر في دسته ، والخدم قيام عن يمينه وشماله وبين يديه •

فلما سلم عليه قال : ما الذى أتى بك أخا العرب ؟ أملت الامير
وأنته بقاء فى غير أوان ، فقال : كم أملت فينا ؟ قال : الف دينار ! قال :
كثير ! فقال الشيخ فى نفسه والله لقد كان ذلك الرجل شؤماً على ! ثم
قال خمسمائة ، قال : كثير ، ثم ما زال به الى أن قال : خمسين ديناراً ،
فقال له كثير ! فقال : ألا أقل من الثلاثين ، فضحك معن ♦

فعلم الاعرابى انه صاحبه ، فقال : ياسيدى ان لم تجب الى الثلاثين
فالحمار مربوط بالباب ، وها هو ذا معن جالس ♦ فضحك معن حتى استلقى
على فراشه ثم دعا بوكيله فقال : اعطيه الفاً وخمسمائة وثلاثمائة ومائة
وخمسين ، وثلاثين ودع الحمار مكانه ♦

٢٢ - قل لكرام بيا بنا يلجوا :

بيننا عبدالله بن جعفر فى أزقة المدينة اذ سمع غناءً فأصغى اليه فاذا
بصوت شجى رقيق لقينة تغنى ♦

قل لكرام بيا بنا يلجوا ما فى التصابى على الفتى حرج
فنزل عبدالله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن ، فلما رأوه قاموا له
اجلالاً ورفعوا منزله ، ثم قال صاحب المنزل : يا ابن عم رسول الله ،
دخلت علينا منزلنا بلا اذن وما كنت لهذا بخليق ! فقال عبد الله : لم ادخله
الا باذن ، قال : ومن اذن لك ؟ قال : قينتك هذه سمعتها تغنى ♦

قل لكرام بيا بنا يلجوا

فان كنا كراما فقد أذن لنا ، وان كنا لثاماً خرجنا مذمومين ، فضحك
صاحب الفندق وقال : صدقت جعلت فداك ، ما أنت الا من اكرم
الاکرمين ♦

ثم بعث عبدالله الى جارية من جواريه ، فقال لها : غنى ، فغنت فطرب
لها الجمع ، وطرب عبدالله نفسه ، فدعا بثياب وطيب ، فكسا القوم وصاحب

المنزل وطيبهم ووهب له الجارية ، وقال له : هذه احذق بالغناء من جاريتك •

٢٣ - حاتم يقرى الضيف بعد موته :

مر نفر من عبد القيس بقبر حاتم ، فنزلوا قريبا منه ، فقام اليه رجل يقال له أبو الحخير لانه ولد فى خير ، وجعل يركل برجله قبره ويقول : اقرئنا ابا عدى ! فقال له بعضهم ، ويلك ! ما يدعوك أن تعرض لرجل قد مات ؟ قال ان طيا تزعم انه ما نزل به احد الا قرأه ، ثم أجنهم الليل فناموا •

فقام أبو الحخير من نومه فزعا وهو يقول : وارا حلتاه ! فقالوا له : مالك ، قال : أتانى حاتم فى النوم ، وعقر ناقتى بالسيف ، وانا انظر اليها ، ثم انشدنى شعرا حفظته يقول فيه :

أبا الحخير وانت امرؤ ظلوم العشيرة شتامها
أتيت بصحبك تبغى القرى لدى حفرة قد صدت هامها
أتبغى لى الـدم عند الميت وحوالك طى وانعامها
فانا لشبعب اضيافنا وتأتى الخطى فنعتامها

فقاموا ، واذا ناقة الرجل نكوس عقيراً ، فانتحروها وباتوا يأكلون لحمها ، وقالوا قرانا حاتم حيا وميتا •

واردفوا صاحبهم غداة صبح وانطلقوا سائرين ، واذا برجل راكبا بعيرا ويقود آخر ، وهو يقول : أيكم ابو الحخيرى ؟ قال الرجل أنا قال : فخذ هذا البعير ، أنا عدى بن حاتم ، جاءنى حاتم اليوم فى منامى وزعم أنه قرأكم بناقة ابى الحخير ، وامرنى ان احملك ، فشأنك والبعير ! ودفعه اليهم وانصرف •

٢٤ - عقيد المجد والجود :

كان لمعن بن زائدة شاعر يفتى مجلسه في كل يوم ، فانقطع عنه أياما فلما دخل عليه قال : ما ابطأك عن مجلسنا ؟ قال ولد لي مولود قال : فما سميته ؟ قال :

سميت معنأ بمعن ، ثم قلت له هذا سمي عقيد المجد والجود
قال معن : يا غلام أعطه الف دينار ، وقل بيتا آخر ، فقال :
سما بجودك جود الناس كلهم فصار جودك محراب الاجاويد
قال معن : يا غلام أعطه الف دينار أخرى وقل بيتا آخر ، فقال :
أنت الجواد ومنك الجود أوله وان فقدت فما جود بموجود
قال : يا غلام أعطه الفا ثلاثة وقل بيتا آخر ، فقال :

من نور وجهك تضحي الارض مشرقة ومن بنائك يجرى الماء في العدد
قال : يا غلام أعطه الفا رابعة ، وقل بيتا آخر ، فقال الغلام مخاطبا
الشاعر لا تقل شيئا بعد ذلك ، والله لم يبق في بيت ماله الا ما أخذت ، فأخذ
المال وانصرف شاكرا معجبا .

ثالثا - العفو عند المقدرة

ومن صفات العرب الاصيلة العفو عند المقدرة لان العفو عن المسيء ضرب من ضروب الشجاعة والكرم وهما صفتان عربيتان لا يتمازي فيهما اثنان ، وهاك قارئى الكريم بعض الامثلة الواقعية على ما جبلت عليه النفس العربية من عفو وصفح عمن أساء اليها عندما يقع في قبضتها ضعيف لا حول ولا طول له الا رحمة من أساء اليه وهذه بعض الامثلة .

١ - مكرمة :

حدث عمر بن العلاء فقال : جلس النعمان بن المنذر يوما وعليه حلة

مرصعة بالدر ، وبما كرم من الاحجار لم ير مثلها من قبل واذن للعربي بالدخول عليه وكان فيهم اوس بن حارثة ، فجعلت العرب تنظر الى الحلة وكل منهم يقول لصاحبه : ما رأيت مثل هذه الحلة قط ، ولا سمعت أن احدا من الملوك ملك مثلها - واوس بن حارثة مطرق لا ينظر اليها - فقال له النعمان : ما أرى كل من دخل علي الا استحسنت هذه الحلة وتحسنت مع صاحبه في امرها الا أنت ، ما رأيتك استحسنتها ولا نظرت اليها •

قال اوس : اسعد الله الملك ! انما تستحسن الحلة اذا كانت في يد التاجر - اما اذا كانت على الملك - واشرق فيها وجهه فنظري مقصود عليه لا عليها • فاسترجع عقله •

فلما عزموا على الانصراف قال لهم النعمان : اجتمعوا غدا الي فاني معط هذه الحلة لسيد العرب منكم ، فانصرف العرب عنه ، وكل يزعم ان البدالة ستكون غدا له وسيصبح سيد العرب •

فلما أصبحوا تزينوا بأفخر الملابس وتقلدوا بأحسن السيوف ، وركبوا اجود الخيل ، وحضروا الى النعمان ، وتأخر عنه اوس بن حارثة ، فقال له صحبه : مالك لا تغدو مع الناس الى مجلس الملك ، فلعلك تكون صاحب الحلة ، فقال اوس : ان كنت سيد قومي فما أنا بسيد العرب ، وان حضرت ولم أفز بها انصرفت منقوصا ، وان كنت المطلوب لها فسيعرف مكانى ، فامسكوا عنه •

ونظر النعمان في وجوه القوم فلم ير اوس بن حارثة بينهم ، فاستدعى بعض خاصته ، وقال له : اذهب لتعرف خبر اوس ، فمضى رسول النعمان واستخبر بعض اصحابه فأخبروه بمقاتلته ، فعاد الى النعمان فأخبره بذلك ، فبعث النعمان عليه ، وقال : احضر آمنا مما خفت عليه فحضر

اوس بشيابه التي حضر بها بالامس ، وكانت العرب قد استبشرت بتأخره
خوفا من أن يكون آخذ الحلة •

فلما حضر وأخذ مجلسه ، قال له النعمان : اني لم أرك غيرت ثيابك
في يومك فالبس هذه الحلة لتتجمل بها ، ثم خلعها والبسها أياه ، فاشتد
ذلك على العرب وحسدوه وقالو : لا حيلة لنا فيها الا ان نرغب الشعراء
بأن يهجوهم بقيق الفعل ، فانه لا يخفض رفعته الا الشعر فجمعوا فيما بينهم
خمسائة ناقة وآتوا بها الى رجل يقال جروول وقالوا له : خذ هذه واهج
لنا اوس بن حارثة •

وكان جروول يومها اشعر العرب واقواهم هجاءاً ، فقال لهم يا قوم
كيف اهجو رجلا حسيا نسييا لا ينكر بيته وكريميا لا يتقطع عطاؤه
وفيصلا لا يطغى على رأيه وشجاعا لا يضام نزيله ومحسنا لا أرى في بيتي
شيئا الا من اريحية فضله واحسانه •

فسمع بذلك بشر بن ابى حازم - وكان شاعرا - فرغب في البذل
وأخذ الابل ، وهجاه وذكر امه سعدى ، فسمع اوس بذلك ، فوجه في
طلبه ، فهرب وترك الابل ، فأتوا بها الى اوس بن حارثة ، فأخذها وشد
في طلبه ، وجعل بشر بن حازم يطوف في احياء العرب يلتمس عزيزا
يجيره على اوس ، وكل من قصده يقول : قد اجرتك الا من اوس بن
حارثة فاني لا اقدر أن اجير عليه - وكان اوس قد بعث عليه العيون ،
فرآه بعض من كان يرصده ، واتي به الى اوس ، فلما مثل بين يديه قال له
ويملك اتذكر امي وليس في عصرنا مثلها ؟ قال : قد كان ذلك أيها الامير !
فقال : والله لاقتلنك قتلة تحيا بها سعدى - يعنى امه •

ثم دخل اوس الى امه سعدى ، وقال : قد أتيتك بالشاعر الذي
هجاك وقد آليت لاقتلنه قتلة تحيين بها ! قالت : يا بني ، او خير من ذلك؟

قال: وما هو؟ قالت: انه لم يجد ناصرا منك. ولا مجيرا عليك، وانا قوم لانرى
فى اصطناع المعروف من بأس ، فبحقى عليك الا أطلقته ورددت عليه ابله ،
واعطيته من مالك مثل ذلك ، ومن مالي مثله وارجعه الى اهله سالما فانهم
آيسون منه .

فخرج له اوس ، وقال : ما تقول انى فاعل بك ؟ قال : تقتلنى
لا محالة ! قال : افتستحق ذلك ؟ قال نعم ، قال : ان سعدى التى هجوتها
قد اشارت بكذا وكذا ، وأمر بحل كتافه وقال له : انصرف الى اهلك
سالما وخذ ما أمرت لك به .

فرفع بشر يده الى السماء وقال اللهم أنت الشاهد على ألا أعود الى
شعري الا أن يكون مدحا فى أوس به حارته .

٢ - ارحموا عزيزا ذل :

وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طى فريقا من جنده ، يتقدمهم
علي بن أبى طالب عليه السلام ، ففزع عدى بن حاتم وكان من أشد الناس
عداءً لرسول الله فزع الى الشام ، فصيح على القوم واستاق خيلهم ونعمهم
ورجالهم ونساءهم الى رسول الله .

فلما عرض عليه الاسرى نهضت من بين القوم سفانة بنت حاتم
فقالت : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فان رأيت أن تخلي عني
ولا تشمت بى أحباء العرب ، فأن أبى كان سيد قومه ، يفك العاني ، ويقتل
الجانى ، ويحفظ الجار ، ويحمى الذمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم
الطعام ، ويفشى السلام ويحمل الكل ، ويعين على نوائب الدهر ، وما أتاه
احد فى حاجة فردده خائبا ، أنا بنت حاتم طى .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يا جارية ، هذه صفات المؤمن حقا
ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ، « خلوا عنها » فأن أباهما كان يجب

مكارم الاخلاق ثم قال : (ارحموا عزيزا ذل ، وغنيا افتقر ، وعالما ضاع بين جهال) • وامتنَ عليها بقومها فأطلقهم تكريما لها • فاستأذنته في الدعاء له : فأذن لها ، وقال لاصحابه : اسمعوا وعوا فقالت : أصاب الله ببرك مواعه ، ولا جعل لك الى لئيم حاجة ، ولا سلب نعمة عن كريم قوم الا جعلك سببا في ردها اليه •

فلما أطلقها رجعت الى أخيها عدى وهو بدومة الجندل فقالت له : يا أخى أيت هذا الرجل قبل أن تقلقك حيائه فأنى قد رأيت هدبا ورأيا سيغلب أهل الغلبة ، ورأيت خصالا تعجبني : رأيت يه حب الفقير ، ويفك الاسير ، ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير ، وما رأيت أجود ولا أكرم منه ، فأن يكن نبيا فللسابق فضله ، وان يكن ملكا فلن نزال في عز ملكه ، فقدمَ عدى الى رسول الله فأسلم وأسلمت سفانة ومعهما طي كلها •

٣ - معاوية يعفو :

لما استعمل معاوية زياد بن أبيه على العراق كتب اليه : اما بعد فأنظر عبدالله بن هاشم بن عتيبة ، فشد يده الى عنقه ، ثم ابعث به الي • فحمله زياد من البصرة مقيدا مغلولا الى دمشق ، فادخل على معاوية ، وعنده عمرو بن العاص ، فقال معاوية لعمرى : هل تعرف هذا ؟ قال لا ! قال : هذا الذى يقول أبوه يوم صفين :

انى شريف النفس لما اعتلا وأكثر اللؤم ما أقلا
اعور بنى أهله مملا قد عالج الحياة حتى ملا
لا بد أن يفُلَّ أو يُغَلَّ تيلهم بنى الكعوب تلا
لا خير عندي فى كرم ولى

فقال عمرو متمثلا :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

دونك يا أمير المؤمنين الضب المضب فاشخب أوداجه على أسباجه فلا
ترده الى العراق ، فإنه لا يصبر على النفاق ، وهم أهل غدر وشقاق وأن له
هوى سيوديه ، ورأيا سيطنغيه ، وبطانة ستعويه ، وجزاء سيئة سيئة مثلها •
فقال عبدالله : أما والله يا عمرو ، ان اقتل فرجل اسلمه قومه وأدركه
يومه ، أفلا كان هذا منك ، أو تجيد عن القتال ونحن ندعوك الى النزال !
فقال عمرو : أما والله لقد وقعت ولا أحسبك منفلتاً من مخاليب امير المؤمنين •
فقال عبدالله : أما والله يا ابن العاص ، أنك لبطل في الرخاء ، جبان
عند اللقاء ، غشوم " اذا وُليتَ ، هياب " اذا لقيتَ ، أفلا كان هذا منك ،
اذ غمرك أقوام لم يعنفوا صغاراً ولم يمزقوا كباراً ، لهم أيد شداد وألسنة
حداد •

فقال عمرو : أما والله لقد رأيت أباك يومئذ رخفق أحشاؤه من الخوف
فقال عبدالله : يا عمرو انا قد بلونك ومقاتلك ، فوجدنا لسانك كذوبا
غادرا ، خلوت بأقوام لا يعرفونك ، وجدنا لا يسأمونك ، ولو رمت المنطق
في غير أهل الشام لِحفظ اليه عقلك ، ولتَلَجَلَجَ لسانك ولاضطرب فخذاك
اضطراب التعود الذي أثقله حمله :

فقال معاوية : ايهاً عنكما وأمر باطلاق عبدالله ، جريا على عادة العرب
عندما يظفرون بأعدائهم ويعلنون التوبة أو الندم أو يتوخون أمراً أهم من
قتلهم في سبيل المصلحة العامة • وهنا أنشد عمرو :

وكان من التوفيق قتل ابن هاشم	أمرتك أمراً حازماً فعصيتني
أعان علياً يوم حز الغلاصم	أليس أبوه ، يا معاوية الذي
بصفين أمثال البحور الخضارم	فلم نَنشَنِ حتى جرت من دماننا
ويوشك أن يفرع به سنّ نادم	وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه
	فقال عبدالله يجيبه :

معاوية ان المرء عمراً أبت له
 يرى الك قتلي يابن هند وانما
 على انهم لا يقتلون أسيرهم
 وقد كان منا يوم صفين نصره
 قضى ما انقضى منها وليس الذي مضى
 فان تعف عني تعف عن ذى قرابة
 فقال معاوية :

أرى العفو عن عليا قريش وسيلة
 ولست أرى قتل العداة ابن هاشم
 بل العفو عنه بعد ما بان جرمه
 فكان أبوه يوم صفين جمرة
 الى الله فى اليوم العصب القمطر
 بادراك ثأرى فى لوى وعامر
 وزلت به احدى الجدود العواثر
 علينا فاردته رماح نهائر المهالك

٤ - هذا بغية امير المؤمنين :

أهدر أمير المؤمنين المنصور دم رجل ، كان يسعى بفساد دولته مع
 الخوارج من أهل الكوفة ، وجعل لمن دلّ عليه ، أو جاء به مائة الف درهم
 ثم أن الرجل ظهر فى بغداد ، فبينما هو يمشى متخفياً فى بعض نواحيها ،
 بصرَ به رجل من أهل الكوفة ، فعرفه ، فأخذ بمجامع ثيابه ، وقال: هذا
 بغية أمير المؤمنين ♦

فبينما الرجل على هذه الحال ، اذا سمع وقع حوافر الخيل ، فالتفت
 فاذا معن بن زائدة ، فاستغاثَ به وقال له ، أجرنى أجاك الله : فالتفت معن
 الى الرجل المتعلق به وقال له : ما شأنك وهذا ؟ فقال له : أنه بغية أمير
 المؤمنين الذى أهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم ، فقال دعه :
 وقال لغلامه : انزل عن دابتك وأحمل الرجل عليها ♦

فصاح الرجل المتعلق به وصرخ واستجار بالناس ، وقال : أيحال

بنى وبين بغية أمير المؤمنين؟ فقال له معن : اذهب فقل لأمير المؤمنين ،
وأخبره أنه عندي ♦

فانطلق الرجل الى المنصور وأخبره فأمر المنصور باحضار معن فى
الساعة ، فلما وصل أمر المنصور الى معن ، دعا جميع أهل بيته ومواليه
وأولاده وأقاربه وحاشيته ، وجميع من يلوذ به ، وقال لهم : أقسم عليكم
ألا يصل الى هذا الرجل مكروه ابدا ، وفيكم عين تطرف ♦

ثم انه سار الى المنصور ، فدخل عليه وسلم ، فلم يرد عليه المنصور
السلام ♦ ثم قال له : يا معن ، أتتجراً علي؟ قال : نعم ♦ يا أمير المؤمنين !
فقال المنصور : ونعم ايضا؟ وقد اشتد غضبه ، فقال معن : يا أمير المؤمنين
كم من مرة تقدم فى دولتكم بلائى ، وحسن غنائى؟ وكم من مرة خاطرت
بدمى؟ أفما رأيتمنى أهلاً لأن يوهب لي رجل واحد استجار بى بين
الناس ، بوهمه انى ذو حضوة عند أمير المؤمنين ، فمر بما شئت ، وها أنذا
بين يديك ♦

فأطرق المنصور ساعة ، ثم رفع رأسه ، وقد سكن ما به من الغضب ،
وقال له : قد أجرنا لك يا معن ، فقال له معن : ان رأى أمير المؤمنين أن
يجمع بين الأجرين فيأمر له بصلته أحياء وأغناه ♦

فقال المنصور : قد أمرنا له بخمسين الف درهم ♦ فقال له معن يا أمير
المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية ، وأن ذنب الرجل لعظيم ،
فأجزل له صلته ♦ قال : قد أمرنا له بمائة الف درهم ♦ فقال معن : عجلها
يا أمير المؤمنين فإن خير البر عاجله ، فأمر بتعجيلها ، فحملها وانصرف ،
وأتى منزله وقال للرجل :

يا رجل خذ صلتك ، والحق بأهلك ، وأياك ومخالفة الخلفاء فى أمورهم

بعد هذه ♦

٥ - أموى عند الرشيد :

رفع الى هارون الرشيد أن رجلا بدمشق من بقايا بنى أمية عظيم المال كبير الجاه ، مطاع فى البلد ، له جماعة وأولاد وممالك يركبون الخيل ويحملون السلاح ، ويغزون الروم ، وانه سمح جواد ، وانه لا يؤمن منه ، فعظم ذلك على الرشيد •

فقال لخادمه منارة : اخرج الساعة وابدأ بالرجل فقيده وجئنى به ، واجعله فى مَحْمَلٍ تقعد أنت فى نصفه ويقعد هو فى الاخرى ، وتفقد داره ، واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف •

قال منارة : فأتيت بيت الرجل ، ودخلت بغير أذنه ، فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض من معى عنى ، فلما صرت فى صحن الدار نزلت ، ودخلت مجلسا رأيت فيه قوما جلوسا ، فظننت أن الرجل فيهم ، فقاموا ورحبوا بى ، فقلت : أفيكم فلان ؟ قالوا : نحن أولاده وهو فى الحمام ، فقلت استعجلوه ، فمضى بعضهم يستعجله ، وأنا أتفقد الدار والاحوال والحاشية ، فوجدتها ماجت موجا كبيرا • فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن طال مكثه ، واستربت فى أمره ، واشتد خوفى وقلقى من أن يتوارى ، الى أن رأيت شخصا بزى الحمام يمشى فى صحن الدار وحوله جماعة كهول وأحداث وصبيان ، وهم أولاده وعلمانه ، فعلمت انه الرجل •

فجاء وسلم وسألنى عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته ، فأخبرته بما وجب وما قضى كلامه حتى جاؤا بأطباق فاكهة فقال : تقدم يا منارة وكل معنا فقلت : ما لي الى ذلك من سبيل ، فلم يعاودنى وأكل هو ومن معه ، ثم جاؤا بمائدة حسنة ، فقال : يا منارة ، ساعدنا على الاكل ، فامتنت عنه فما عاودنى •

فلما فرغ من أكله قام الى الصلاة فصلى وأكثر من الدعاء والابتهاال

ثم قال لي : ما أقدمك يا منارة ؟ فأخرجت كتاب أمير المؤمنين ، فدفعته إليه ففضه وقرأه ثم أمر أولاده بالانصراف وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين ولست أقيم بعد نظري فيه ساعة واحدة ، هات قيودك يا منارة ، فدعوت بها وقيدته وحملته • وركبت في الشق الآخر من المحمل ، وسرت بالرجل ، وليس معه أحد حتى صرنا بظاهر دمشق فبدأ يحدثني بانسباط حتى انتهينا الى بستان حسن في الغوطة ، فقال : لي : أتري هذا ؟ قلت نعم ، قال انه لي ، وفيه من غرائب الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى آخر ، فقال مثل ذلك ، ثم انتهى الى مزارع حسان وقرى ، فقال مثل ذلك •

فأشئت غيظي منه وقلت : ألسنت تعلم أن أمير المؤمنين أهمه أمرك حتى أرسل إليك من انتزعتك من بين أهلك ومالك وولدك ، وأخرجك فريدا مقيدا لا تدري الى ما يصير اليه أمرك ، ولا كيف يكون ! وأنت فارغ القلب من هذا حتى تصف ضياعك وسائينك ؟ •

فقال : انا لله وانا اليه راجعون : اخطأت فراستى فيك ، لقد ظننتك أنك رجل كامل العقل ، وأنت ما حللت من الخلفاء هذا المحل ، الا لما عرفوك بذلك ، فاذا بكلامك يشبه كلام العوام ، والله المستعان •

أما قولك في أمير المؤمنين وازعاجه واخراجه أي الى بابه على صورتى هذه فاني على ثقة من الله عز وجل الذي بيده ناصية أمير المؤمنين ، ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه نفعا ولا ضرا الا بأذن الله عز وجل ، ولا ذب لي عند أمير المؤمنين أخافه ، وبعد ، اذا عرف أمير المؤمنين أمرى ، وعرف سلامتى وصلاح ناحيتى سرخنى مكرما ، فإن الحساد والاعداء رموني عنده بما ليس فيّ وتقولون علي الاقاول - حسدا منهم - فلا يستحل دمى فيردنى معززا ويقيمنى في بلاده مبجلا ، وان كان قد سبق في علم الله عز وجل انه يبدر الي منه بادرة سوء ، وقد حضر أجلي ، وكان سفك دمى

على يده ، فاني أحسن الظن بالله الذي خلق ورزق ، وأجار وأمان ، وأن
الصبر والرضا والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة ، وقد كنت أحسب
أنك تعرف هذا ، فاذ عرفت مبلغ فهمك فاني لا أكلمك بكلمة واحدة حتى
يفرق بيننا أمير المؤمنين ان شاء الله تعالى •

قال منارة : ثم أعرض عنى فما سمعت منه لفظة غير التسييح أو طلب
المال أو الحاجة حتى شارفنا الكوفة •

ودخلت على الرشيد ، وقبلت الارض بين يديه ووقفت ، فقال : هات
ما عندك يا منارة ، فسقت له الحديث من أوله الى آخره ، فلما جئت على
آخره قال : صدق الله ! ما هذا الرجل الا محسود النعمة مكذوب عليه ،
ولعمري لقد أزعجناه وآذيناه وروعنا أهله ، فبادر بنزع قيوده وأتتني به ،
وأدخلته على الرشيد ، فما رآه حتى رأيت ماء الحياء يجول في وجه الرشيد ،
فدنا الاموى وسلم بالخلافة ووقف ، فرد عليه الرشيد ردا جميلا وأمره
بالجلوس فجلس ، فأقبل عليه الرشيد وسأله عن حاله ، ثم قال له : بلغنا
عنك فضل هيئة وأمور أحبينا معها أن نراك ونسمع كلامك ، ونحسن اليك
فاذكر حاجتك ، فأجاب الاموى جوابا جميلا ، وشكر ودعا ثم قال : يا أمير
المؤمنين أن تردني الى بلدى وأهلي ووالدى ، قال : نفعل ذلك ، ولكن سل
ما تحتاج اليه فى مصالح جاهك ومعاشك ، فأن مثلك لا يخلو أن يحتاج
شيئا من هذا ، فقال يا أمير المؤمنين عمالك منصفون ، وقد استغنيت بعدلهم
عن مسألتى ، فأمرى مستقيمة وكذلك أهل بلدى بالعدل الشامل فى ظل
أمير المؤمنين •

فقال الرشيد : انصرف محفوظا الى بلدك ، واكتب الينا بأمر ان عرض
لك فودعه الاموى وانصرف •

قال منارة : فلما خرج قال الرشيد : يا منارة احمله من وقتك وسر به

راجعا كما جئت به ، حتى اذا وصلته الى مجلسه الذى أخذته منه فدعه
وانصرف .

٦ - أفضل الاصحاب :

كان محمد بن حميد الطوسى على غذائه يوما مع جلسائه واذا بصيحة
عظيمة على باب داره ، فرفع رأسه وقال لبعض غلمانه ما هذه الضجة ؟ من
كان على الباب فليدخل .

فخرج الغلام ثم عاد اليه ، وقال : ان فلانا أخذ وأوثق بالحديد ،
والغلمان ينتظرون أمرك فيه ، فرفع يده من الطعام فقال رجل من جلسائه :
الحمد لله الذى أمكنك من عدوك ، فسييله أن تسقى الارض من دمه ، وأشار
كل من جلسائه عليه بقتله . ثم قال : يا غلام فك عنه وثاقه ، ويدخل الينا
مكرما .

فادخل عليه رجل لا دم فيه ، فلما رآه هش اليه ، ورفع مجلسه
وأمر بتجديد الطعام ، وبسطه بالكلام الطيب حتى انتهى الطعام ثم أمر له
بكسوة حسنة ، وصلة ، وأمر برده الى أهله مكرما عزيزا ولم يعاتبه على
جرم ولا جناية .

ثم التفت الى جلسائه وقال لهم : ان أفضل الاصحاب من حَضَّ
الصاحب على المكارم ، ونهاه عن ارتكاب المآثم ، وحسن لصاحبه أن يجازى
الاحسان بضعفه ، والاساءة بصفحة ، انا اذا جازيتنا من أساء الينا بمثل
ما أساء فأين موقع الشكر على النعمة فيما أتيج من الظفر ! انه ينبغي لمن
حضر مجالس الملوك أن يمسك الا عن قول سديد وأمر رشيد فأن ذلك أدوم
للنعمة، واجمع للألفة، ان الله تعالى يقول : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وقولوا قولا سديدا ، يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله
ورسوله فقد فاز فوزا عظيما» .

٧ - ابراهيم بن المهدي والمأمون :

قال الواقدي : كان ابراهيم بن المهدي قد ادعى الخلافة لنفسه في بلاد الري وملكها سنة وأحد عشر شهرا واثني عشر يوما وله أخبار كثيرة احسنها عندي ما حكاه لي قال : لما دخل المأمون الري في طلبي ، وجعل لمن أتاه بي مائة ألف درهم ، خفت على نفسي وتحيرت في امري ، فخرجت من داري وقت الظهيرة ، وكان يوما صائفا ، وما ادري أين اتوجه ، فوقفت في شارع نافذ وقلت (انا لله وانا اليه راجعون) ان عدت على أئري يرتأب في أمري •

ثم رأيت في صدر الشارع رجلا قائما على باب داره فتقدمت اليه وقلت : هل عندك موضع اقيم فيه ساعة من نهار ؟ فقال نعم وفتح الباب فدخلت الى بيت نظيف فيه بسط ووسائد جلود الا انها نظيفة ، ثم اغلق الباب عليّ ومضى ، فتوهمته قد سمع الجمالة فيّ وانه خرج ليدل عليّ ، فبقيت على مثل النار •

وبينما أنا كذلك اذ أقبل ومعه حمال عليه كل ما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديدة وجرة نظيفة ، وكيزان جدد ، فحط عن الحمل ثم التفت اليّ وقال : جعلني الله فداك أنا رجل حجام وانا أعلم انك تتقدرني لما اتولاه من معيشتي فشأنك بما لم تقع عليه يد •

وكان بي حاجة الى الطعام ، فطبخت لنفسي قدرا ما أذكر اني أكلت مثلها ولما قضيت أربى من الطعام قال : يا سيدي : ليس من قدرى أن أسألك الغناء ، فان رأيت أن تشرفني فلك علو الرأي فقلت من أين عرفت اني أحسن الغناء فقال : سبحان الله • مولانا اشهر من ذلك ، أنت ابراهيم ابن المهدي خليفتنا بالامس ، الذي جعل المأمون لمن دل عليه ألف درهم فلما قال ذلك : عظم في عيني وثبتت مروءته عندي فناولته العود وأصلحته وقد مر بخاطري فراق أهلي وولدي فقلت :-

وعسى الذى أهدي ليوسف أهله وأعززه فى السجن وهو أسير
أن يستجيب لنا فيجمع شملنا والله رب العالمين قدير
فاستولى عليه الطرب المفرط ، وطاب عيشه كثيرا ، ومن شدة سروره
وطربه قال : يا سيدى أتأذن لى أن اغنى ما سنح بخاطرى ، وان كنت من
غير أهل هذه الصناعة ، فقلت : هذا زيادة فى أدبك ومروءتك فأخذ العود
وغنى وقال :

شكونا الى احبابنا طول ليلنا فقالوا لنا : ما أقصر الليل عندنا
وذلك لان النوم يغمى عيونهم سريعا ولا يغنى لنا النوم أعينا
اذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا
فو الله لقد أحسست بالبيت قد سار بى ، وذهب عنى ما كان بى من
الهلح وسألته أن يغنى مرة ثانية فغنى :

تعيرنا انا قليل عديدا فقلت لها : ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا لقوم لا نرى القتل سبة اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول

فداخلى من الطرب ما لا مزيد عليه ، ثم عاجلنى النوم فلم أستفق
الا بعد الغروب •

فعادنى فكرى فى نفاسة هذا الحجام وحسن أدبه وظرفه فقمتم وغسلت
وجهى وابقظته وأخذت خريطة كانت صحبتي ، فيها دنائير لها قيمة فرميت
بها اليه وقلت له : استودعتك الله ، فانى ماضٍ من عندك وأسألك أن تنفق
ما فى هذه الخريطة ، ولك عندى المزيد ان أمنت من خوفى •

فأعادها على منكرى ، وقال : يا سيدى ! ان الصعاليك منا لا قدر لهم

عندك ، آأخذ على ما وهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندي ثمناً • والله
لئن راجعتني في ذلك لأقتلن نفسي ، فأعدت الخريطة الى كمي وقد أقتلني
حملها •

ولما هممت بالخرول قال لي : يا سيدي ، ان هذا المكان أخفي لك
من غيره • وليس في مؤنتك على ثقل ، فأقم عندي الى أن يفرج الله عنك ،
فرجعت وسألته أن ينفق من تلك الخريطة فلم يفعل • فأقمت عنده أياما
على تلك الحالة في ألدّ عيش ثم تدمت في الإقامة عنده واحتشمت من
التقيل عليه ، فتركته - وقد مضى يجدد لنا حالا • وقمت فتزينت بزى
النساء وخرجت ، فلما سرت في الطريق داخلني من الخوف أمر شديد وجئت
لاعبر الجسر ، فاذا انا بموضع مرشوش بالماء فأبصرني جندي ممن كان
يخدمني فعرفني وقال : حاجة المأمون • ثم تعلق بي ، فدفعته هو وفرسه ،
فرميتها في ذلك الزلق فصار عبرة ، وتبادر الناس اليه فاجتهدت في المشي حتى قطعت
الجسر ، ودخلت شارعاً فوجدت باب دار وامرأة واقفة في دهليز ، فقلت : يا سيده
النساء ، احقني دمي ، فاني رجل خائف • فقالت : على الرحب والسعة
واطلعتني الى غرفة مفروشة ، وقدمت لي طعاماً ، وقالت : ليهدا روعك فما
علم بك مخلوق ، واذا الباب يدق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب ، واذا
بصاحبى الذى دفعته على الجسر ، وهو مشدوخ الرأس ودمه على ثيابه
وليس معه فرس ! فقالت : يا هذا ما دهاك ؟ فأخبرها بما وقع له منى ،
فأخرجت خرقة ، وعصبتة بها ، وفرشت له فنام عليلاً ، ثم طلعت الى وقالت
أظنك صاحب القصة ، فقلت : نعم •

فقالت : لا بأس عليك ، ثم جدت لي الكرامة وأقمت عندها ثلاثاً ،
ثم قالت لي : اننى خائفة عليك من هذا الرجل وأخشى أن ينم بك ، فانج بنفسك •
فسألته المهلة الى الليل ففعلت ، فلما دخل الليل لبست زى النساء وخرجت
من عندها ، فأتيت الى بيت مولاة كانت لنا ، فلما رأتنى بكت وتوجعت

وحمدت الله على سلامتي ، وخرجت كأنها تريد السوق للاهتمام بالضيافة
 فظننت خيرا ، فما شعرت الا واحد رجال المأمون بخيله ورجاله ، والمولاة
 معه حتى سلمتني اليه فرأيت الموت عيانا وحملت بالزى الذى أنا فيه الى
 الى المأمون • فجلس مجلسا عاما ، وأدخلني اليه ، فلما مثلت بين يديه
 سلمت عليه بالخلافة فقال : لا سلم الله عليك • ولا حياك ولا رعاك ،
 فقلت له : على رسلك يا أمير المؤمنين : ان ولىّ الثأر محكم بالقصاص
 والعفو أقرب للتقوى ، وقد جعلك الله فوق كل عفو ، كما جعل
 ذنبي فوق كل ذنب ، فان تأخذ بحقك ، وان تغف بفضلك ثم أنشدت :

ذنبى اليك عظيم وأنت أعظم منه
 فخذ بحقك أولا فاصفح بحلمك عنه
 ان لم أكن فى فعالى من الكرام فكنه
 فرفع الىّ رأسه فبدرته وقلت :

أتيت ذنبا عظيما وأنت للعفو أهل
 فان عفوت فحسن وان جزيت فعدل

فرق المأمون واستروحت روائح الرحمة من شمائله ثم أقبل على
 ابنه العباس وأخوه أبو اسحاق وجميع من حضر من خاصته فقال :
 ما ترون فى أمره • فكل أشار بقتلى الا انهم اختلفوا فى طريقة القتل كيف
 تكون • ثم قال المأمون لاحمد بن أبى خالد : ما تقول يا أحمد ؟ فقال :
 يا أمير المؤمنين ان تقتله وجدنا مثلك من قتل مثله ، وان عفوت عنه لم نجد
 مثلك من عفا عن مثله • فنكس المأمون رأسه وجعل ينكت فى الارض وأنشد
 متمثلا •

قومى هم قتلوا اميم أخى فاذا رميت رميت بعينى سهمى

فكشفت المقنعة عن رأسى ، وكبرت تكبيرة عظيمة ، وقلت : عفا
 - والله - عنى أمير المؤمنين • فقال المأمون : لا بأس عليك يا عم ! فقلت :

ذنبى يا أمير المؤمنين أعظم من أن اتفوه معه بعذر ، وغفوك أعظم من أن أنطق
معه بشكر ، ولكن أقول :

ان الذى خلق المكارم حازها فى صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة وتظل تكلوهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة تمدنى أسبابها الابنية طائع
فعفوت عنى لم يكن عن مثله عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت أطفالا كأفراخ القطا وحين والدة بلب جازع

فقال المأمون : لا تريب عليك اليوم ، قد عفوت عنك ، ورددت عليك
مالك وضياعك فقلت :

رددت مالى ولم تبخل علىّ به وقبل ردك مالى قد حققت دمي
فلو بذلت دمي - أبغى رضاك به - والمال، حتى اسل النعل من قدمي
ما كان ذلك سوى عادية رجعت اليك لولم تعرها كنت لم تلمّ
فان جحدتك ما أدليت من كرم انى الى اللؤم أولى منك بالكرم

فقال المأمون : ان من الكلام لدرا ، وهذا منه ، وخلع علىّ وقال :
يا عم ان أبا اسحاق والعباس أشارا بقتلك ، فقلت : انهما نصحاك يا أمير
المؤمنين ! ولكن اثبت بما أنت أهله ، ودفعت ما خفت بما رجوت ، فقال
المأمون : أمتّ حقدى بحياة عذرك وقد عفوت عنك ولم اجرعك مرارة
امتنان الشافعين ، ثم سجد طويلا ورفع رأسه وقال : يا عم أتدرى لمّ
سجدت ؟ قلت شكرا لله الذى أظفرك بعدو دولتك . فقال : ما أردت
هذا ، ولكن شكرا لله الذى الهمنى العفو عنك ، فحدثنى الآن حديثك ،
فشرحت له ما كان من أمرى ، فأمر باحضار امرأة الجندى وأدخلها الى
القصر وقال : هذه امرأة عاقلة تصلح للمهمات ، وأحضر الحجام فقال له :
لقد ظهر من مروءتك ما يوجب المبالغة فى اكرامك ، ثم خلع عليه واجرى
له الف دينار فى كل عام ، ولم يزل فى تلك النعمة الى أن مات .

٨ - المأمون يعفو عن الحسين بن الضحاك :

قال محمد بن أبي الازهر : كنت بين يدي المأمون واقفا فأدخل عليه ابن البواب الحاجب رقة فيها أبيات ، وقال : ان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في انشادها ! فظننها له ، فقال هات فانشدها :

أجرني فاني قد ظممت الى الوعد متى تنجز الوعد المؤكد بالعهد ؟
أعيذك من خلق الملوك وقد بدا تقطع انفاس عليك من التوجد
ايخل فرد الحسن عني بنائل قليل ، وقد أفردته بهوى فرد
الى أن بلغ الى قوله :

رأى الله عبدالله خير عباده فملكه والله أعلم بالعباد
الا انما المأمون للناس عصمة مميزة بين الضلالة والرشاد

فقال المأمون : أحسنت يا عبدالله ! فقال : يا أمير المؤمنين بل أحسن
قائلها • قال : ومن ؟ قال : عبدك الحسين بن الضحاك ، فغضب ثم قال :
لا حيا الله من ذكرت ولا بياه ولا قربه ولا انعم عليه به عينا ليس هو
القائل :

أعيني جواد وابكيا لي محمدا ولا تذخرا دمعاً عليه واسعدا
فلا تمت الاشياء بعد محمد ولا زال شمل الملك فيه مبدا
ولا مرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريدا مشردا

هذا بذاك ولا شيء له عندنا ، فقال له ابن البواب فأبى فضل أمير
المؤمنين ، وسعة حلمه ، وعادته في العفو •

فأمره باحضاره ، فلما حضر سلم فرد عليه ردا جافيا ثم أقبل عليه فقال :
اخبرني عنك • هل عرفت يوم قتل أخي محمد - رحمه الله - هاشمية
قتلت أو هتكت ؟ قال : لا • قال فما معنى قولك :

وسرب ظباء من دؤابة هاشم هتفن بدعوى خير حي وميت
ارد يداً منى اذا ما ذكرته على كبد حرى وقلب مفتت

فلا بات ليل الشامتين لغبطه ولا بلغت آمالهم ما تمت
فقال : يا أمير المؤمنين : لوغة غلبتني ، وروعة فاجأتني ، ونعمة فقدتها
بعد أن غمرتني ، واحسان شكرته فأنطقني وسيد فقدته فأفلقني ، فان عاقبت
فبحقك ، وان عفوت بفضلك •

فدمعت عينا المأمون وقال : لقد عفوت عنك ، وأمرت برد رزقك ،
واعطائك ما فات منها ، وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخدامك •

٩ - ان قريشا تحدث انك من أحلمها :-

كتب معاوية الى واليه بالكوفة أن يحمل اليه أم الخير بنت الحرث
البارقية برحلتها ، وأعلمه انه مجازيه بقولها فيه : بالخير خيرا وبالشر شرا •
فلما ورد عليه كتابه ، ركب اليها فأقرأها اياه ، فقالت : أما أنا فغير
زائفة عن طاعة ، ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور
تختلج في صدري •

فلما حملها وأراد مفارقتها ، قال لها : يا أم الخير ، ان أمير المؤمنين
كتب الى : انه يجازيني بقولك فيّ بالخير خيرا وبالشر شرا ، فما عندك ؟
قالت : يا هذا ، لا يطمعك برك بي أن اسرك بباطل ، ولا تؤنسك معرفتي
بك أن أقول غير الحق •

فسارت خير مسير ، حتى قدمت على معاوية ، فانزلها مع حريمه
ثلاثا ثم اذن لها في اليوم الرابع ، وعنده جلساؤه ، فقالت : السلام عليك
يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، قال لها : وعليك السلام يا ام الخير ،
وبالرغم منك دعوتيني بهذا الاسم ، قالت : مه يا أمير المؤمنين لكل أجل
كتاب •

قال : صدقت ، فكيف حالك يا خالة ؟ وكيف كنت في مسيرك ؟
قالت : لم أزل في عافية وسلامة حتى صرت اليك ، فأنا في عيش أنيق عند

ملك رقيق ، قال معاوية : بحسن نيتي ظفرت بكم ، وأعت' عليكم !
قالت : يا أمير المؤمنين اعيذك بالله من دحض المنال وما تردى عاقبه قال :
ليس لهذا أردناك ، قالت : انما أجرى في ميدانك ، فاسأل عما بدا لك !
قال : اخبريني كيف كان كلامك يوم قتل عمار بن ياسر ، قالت : لم أكن والله
زرته قبل ، ولا رويته بعد ، وانما كانت كلمات نفهن لساني حين الصدمة ،
فان شئت أن أجد لك مقالا غير ذلك فعلت ، قال : لا أشاء ذلك •

ثم التفت الى أصحابه فقال : أيكم يحفظ كلام أم الخير ؟ فقال رجل
من القوم : أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظي سورة الحمد ، قال : هاته ،
قال : نعم ، كأتى بها يا أمير المؤمنين في ذلك اليوم عليها برد زبيدي كيف
الحاشية وهي على جمل أرمك ، وقد احيط حولها حواء ، ويدها سوط
منتشر الضفر وهي كالفحل يهدر في شبقشته تقول :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ، ان الله قد
أوضح الحق ، وأبان الدليل ، ونور السبيل ، ورفع العلم ، فلم يدعكم في
عمياء مبهمة ، ولا سوداء مدلهمة ، فالى أين تريدون رحمكم الله ! أفرارا
عن أمير المؤمنين أم فرارا من الزحف ، أم رغبة عن الاسلام ، أم ارتدادا
عن الحق ، أما سمعتم قول الله عز وجل (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلو أخباركم) •

ثم رفعت رأسها الى السماء وهي تقول :

قد عيل الصبر ، وضعف اليقين ، وانتشر الرعب ، ويديك يا رب ازمة
القلوب • فاجمع الكلمة على التقوى ، وألف القلوب على الهدى ، واررد
الحق الى أهله ، هلموا رحمكم الله الى الامام العادل ، والوصي الوفي ،
والصديق الاكبر ، انها احن بدرية ، وأحقاد جاهلية ، وضغائن أهدية ،
وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك بها ثارات بنى عبد شمس •

ثم قالت : (قاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) صبرا

معشر المهاجرين والانصار ، قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ،
وكأني بكم غدا قد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرت من قسورة ، لا تدرى
أين يسلك بها من فجاج الارض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة
بالهدى ، وباعوا البصيرة بالعمى ، وعماء قليل ليصبحن نادمين حتى تحل بهم
الندامة ، فيطلبون الاقالة : انه والله في ضل عن الحق وقع في الباطل ،
ومن لم يسكن الجنة نزل النار •

أيها الناس ، ان الاكياس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها واستبطوا
مدة الآخرة فسعوا لها : فالله الله أيها الناس ، قبل أن تبطل الحقوق ، وتعطل
الحدود ، ويظهر الظالمون ، وتقوى كلمة الشيطان ، فإلى أين تريدون
- رحمكم الله - عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته
وإبي إبنه ! خلق من طينته وتوزع عن نبعته ، وخصه بسره وجعله باب
مدينته ، فلم يزل كذلك يؤيده الله بمعوثته ، ويمضى على سنن استقامته ،
وهو مفلق الهام ومكسر الاصنام ، اذ صلى والناس مشركون ، واطاع
والناس مرتابون ، فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزى بدر ، وأفنى أهل
احد ، وفرق جمع هوازن ، فإلها وقائع زرعت في قلوب قوم نفاقا وردة
وشقاقا ، وقد اجتهدت في الثقول ، وبالغت في النصيحة ، وبالله التوفيق ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

فقال معاوية : والله يا أم الخير ما اردت بهذا الا قتلى ! والله لو قتلتك
ما لامنى أحد بذلك •

فقال : والله ما يسوءني يا ابن هند ان يجرى الله ذلك على يدي من
يسعدني الله بشقاقه ، قال : هيهات ! يا كثيرة الفضول ! ما تقولين في عثمان
ابن عفان ؟ قالت : وما عسيت أن أقول فيه ! استخلفه الناس وهم كارهون
وقتلوه وهم راضون ، فقال : ايها أم الخير ، هذا ثناؤك الذي تشين ؟ قالت :

لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا ، ما أردت بعثمان نقصا ، ولقد كان سباقا الى الخيرات ، وانه الرفيع الدرجات •

قال : فما تقولين في طلحة بن عبيد الله ؟ قالت : وما عسى أن أقول في طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ، واتي من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، قال : كما تقولين في الزبير ؟ قالت : يا هذا لا تدعني كرجيع الصبيغ يُعراكُ في الركن ، قال : حقا لتقولن ذلك ، وقد عزمت عليك قالت : وما عسيت أن أقول في الزبير ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ولقد كان سباقا الى كل مكرمة في الاسلام ، واني اسألك بحق الله يا معاوية ، فان قريشا تُحدّثُ انك من احلمها ، ان تسعني بفضل حلمك ، وان تعفيني من هذه المسائل ، وامنض لما شئت من غيرها ، قال : نعم ، وكرامة قد اعفيتك ، وردها مكرمة الى بلدها •

١٠ - مثلك من قدر فعفا :

لما ولي معاوية الخلافة ، وانتظمت اليه الامور ، وامتألت منه الصدور ، واذعن لامره الجمهور ، وساعده الله في مراده ، استحضر ليلة خواص اصحابه وذاكرهم وقائع أيام صفين ، ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين ، فانهمكو في القول الصحيح والمريض ، وآل حديثهم الى من كان يَجْتَهِدُ في ايقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا : امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدى ، كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف ، وترفع صوتها صارخة : يا أصحاب عليّ ، تسمعهم كلاما كالصوارم ، مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل ، والمدبر لاقبل والمسالم لحارب ، والنفار لكر ، والمتزلزل لاستقر •

فقال لهم معاوية : ايكم يحفظ كلامها ؟ قالوا : كلنا نحفظ قال : فما

تشيرون عليّ فيها؟ قال نشير بقتلها ، فانها أهل لذلك فقال لهم معاوية :
بئس ما اشرتم به ، وقبحا لما قلتم ، ايحسن أن يشتهر عنى انى بعدما ظفرت
وقدرت قتلت امرأة قد وفّت لصاحبها • انى اذن للئيم ، لا والله لا فعلت
ذلك أبدا •

ثم دعا بكتابه فكتب كتابا الى وليه بالكوفة : أن انفذ الى الرزقاء بنت
عدى ، مع نفر من عشيرتها وفرسان قومها ، ومهد لها وطاءً ليناً ومركبا
ذلولا :

فلما ورد عليه الكتاب وقرأه عليها ، فقالت بعد قراءة الكتاب : ما أنا
بزائغة عن الطاعة • فحملها في هودج ، وجعل غشاه خزاناً مبطناً ثم احسن
صحبتها •

فلما قدمت ، علي معاوية قال لها : مرحبا واهلا ، خير مقدم قدمه
وافد • كيف حالك يا خالة؟ وكيف رأيت سيرك؟ قالت ربيبة بيت او
طفلا ممهدا ، فقال : بذلك أمرناهم ، هل تعلمين لم بعثت اليك؟ قالت :
وانى لى بعلم ما لم اعلم؟ لا يعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى قال : الست
الراكبة الجمل الاحمر يوم صفين؟ وانت بين الصفوف توقدين نار الحرب
وتحرضين على القتال؟ قالت : نعم ، قال : فما حملك على ذلك؟ قالت :
يا أمير المؤمنين ، انه قد مات الرأس وبتر الذنب ، والن يعود ما ذهب ،
والدهر ذو غير ، ومن تفكر ابصر والامر يحدث بعده الامر •

فقال : صدقت ، فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت ! قالت لا والله
ولقد نسيت ، قال : لله ابوك ، فلقد سمعتك تقولين أيها الناس ، ارعوا
وارجعوا انكم اصبحتم في فتنه غشتكم جلايب الظلم ، و جاءت بكم عن
قصد المحجة فيا لها فتنه عمياء صماء بكماء لا تسمع لناعقها ولا تسلس لقائدها •
ان الصياح لا يضيىء في الشمس ، وان الكواكب لا تنير مع القمر ،

وان البغل لا يسبق الفرس ، ولا يقطع الحديد الا بالحديد ألا من استرشدنا
ارشدناه ومن سألنا اخبرناه •

أيها الناس ان الحق كان يطلب ضالته فاصابها ! فصبرا يا معشر
المهاجرين والانصار على الغصص ! فكأنكم وقد التأم شمل الشتات وظهرت
كلمة العدل ، وغلب الحق باطله ، فانه لا يستوى المحق والمبطل • افمن كان
مؤمنا كما كان فاسقا ؟ لا يستويون ، فالنزل النزال ، والصبر الصبر ! الا
ان خضاب النساء الحناء ، وخضاب الرجال الدماء • والصبر خير الامور
عاقبة • اثموا الحرب غير ناكسين فهذا يوم له ما بعده •

ثم قال : يا زرقاء اليس هذا قولك وتحريضك ؟ قالت : لقد كان
ذلك ! قال : لقد شاركت علنا في كل دم سفكه : فقالت أحسن الله بشارتك
يا أمير المؤمنين ، وادام سلامتك • فمثلك من بشر بخير وسر جليسه •

فقال معاوية : اويسرك ذلك ؟ قالت : نعم • والله لقد سرني قولك
وانى لى بتصديق الفعل ؟ فضحك معاوية وقال : والله لوفأؤكم له بعد موته
اعجب عندى من حبكم له فى حياته ، اذكرى حاجتك ؟ فقالت : يا أمير
المؤمنين انى آليت على نفسى ألا أسأل أحدا بعده ابدا • فقال : قد اشار
عليّ بعض من عرفك بقتلك • فقالت : لؤم من المشير ، ولو اطعته لشاركته ،
قال : كلا ، بل نغو عنك ونحسن اليك ونرعاك ، فقالت : يا أمير المؤمنين
كرم منك ومثلك من قدر فعفا ، وتجاوز عنمن اساء ، واعطى من غير
مسألة فاعطاها كسوة ودرهم ، واقطعها ضيعة تغل لها فى كل سنة عشرة
آلاف درهم ، واعادها الى وطنها سلمة ، وكتب الى والى الكوفة بالوصية بها
وبعشيرتها •

خامساً - الصراحة والجرأة الادبية

ومن صفاتنا العربية الاصيلة الصراحة فى القول والجرأة فى ذكر الحقيقة مهما كانت نتائجها مرة وهى ولا شك ضرب من ضروب الشجاعة الادبية ونسطر ادناه بعض الامثلة على ذلك •

١ - واعظ الرشيد :

قال الفضل بن الربيع حدثنى هارون الرشيد يوماً فقال : وقد حكّ فى نفسى شيئاً فانظر لى رجلاً ! فقلت ها هنا سفيان بن عيينه فقال : امض بنا اليه ، فأتيناه ففرعت الباب ، فقال : من ذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو أرسلت الي لايتك ! فقال له : لا بأس عليك • وحادثه ساعة ثم قال له : هل عليك دين ؟ فقال : نعم ، فقال يا عباسى افض دينه •

فلما خرجنا قال لى : ما اغنى صاحبك عنى شيئاً ، انظر لى رجلاً اسأله قلت : ها هنا عبدالرزاق بن همام ! قال امض بنا اليه فأتيناه ففرعت الباب فقال : من هذا ؟ قلت أجب أمير المؤمنين ! فخرج مسرعاً ، فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت الي لايتك فقال خذ لما جئناك له ، فحادثه ساعة • ثم قال له : أعليك دين ؟ قال نعم ! قال : يا عباسى افض دينه •

فلما خرجنا قال : ما اغنى صاحبك عنى شيئاً ، انظر لى رجلاً اسأله ! قلت ها هنا الفضل بن عياض ، قال : امض بنا اليه ، فأتيناه فاذا هو قائم يصلى ، ويتلو آية من القرآن يردددها قال : اقرع الباب ، ففرعت الباب ، فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ! فقال : مالى ولا مير المؤمنين ! فقلت : سبحان الله اما عليك طاعته؟ فنزل وفتح الباب ثم ارتقى الى الغرفة ، فأطفأ السراج ، ثم التجأ الى زاوية من زوايا البيت ، فدخلنا فجعلنا نجول عليه بايدينا ، فسبقت كف هارون اليه قبلى •

فقال : يا لها من كف ! ما الينها ! ان نجت غدا من عذاب الله عز وجل • فقلت فى نفسى ليكلمه الليلة بكلام من قلب تقى ، فقال له : ان عمر بن عبدالعزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبدالله ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حبوة فقال : لهم انى قد ابتليت بهذا البلاء فاشيروا علىّ - فعدّ الخلافة بلاءا وعدتها انت واصحابك نعمة -

فقال له سالم بن عبدالله : ان اردت النجاة من عذاب الله فصم الدنيا وليكن ، فطارك منها الموت ، وقال محمد بن كعب : ان اردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المؤمنين عندك أبا ، واوسطهم عندك أخا ، واصغرهم عندك ولداً فوقر أباك ، واكرم اخاك ، وتحزن على ولدك •

وقال له رجاء بن حبوة : ان اردت النجاة غدا من عذاب الله عز وجل فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت اذا شئت وانى اقول لك : انى اخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل معك - رحمك الله - مثل هؤلاء ؟ او من يشير عليك بمثل هذا ؟ فبكى هارون بكاءً شديداً حتى غشى عليه فقلت له : ارفق يا أمير المؤمنين - رحمك الله - فقال : يا أمير المؤمنين ! بلغنى ان عاملا لعمر ابن عبدالعزيز شكى اليه، فكتب اليه عمر : يا أخى : اذكرك طول سهر أهل النار فى النار مع خلود الابد ! واياك ان ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد بك ! وانقطاع الرجاء منك ، قال : فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبدالعزيز ! فقال له : ما اقدمك ؟ قال : خلعت قلبى بكتابتك لا أعود الى ولاية حتى القى الله عز وجل ، فبكى هارون بكاءً شديداً ثم قال : زدنى - رحمك الله - !

فقال له : يا أمير المؤمنين ، ان العباس عم النبى جاء اليه فقال له : يا رسول الله أمّرني على امارة ، فقال له النبى : ان الامارة حسرة وندامة

يوم القيامة ، فان استطعت الا تكون أميرا فافعل • فبكى هارون
بكاءً شديدا ثم قال : زدنى - رحمك الله - !

فقال : يا حسن الوجه ، انت الذى يسألك الله عز وجل عن هذا
الخلق يوم القيامة ، فان اردت ان تقى هذا الوجه من النار ، فاياك ان تصبح
وتمشى وفى قلبك غش على أحد من رعيك ، فان النبى قال : من أصبح
لهم غاشا لم يرج رائحة الجنة ، فبكى هارون ، وقال له : عليك دين ؟ قال :
دين لربى لم يحاسبنى عليه ! فالويل لى ان سألنى ، والويل لى ان لم ألهم
حجتى ، قال : انما اعنى من دين العباد ! قال : ان ربى عز وجل لم يأمرنى
بهذا ، انما أمرنى أن اصدق دعواه واطيع امره فقال : وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدونى ، ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون ، ان الله
هو الرزاق ذو القوة المتين •

فقال له : هذه الف دينار ، خذها فانفقها على عيالك وتقوى بها على
عبادة ربك ! فقال : سبحان الله : انا ادلك على طريق النجاة ، وانت تكافئنى
بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك ثم قمنا ولم يكلمنا بعدها •

فخرجنا من عنده ، فلما صرنا على الباب ، قال هارون يا عباسى اذا
دللتنى على رجل فدلتنى على مثل هذا ! هذا سيد المسلمين •

فدخلت عليه امرأة من نساءه ، فقالت : يا هذا ، قد ترى ما نحن فيه
من ضيق الحال ، فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به ، فقال لها : مثلى ومثلك
كمثل قوم كان لهم بعر يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه وأكلوا لحمه •
فلما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخل فعسى أن يقبل المال ، فلما
علم الفضل خرج فجلس فى السطح على باب الغرفة ، فبجاء هارون فجلس
الى جنبه ، فجعل يكلمه فلا يجيب •

قال الفضل : فينما نحن كذلك اذ خرجت جارية سوداء ، فقالت :

يا هذا قد أذيت الشيخ منذ الليل ، فانصرف رحمك الله فانصرفنا •

٢ - سودة بنت عماره عند معاوية :

وفدت سودة بنت عماره على معاوية بن ابي سفيان ، فاستأذنت عليه فأذن لها ، فلما دخلت سلمت عليه ، فقال لها : كيف انت يا سودة ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ! قال لها : انت القائلة يوم صفين :

شمر كفعل أبنيك بابين عماره يوم الطعان وملتقى الاقربان
وانصر علياً والحسين ورهطه واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام اخا النبي محمد علم الهدى ومنازة الايمان
فقه الخوف وسر امام لوائه قدما بأبيض صارم وسانان

قالت : اى والله ، ما مثلى من رغب عن الحق ، أو اعتذر بالكذب !

قال لها : فما حملك على ذلك ؟ قالت حب عليّ ، واتباع الحق ، قال : فوالله ما أرى عليك من أثر عليّ شيئاً ، قالت : انشدك الله يا امير المؤمنين ، مات الرأس ، وبتر الذنب ، فذبح عنك اعادة ما مضى ، وتذكارة ما قد نسي ! قال : هيهات ! ليس مثل مقام أخيك ينسى ! وما لقيت من أحد ما لقيت من قومك وأخيك ! قالت : صدق فوك والله يا امير المؤمنين ، ما كان أخى دميم المقام ، ولا خفى المكان والكن كما قالت الحنساء :

وان صخرأ لناثم الهداة به كأنه علم فى راسه نار

وبالله اسألك يا امير المؤمنين اعفائى مما استعفيت منه • قال : قد فعلنا قولى حاجتك ! قالت : يا امير المؤمنين ، أنك أصبحت للناس سيدياً ، ولا مورهم متقلداً ، والله سائلك ، عما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ، ويبطش بسلطانك ، فيحصدنا حصاد السنبل ، ويدوسنا دياس البقر ، ويسومنا الحنيسة ، ويسلبنا الجليلة ، هذا ابن ارطاة قدم علينا من قبلك فقتل رجالى ، وأخذ مالى ، يقول لي : فوهى بما استعصم الله منه ،

والجأ اليه فيه ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنة ، فلما عزلته فشكرناك واما
لا فصرفناك •

فقال معاوية : اياى تهددني بقومك ! والله لقد هممت أن اردك اليه
على قنّب اشرس ، فينفذ حكمه فيك ، فأطرقت تبكى ، ثم انشأت تقول :
صلى الاله على روح تضمنه قبر فاصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبنى به بدلا فصار بالحق والايمان مقرونا

قال لها : ومن ذلك ؟ قالت : علي بن ابي طالب رحمه الله تعالى ! قال :
وما صنع بك حتى صار عندك كذلك ؟ قالت : أتيت يوم ما فى رجل ولاء
صدقاتنا فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين ، فوجدته قائما يصلي ، فانفتل
عن الصلاة ثم قال برأفة وتعطف : ألك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل ،
فبكى ، ثم رفع يديه الى السماء ، فقال : اللهم انك أنت الشاهد على
وعليهم ، أنى لم أمرهم بظلم خلقك ، ولا بترك حقك ، ثم أخرج من جيبه
قطعة من جراب ، فكتب فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : (قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل
والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تعسوا فى الارض
مفسدين ، بَقِيَّةُ الله خير لكم ان كنتم مؤمنين ، وما أنا عليكم بحفيظ) اذا أتاك
كتابى هذا فاحفظ بما فى يدك حتى يأتى من يقبضه منك والسلام •

فأخذته منه يا امير المؤمنين ، ما خزمه بخزام ، ولا ختمه بختام ،
فقرأته فقال معاوية : اكتبوا بالانصاف والعدل عليها ! قالت : الي خاصة أم
لقومى عامة ؟ قال : وما انت وغيرك ؟ قالت : هى والله اذن الفحشاء واللؤم ،
ان كان عدلا شاملا ، والا يسعنى ما يسع قومى !

قال : هيهات ! لقد علمكم ابن ابي طالب الجرأة وغركم قوله :
فلو كنت يوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام
اكتبوا لها ولقومها •

٣ - نبهكم على :

يروى أن عكرشة بنت الاطرش دخلت على معاوية متوكئة على عكاز لها ، فسلمت عليه بالخلافة ، ثم جلست ، فقال لها معاوية : الآن صرت عندك امير المؤمنين ؟ قالت : نعم ، اذ لا علي حى ! قال : أأنت المتقلدة حمائل السيف بصفين وانت واقفة بين الصفين تقولين :

أيها الناس عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ، ان الجنة لا يحزن من قطنها ، ولا يهرم من سكنها ، ولا يموت من دخلها ، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ، ولا تنصرم همومها ، وكونوا قوما مستبصرين فى دينهم مستظهريين على حقهم •

ان معاوية دلف اليكم بعجم العرب ، لا يفقهون الايمان ، ولا يدرون ما الحكمة ، دعاهم الى الباطل فأجابوه ، واستدعاهم الى الدنيا فلبوه ، فالله الله عباد الله فى دين الله ؟ واياكم والتواكل فان ذلك ينقص عمر الاسلام ويطفى نور الحق ، هذه بدر' الصغرى والعقبة الاخرى ، يا معشر المهاجرين والانصار ، امضوا على بصيرتكم ، واصبروا على عزيزتكم ، فكأنى بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تقصع قصع البعير •

ثم قال : فكأنى أراك على عصاك هذه قد انكفأ عليك العسكران يقولون : هذه عكرشة بنت الاطرش ، فان كدت لتغلبن أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله قدرا مقدورا ، فما حملك على ذلك ؟ •

قالت : يا أمير المؤمنين ، يقول الله جل ذكره : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم ، وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حلیم » وان اللبيب اذا كره أمرا لا يجب اعادته •

قال : صدقت : فاذكرى حاجتك ، قالت : كانت صدقاتنا تؤخذ من
أغنيائنا فترد على فقرائنا ، وقد فقدنا ذلك ، فما يجبر لنا كسير ، ولا ينعش
لنا فقير ، فان كان عن رأيك فمثلك من انتبه من الغفلة وراجع التوبة ،
وان كان عن غير رأيك فما مثلك من استعان بالخونة ، ولا استعمل
الظلمة •

قال معاوية : يا هذه ، انه يتتابنا من امور رعيتنا ثغور تتفق وشرور
تتدفق ، قالت : سبحان الله ! والله ما فرض الله لنا حقا فجعل فيه ضررا
لغيرنا وهو علام الغيوب • قال معاوية : هيهات يا أهل العراق ! نهكم على
فلن تطاقوا ، ثم أمر برد صدقاتهم عليهم وانصافهم •

٤ - وهل أحل عندك محل علي ؟

حج معاوية ذات سنة ، فسأل عن امرأة من بنى كنانة كانت تنزل
بالحجون ، يقال لها دارمية الحجونية ، وكانت سوداء كثيرة اللحم ،
فاخبر بسلامتها ، فبعث اليها فجىء بها ، فقال : ما حالك يا بنية حام ؟
فقلت : لست لحام ان عبتى ، انما انا امرأة من بنى كنانة ، شعبة من بنى
أبيك ، قال : صدقت ، اتدرين لم بعثت اليك ؟ قالت : لا يعلم الغيب الا
الله • قال : بعثت اليك لاسألك : علام احببت علياً وابغضتيني ، وواليتيه
وعاديتيني ؟ قالت : او تعيبنى يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا اعفيك ، قالت :
اما اذا أبيت فانى ، احببت عليا على عدله فى الرعية ، وقسمه بالسوية ،
وابغضتك على قتال من هو اولى منك بالامر ، وطلبتك ما ليس لك بحق
وواليت علياً على ما عقد له رسول الله فى الولاة ، وعلى حبه المساكين ،
واعظامه لاهل الدين ، وعاديتك على سفكك الدماء ، وشقك العصا ،
وجورك فى القضاء ، وحكمك بالهوى •

قال : فلذلك انتفخ بطنك ! قالت : يا هذا بهند والله كان يضرب

المثل فى ذلك لابي ، قال معاوية : يا هذه اريعى فاننا لم نقل الا خيراً
فرجعت وسكتت •

فقال لها : يا هذه هل رأيت علياً ؟ قالت : اى والله لقد رأيتيه •
قال : فكيف رأيتيه ؟ قالت : رأيتيه والله لم يفتنه الملك الذى فتنتك ، ولم
تشغله النعمة التى شغلتك • قال هل سمعت كلامه ؟ قالت : نعم والله ،
فكان يجلو القلوب من العمى ، كما يجلو الزيت ' الصدا •

قال : صدقت ، فهل لك من حاجة ؟ قالت : اوتفعل اذا سألتك ؟
قال نعم • قالت : تعطينى مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها ، قال :
تصنعين فيها ماذا ؟ قالت : اغذى بالبانها الصغار ، واستحى بها الكبار ،
واكتسب بها المكارم واصلح بها بين العشائر ، قال : فان اعطيتك ذلك فهل
أحل عندك محل علي ؟ قالت : ماء ولا كصدأ ، ومرعى ولا كالسعدان ،
وفتى ولا كمالك • سبحان الله اوددته ! فانشأ معاوية يقول :

اذا لم اعد بالحلم منى عليكم فماذا الذى بعدى يؤمل للحلم
خذيها هنيئاً ، واذكرى فعل ماجد جزاك على حرب العداوة بالسلم
ثم قال : أما والله لو كان عليّ حياً ما اعطاك منها شيئاً ، قالت : لا
والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين •

٥ - نبحتنى كلابك :

استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن ابى سفيان فاذن لها - وهو
يومئذ بالمدينة - وعنده مروان بن الحكم ، وعمرو بن العاص ، فدخلت
عليه ، وكانت امرأة قد اسنت وعشى بصرها ، وضعفت قوتها ، ترعش
بين خادمين لها ، فسلمت وجلست فرد عليها معاوية السلام • وقال : كيف
أنت يا خالة ؟ فقالت : بخير يا أمير المؤمنين ! قال : غيرك الدهر ، قالت :
كذلك هو ذو غير ، من عاش كبر ، ومن مات قُبر ! قال عمرو بن العاص :
هى والله القائلة يا أمير المؤمنين يوم صفين •

يا زيد دونك فاحتر من دارنا سيفا حساما في التراب دفيننا
قد كنت اذخره ليوم كريمة فاليوم ابرزه الزمان مصونا

قال مروان : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

اترى ابن هند للخلافة مالكا هيهات ! ذاك - وان اراد بعيد
منتك نفسك في الحلاء ضلالة اغراك عمرو للنقا وسعيد

قال سعيد بن العاص : هي والله القائلة

قدكنت اطمع أن اموت ولا ارى فوق المنابر من امية خاطبا
فالله أخّر مدتي فتطاولت حتى رأيت في الزمان عجائبا
في كل يوم للزمان خطيبهم بين الجميع لآل احمد عابا

ثم سكتوا فقالت بكارة : نبحتني كلابك يا أمير المؤمنين واعتورتني

فقصرت محجتي ، وكثر عجبى ، وعشى بصرى •

وانا والله قائلة ما قالوا لا ادفع ذلك بتكذيب ، وما حقى عليك من
اكثر ، فامض لشأنك ، فلا خير بالعيش بعد أمير المؤمنين فضحك معاوية ،
وقال : ليس يمنعنا ذلك من برك ! اذكرى حاجتك قالت : اما الآن فلا •

٦ - اروى بنت الحارث :

دخلت اروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية ، وهي عجوز
فلما رآها معاوية قال : مرحبا بك واهلا يا عمه ! فكيف كنت بعدنا ؟
قالت : يابن اخى ، لقد كفرت بالنعمة ، وأسأت لابن عمك الصعبة ،
وتسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حقلك ، من غير بلاء كان منك ولا من
آبائك ، ولا سابقة في الاسلام ، بعد أن كفرتم برسول الله (صلى الله عليه
وسلم) فاتعس الله منكم الجدود ، واجزع منكم الحدود ، ورد الحق الى
أهله ، ولو كره المشركون •

وكانت كلمتها هي العليا ، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) هو المنصور

على من ناوأه ولو كره المشركون ، فكلنا - أهل البيت - اعظم الناس في الدين خطأ ونصيباً وقدراً ، حتى قبض الله نبيه ، فوليم علينا من بعده ، وتحتجون بقرابتكم من رسول الله ، ونحن اقرب اليه منكم ، واولى بهذا الامر ، فكلنا فيكم بمنزلة بنى اسرائيل من آل فرعون ، وكان علي بن ابي طالب - رحمه الله - بعد نبينا بمنزلة هرون من موسى ، فغايثنا الجنة وغايثكم النار .

فقال لها عمرو بن العاص : كفى ايتها العجوز الضالة ! واقصرى من قولك وغض من طرفك !

فقلت : وانت يا عمرو تتكلم عما بنفسك . فوالله ما انت من قريش في اللباب في حسبها ، ولا كريم منصبها ، فقلت : وانت أيضا با بن الزرقاء تتكلم ! ثم التفت الى معاوية فقلت : والله ما جراً على هؤلاء غيرك : وان امك القائلة في قتل حمزة :

نحن جزيناكم يوم بدر	والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لى من صبر	أبى وعمى وأخى وصهرى
شفيت وحشى غليل صدرى	شفيت نفسى وقضيت نذرى
فشكر وحشى على دهرى	حتى ترم اعظمى فى قبرى

فقال معاوية لمروان وعمرو : ويلكما انما عرضتماني لها واسمعتاني ما اكره ، ثم قال لها : يا عمة اقصدى قصد حاجتك ، ودعى عنك اساطير النساء ! قالت : تأمر لى بالفى دينار والفى دينار والفى دينار ! قال : ما تصنعين يا عمة بالفى دينار ؟ قالت : اشترى بها عينا خرخارة فى ارض خوارة تكون لولد الحارث بن عبدالمطلب ! قال : نعم الموضع وضعيتها ! قال : فما تصنعين بالفى دينار ؟ قالت : استعين بها على عسر المدينة وزيارة بيت الله الحرام ! قال : نعم الموضع وضعيتها ! قال : فما تصنعين بالفى دينار ؟ قالت : ازوج بها فتيان عبدالمطلب من اكفائهم ! قال : نعم الموضع

وضعتها هي لك : ثم قال لها : والله لو كان عليّ ما أمر لك بها ! قالت : صدقت ! ان عليا أدى الامانة ، وعمل بأمر الله ، واخذ به ، وانت ضيعت امامتك وخت الله في ماله ، فاعطيت ما ل الله من لا يستحقه ، وقد فرض الله في كتابه الحقوق لاهلها وبينها فلم تأخذ بها ، ودعانا عليّ الى اخذ حقنا الذي فرض الله لنا فشنغل بحربك عن وضع الامور مواضعها • وما سألتك من مالك شيئا • فتمن به انما سألتك من حقنا ، ولا ترى اخذ شيء غير حقنا ! اتذكر عليا ! فض الله فاك ثم علا نجيبها وقالت :

الا يا عين ويحك اسعدينا الا وابكي أمير المؤمنين
رزيتا خير من ركب المطايا وفارسها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال او احتذاها ومن قرأ المناني والمئيني
فأمر لها بستة آلاف دينار ، وقال لها : يا عمة ، انفقى هذه فيما تحيين ، فاذا احتجت فاكبتى الى ابن اخيك 'يحيى' صفدك ، ومعونتك ان شاء الله •

٧ - ام سنان تشكو مروان :

حبس مروان بن الحكم وهو والى المدينة ، غلاما من بنى ليث في جناية جناها بالمدينة ، فأتمته جدة الغلام - وهى ام سنان بنت خيشمة المذحجية - فكلّمته فى الغلام ، فأغلظ لها ، فخرجت الى معاوية ، فدخلت عليه ، فانتسبت له ففرعها ، وقال لها : مرحبا بابنت خيشمة ، ما اقدمك ارضا وقد عهدتك تشيين قريبي وتحضين عليّ عدوى •

قالت ! يا أمير المؤمنين : ان لبنى عبد مناف اخلاقا طاهرة واحلاما وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو وان اولى الناس باتباع ما سن آباؤهم لأنك • قال صدقت ، نحن كذلك فكيف قولك :

عزب الرقاد فمقتلى لا ترقد
يا آل مذحج لا مقام فشمروا
هذا علي كاللهلال تحفه
خير الخلائق وابن عم محمد
ان الليل يصدر بالهموم ويورد
ان العدو لآل احمد يقصد
وسط السماء من الكواكب اسعد
ان يهدكم بالنور منه تهتدوا
والنصر فوق لوائه ما يفقد
ما زال مذ شهد الحروب مظفرا

قالت : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، وأرجو أن تكون لنا خلفا •
فقال رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين وهي القائلة أيضا :

اما هلكت أبا الحسن فلم تزل
فأذهب عليك صلاة ربك ما وعت
بالحق تعرف هاديا مهديا
فوق الغصون جمامة قمريه
قد كنت بعد محمد خلقا كما
فاليوم لا خلف يؤمل بعده
هيهات نمدح بعده انسيا

قالت : يا أمير المؤمنين ، لسان نطق وقول صدق ، ولئن تحقق فيك
ما ظننا ، لحظك الاوفر ، والله ما ورثت السنان في قلوب الناس الا هؤلاء
فاحض مقالتهم ، وابدع منزلتهم ، فانك ان فعلت ذلك تزدد من الله قربا ،
ومن المؤمنين حبا •

قال : وانك لتقولين ذلك ! قالت يا سبحان الله ! والله ما مثلك مدح
بباطل ، ولا اعتذر اليه بكذب ، وانك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا :
كان والله علي أحب الينا منك ، وأنت أحب الينا من غيرك ، قال :
ممن قالت : من مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، قال : وبم استحققت
ذلك عندك ؟ قالت : بسعة حلمك ، وكريم عفوك • قال فانهما يطمعان في
ذلك ؟ قالت : هما والله من الرأي على مثل ما كنت عليه لعثمان بن عفان
رحمه الله تعالى •

قال : والله لقد قاربت ، فما حاجتك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين : ان

مروان أقام فى المدينة اقامة من لا يريد البراح، لا يحكم بعدل، ولا يقضى بسنة ، يتبع عثرات المسلمين ، ويكشف عورات المؤمنين ، حبس ابن ابى فأتيته ، فقال : كنت وكنت ، فألقمته أحسن من الحجر ، والعقته أمر من الصبر ، ثم رجعت الى نفسى باللائمة ، وقلت : لم لا اصرف ذلك الى من هو أولى بالعضو عنه ؟

فأتيتك يا أمير المؤمنين ، لتكون فى أمرى ناجزا وعليه معديا قال : صدقت ، لا أسألك عن ذنبه ، ولا عن القيام بحجته ، اكتبوا لها باطلاقه قالت : يا أمير المؤمنين وأنى لى بالرجعة ، وقد نفذ زادى وكلت راحلتى ، فأمر لها براحلة وخمسة آلاف درهم •

٨ - سليمان بن عبد الملك وأبو حازم :

دخل سليمان بن عبد الملك المدينة ، فأقام بها ثلاثا ثم قال : أما هنا رجل ممن أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ؟ ف قيل له بلى ! هاهنا رجل يقال له أبو حازم فبعث اليه فجاءه •

فقال له سليمان بن عبد الملك : يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟ فقال له أبو حازم : وأى جفاء رأيت منى ؟ قال له سليمان : أتانى وجوه أهل المدينة كلهم ولم تأتى ! فقال له : اعيزك بالله أن تقول ما لم يكن ، ما جرى بينى وبينك معرفة ، آتيك هكذا ! فقال سليمان : صدق الشيخ •

ثم قال سليمان : يا أبا حازم ، مالنا نكره الموت ؟ فقال أبو حازم لانكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم ، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران الى الخراب ، قال صدقت يا أبا حازم ، كيف القدوم على الله ؟ فقال : أما المحسن فكالغائب يقدم أهله ، وأما المسيء فكالأبق يقدم على مولاه • فبكى سليمان ، وقال : ليت شعرى ما لنا عند الله يا أبا حازم ، أين نصيب تلك المعرفة فى كتاب الله عزوجل ؟ قال أبو حازم • عند قوله

تعالى (ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم) فقال سليمان :
يا ابا حازم : فأين رحمة الله ؟ فقال أبو حازم : قريب من المحسنين •

قال سليمان : يا ابا حازم : من أحق الناس ؟ قال أبو حازم : من
باع آخرته بدنياه غيره • فقال سليمان : ما أسمع الدعاء ؟ قال : دعاء المختبي
قال سليمان : ما أركى الصدقة ؟ فقال أبو حازم جهد المُقِلِّ • فقال سليمان :
نصيحةٌ بَلَّغَتْهَا • قال أبو حازم : ان اناسا أخذوا هذا الامر من غير مشورة
من المؤمنين ، ولا اجماع في رأيهم ، فسفكوا فيها الدماء على طلب الدنيا ،
ثم ارتحلوا عنها ، فليت شعري ما قالوا ! وما قيل لهم ! فقال بعض جلسائه :
بئس ما قلت يا شيخ ، فقال أبو حازم : كذبت ، ان الله تبارك وتعالى أخذ
على العلماء لبيئته للناس ولا يكتمونه ، فقال سليمان : يا ابا حازم ، كيف
الأخذُ بذلك ؟ قال أبو حازم نأخذه من حقه ونضعه في أهله ، فقال سليمان :

أصبحنا يا ابا حازم ، تصيب منا ونصيب منك ، فقال : اعيذك من
ذلك ، قال سليمان : ولم ؟ قال : أخاف أن اركن اليكم شيئا قليلا ، فيذيقني
الله منها ضعف الحياة وضعف الممات •

قال سليمان : يا ابا حازم ، انصحني • فقال أبو حازم : اتق الله أن
يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك • قال سليمان : يا ابا حازم ادع
لنا بخير • فقال أبو حازم : اللهم ان كان سليمان وليك فبشره بخير الدنيا
والآخرة ، وان كان عدوك فخذ الى الخير بناصيته • فقال سليمان : عطني
يا ابا حازم ، فقد أوجزت ، فقال : ان كنت وليه فحسبك وان كنت عدوه
فما ينفعك اذا رُمي بقوس بغير وتر •

فقال سليمان : يا غلام ، ائت بمائة دينار ، ثم قال : خذها يا ابا حازم ،
فقال أبو حازم : لا حاجة لي بها ، اني أخاف ان تكون أعطيتها لما سمعت
من كلامي ، ان موسى عليه السلام لما هرب من فرعون وورد ماء مدين ،

وجد عليه جاريتين تذودان ، قال ما خطبكما ؟ قالتا : لا نسقي حتى يصدر
الرعاء وأبونا شيخ كبير ، فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال : رب انى لما
أنزلت اليّ من خير فقير • ولم يسأل على عون الله أجرا على دينه فلما
أكد ذلك أبوهما وقال : ما أعجلكما ؟ قالتا : وجدنا رجلا صالحا فسقى لنا ،
قال : فما سمعناه يقول ؟ قالتا : سمعناه يقول :

« ربى انى لما انزلت اليّ من خير فقير » فقال ينبغي أن يكون هذا
جائعا ، تنطلق احداكما فتقول له : « ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت
لنا » •

فجزع من ذلك موسى - عليه السلام - وكان طريدا فى فيافى
الصحراء ، فأقبل والجارية أمامه ، فهبت ريح فكشفتها له - وكانت ذات
خلق - فلما بلغ الباب دخل واذا طعام موضوع • قال شعيب : اصب يافتى
من هذا الطعام ، قال موسى عليه السلام : أعوذ بالله • قال شعيب : ولم ؟
قال موسى لاننا من بيت لا نبيع ديننا بملء الارض ذهباً • قال شعيب عليه
السلام لا والله ولكنها عادتى وعادة آبائى نطمع الطام ، ونقرى الضيف •
فجلس موسى وأكل •

فان كانت هذه الدنانير عوضا لما سمعت من كلامى ، فانا أرى أكل
الميتة والدم فى حال الضرورة أحب اليّ من أخذها •

فكان سليمان أعجب بابن حازم ، فقال بعض جلسائه ، يا أمير المؤمنين
أيسرك أن يكون الناس كلهم مثله ؟ قال الزهرى انه لجارى منذ ثلاثين سنة
ما كلمته بكلمة قط ، قال له أبو حازم صدقت ، انك نسيت الله فسيتنى ،
ولو أحبيت الله لاحتببى ، قال الزهرى • اتشمتنى ؟ قال سليمان : أنت
شمتت نفسك ، أما علمت أن للجار على جاره حقا : قال أبو حازم : ان بنى
اسرائيل لما كانوا على الطور كانت الامراء تحتاج الى العلماء ، وكانت العلماء

تضمن بديتها على الامراء فاستغنت الامراء عن العلماء ، واجتمع القوم على المعصية ، فشغلوا وانتكسوا ، ولو كان علماؤنا هؤلاء يصونون علمهم لهابهم الامراء . قال الزهري : كأنك لي تريد ، وبى تعرض قال : هو ما تسمع .

٩ - المنصور وابن طاووس :

قال مالك بن أنس : بعث اليّ أبو جعفر المنصور والى ابن طاووس ، فدخلت عليه وهو جالس على فرش قد نضدت له وبين يديه فرش من جلد قد بسطت وجلادون بأيديهم السيوف ، لضرب رقاب الناس ، فأوماً اليّنا بالجلوس وأطرق عنا طويلاً ، ثم التفت الى ابن طاووس ، فقال له : حدثني عن أبيك . قال : نعم ، سمعت أبي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أشد الناس عذابا يوم القيامة ، رجل أشركه الله فى حكمه ، فأدخل عليه الجور فى عدله ثم أمسك ساعة ، قال مالك : فضمت ثيابى مخافة أن يملأنى دمه .

ثم التفت اليه أبو جعفر ، فقال : عضنى يا ابن طاووس ، قال : نعم ، أما سمعت الله يقول : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد » .

قال مالك : فضمت ثيابى أيضا مخافة أن يملأنى دمه ، فأمسك المنصور ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه ، ثم قال : يا ابن طاووس تناولنى الدواة فأمسك ابن طاووس ولم يناوله اياها وهى فى يده ، فقال المنصور : ما يمنعك أن تتناولنيها ؟ قال ابن طاووس : أخشى أن تكتب بها معصية لله فأكون شريكك فيها ، فلما سمع المنصور قال : قوما عنى !

قال ابن طاووس : ذلك ما كنا نبغى ! قال مالك : فما زلت أعرف
لابن طاووس بعدها فضله •

١٠ - وارث انت بنى امية ؟

قال أحمد بن موسى : ما رأيت رجلا أثبت جنانا من رجل رفع فيه
عند المنصور وقالوا : ان عنده ودائع وأموالا وسلاحا لبنى امية ، فأمر
المنصور حاجبه الربيع باحضاره بين يديه •

فقال له المنصور : قد رفع الينا ان عندك ودائع وأموالا وسلاحا لبنى
امية ، فأخرج لنا ما عندك ، واحمل جميع ذلك الى بيت المال ، فقال الرجل :
يا أمير المؤمنين ، أنت وارث بنى أمية ؟ قال : لا ، قال : فوصى أنت ؟ قال :
لا • قال : فلم تسأل عن ذلك ؟ فأطرق المنصور ساعة وقال : ان بنى امية
ظلموا الناس واغتصبوا أموال المسلمين ، وأنا آخذها فأردها الى بيت مال
المسلمين ، قال الرجل : يحتاج أمير المؤمنين الى اقامة بينة يقبلها الحاكم ،
ان المال الذى لبنى امية هو الذى فى يدي ، وانه هو الذى اغتصبوه من
الناس ، وأمير المؤمنين يعلم ان بنى امية كانت معهم أموال لانفسهم غير
الاموال التى اغتصبوها على ما يزعم أمير المؤمنين •

قال : فسكت المنصور ساعة ثم قال : يا ربيع ، صدق الرجل ما يجب
لنا عليه شئ ، ثم قال للرجل ألك حاجة ؟ قال : نعم قال : ما هى ؟ قال :
ان تجمع بينى وبين من سمى بى اليك ، فوالله يا أمير المؤمنين ما لبنى امية
عندى ودائع ولا مال ولا سلاح ، ولما حضرت بين يدي امير المؤمنين ،
وعلمت ما هو عليه من العدل والانصاف ، واتباع الحق واجتتاب الباطل ،
ايقتت ان هذا الكلام الذى صدر منى هو انجح واصلح لما سألتنى عنه
واقرب الى الخلاص •

فقال المنصور للربيع : اجمع بينه وبين الرجل الذى اتهمه ، ولما

جبيء بالرجل عرفه ، وقال : هذا غلامى أخذ لي خمسمائة دينار وهرب ،
ولى عليه كتاب بها ، ثم استنطق المنصور الغلام ، فأقر انه غلامه ، وانه
أخذ المال الذى ذكره مولاه ، وابق به ، وسعى بمولاه ليجرى عليه امر
الله ، ويسلم هو من الوقوع فى يده ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، قد
وهبتها له لاجلك ، وادفع له خمسمائة دينار اخرى لاجل حضوره مجلس
أمير المؤمنين •

فاستحسن المنصور فعله ، وكان فى ذلك الوقت يقول : يا ربيع ،
ما رأيت من حاجنى مثله •

١١ - أنا بالله ثم بالقاضى :

أتت امرأة يوما شريك بن عبدالله قاضى الكوفة ، وهو فى مجلس
الحكم ، فقالت : أنا بالله ثم بالقاضى ! قال : من ظلمك ؟ قالت : الامير موسى
ابن عيسى عم أمير المؤمنين ، كان لى بستان على شاطئ الفرات ، فيه نخل
ورثته عن أبى ، وقاسمت اخوتى ، وبنيت بينى وبينهم حائطا ، وجعلت فيه
رجلا يحفظ النخل ويقوم به ، فاشتري الامير موسى بن عيسى من جميع
اخوتى ، وساومنى ورغبنى ، فلم أبعه ، فلما كانت هذه الليلة بعث
بخمسمائة غلام فاقتلموا الحائط ، فأصبحت لا أعرف من نخلى شيئا ،
واختلط بنخل اخوتى :

فقال : يا غلام أحضر طينة ، فأحضر ، فحتمها ، وقال : امض الى
بابه حتى يحضر معك ، فأخذها الحاجب ، ودخل على موسى ، فقال : قد
أعدى القاضى عليك ، وهذا حتمه ، فقال : ادع لى صاحب الشرطة فدعا به
فقال : امض الى شريك ، وقل : يا سبحان الله ! ما رأيت أعجب من أمرك !
امرأة ادعت دعوى لم تصح اعديتها علي ! قال صاحب الشرطة : ان رأى
الامير أن يعفينى من ذلك ؟ فقال : امض ، ويلك ! فخرج •

وقال لغلمايه ! اذهبوا واحملوا لى الى حبس القاضى بساطا وفراشا
وما تدعو الحاجة اليه ، ثم مضى الى شريك ، فلما وقف بين يديه أدى
الرسالة فقال لغلالم المجلس : خذ بيده فضعه فى الحبس ، فقال صاحب
الشرطة : والله قد علمت انك تحبسنى فقدمت ما احتاج اليه فى الحبس !
وبلغ موسى بن عيسى الخبر ، فوجه الحاجب اليه ، وقال له : رسول
ادى رسالة أى شىء عليه ! فقال شريك ، اذهبوا به الى رفيقه الى الحبس
فحبس .

فلما صلى الامير العصر بعث الى اسحاق بن الصباح الاشعنى والى
جماعة من وجوه الكوفة من اصدقاء شريك : أبلغوه السلام ، وأعلموه
انه استخف بى ، وانى لست كالعامه ، فمضوا اليه وهو جالس فى مسجده
بعد صلاة العصر ، فأبلغوه الرسالة ، فلما انقضى كلامهم ، قال لهم : مالى
أراكم جئتمونى فى جمع من الناس ، فكلمتونى من هاهنا من فتیان الحى ؟
فأجابهم جماعة من الفتیان فقال : ليأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به
الى الحبس . ما أنتم الا فتنة وجزاؤكم الحبس ! قالوا له : أجاد أنت ؟ قال :
حتى لا تعودوا لرسالة ظالم . فحبسهم .

فركب موسى بن عيسى ، الليلة الى باب السجن ، وفتح الباب ،
وأخرجهم كلهم ، فلما كان من الغد وجلس شريك للقضاء جاءه السجنان
فأخبره ، فدعا بالقمطر فحتمه ووجه به الى منزله ، وقال لغلالمه : الحق
بثقلى الى بغداد والله ما طلبنا هذا الامر منهم ، ولكن اكرهونا عليه ، ولقد
ضمنوا لنا الاعزاز اذ تقلدناهم وهم مضى نحو قنطرة الكوفة الى بغداد ،
وبلغ الخبر الى موسى بن عيسى ، فركب فى موكبه فلحقه وجعل يناشده
ويقول : يا أبا عبدالله ثبت ، انظر اخوانى اتحبسهم ! دع اعوانى ، قال :
نعم ، لانهم مشوا لك فى أمر لم يجز لهم المشى فيه ، ولست ببارح أو يردوا
جميعا ، والا مضيت الى أمير المؤمنين المهدي فاستعفيت مما قلدنى .

فأمر موسى بردهم الى الحبس ، وهو واقف والله مكانه حتى جاء السجنان فقال : قد رجعوا جميعا الى الحبس ، فقال لاعوانه : خذوا بلجام دابته بين يدي الى مجلس الحكم ، فمروا به بين يديه حتى ادخل المسجد ، وجلس في مجلس القضاء ، فجاءت المرأة المتظلمة ، فقال : هذا خصمك قد حضر ، فقال موسى وهو مع المرأة بين يديه : قيل كل امرٍ أنا قد حضرت ، واولئك يخرجون من الحبس ، فقال شريك : أما الآن فنعم ! اخرجوهم من الحبس ، فقال : ما تقول فيما تدعيه هذه المرأة ؟ قال : صدقت ، قال : ترد ما أخذت منها ، وتبني حائطها سريعا كما كان ، قال : أفعل ذلك ، قال لها : أبقى لك عليه دعوى ؟ قالت : لا . وبارك الله عليك ، وجزاك خيرا قال : قومي ، فقامت من مجلسه .

فلما فرغ قام وأخذ بيد موسى بن عيسى وأجلسه في مجلسه ، وقال السلام عليك أيها الامير ، أتأمر بشيء ؟ فقال : أى شيء أمر ؟ وضحك ، فقال له شريك : أيها الامير ، ذاك حق الشرع ، وهذا القول الآن حق الادب فقام الامير وانصرف الى مجلسه .

١٢ - قاضٍ لا يقبل شهادة خليفة :

وكل سعيد بن عبدالرحمن الداخل عند ابن بشير القاضى وكيلا يخاصم عنه لشيء اضطر اليه ، وكانت بيده وثيقة فيها شهادات شهود قد ماتوا ولم يكن فيها من الاحياء الا الامير الحكم ، وشاهد آخر ، فشهد لسعيد ذلك الشاهد وضربت على وكيله الآجال فى شاهد ثانٍ ، وجد به الخصام ، فدخل سعيد بالكتاب على الحكم ، وأراه شهادته فى الوثيقة ، وقد كان كتبها قبل الخلافة فى حياة أبيه وعرفه حاجته الى أدائها عند قاضيه خوفا من بطلان حقه .

وكان الحكم يعظم عمه سعيدا ، ويلتزم مبرته ، فقال له : يا عم أنا لسنا من أهل الشهادات ، وقد التبسنا من هذه الدنيا بما لا تجهله ، ونخشى أن

توقفنا من القاضي موقف مخزاة كنا نفيد بما نملك ، فصر في خصامك
حيث صيرك الحُصم اليه ، وعلينا رد ما انتقصت •

فأبى عليه وقال : سبحان الله وما عسى أن يقول قاضيك في شهادتك
وأنت وليته وهو حسنة من حسناتك ؟ وقد لزمك أن تشهد لي بما علمته
ولا تكتمنى ما أخذ الله عليك •

فقال بلى : ان ذلك لمن حقت كما تقول ، ولكنك تدخل علينا به
داخلة ، فان أعفيتنا منه فهو أحب الينا وان اضطرتنا لم يمكننا عقوبتك •

فعزم عليه عزم من لم يشك ان قد ظفر بحاجته ، فأرسل الحكم عند
ذلك الى فقيهين من فقهاء زمانه ، وخط شهادته بيده في قرطاس ، وختم عليها
بخاتمه ، ودفعها الى الفقيهين ، وقال لهما ، هذه شهادتي بخطي ، فادياها
الى القاضي •

فأتياه بها الى مجلسه ، وقت قعوده للسمع من الشهود فأدياها
اليه فقال لهما : قد سمعت منكما فقوما راشدين في حفظ الله •

وجاء وكيل سعيد وتقدم اليه مدلا واثقا وقال له : أيها القاضي ، قد
شهد عندك الامير - أصلحه الله تعالى - فما تقول ؟ فأخذ كتاب الشهادة
ونظر فيه ثم قال للوكيل : هذه شهادة لا تقبل عندي ، فجننى بشاهد عدل!
فدهِسَ الوكيل ، ومضى الى سعيد فأعلمه ، فركب من توه الى الحكم ،
وقال : ذهب سلطاننا وازيل بهاؤنا ، يجترىء هذا القاضي على رد شهادتك
والله سبحانه وتعالى قد استخلفك على عبادته ، وجعل الامر في دمائهم
وأموالهم اليك هذا ما يجب أن تحمله عليه ، وجعل يغريه بالقاضي
ويحرضه على الايقاع به •

فقال الحكم : وهل شككت أنا في هذا يا عم ؟ القاضي رجل صالح ،
لا تأخذه في الله لومة لائم ، فعل ما يجب عليه ويلزمه ، وسد دونه بابا كان
يصعب عليه الدخول منه فأحسن الله جزاءه •

فغضب سعيد ، وقال : هذا حسن منك ! فقال له : قد قضيت الذى كان لك علىّ ، ولست - والله - اعارض القاضى فيما احتاط به لنفسه ، ولا أخون المسلمين فى قضائهم ♦

١٣ - قد كان يسؤنى أن تكون أميرا :

دخل صعصعة بن صوحان على معاوية أول ما دخل عليه وقد كان يبلغ معاوية عنه، فقال له معاوية : ممن الرجل ، قال : رجل من نزار. قال: وما نزار ؟ قال : اذا غزا احترش ، واذا انصرف انكمش واذا لقي افترش ♦ قال فمن أى ولده أنت ؟ قال : من ربيعة ، قال : وما ربيعة ؟ قال : كان يغزو بالحيل ، ويغيرُ بالليل ، ويوجد بالليل ♦ قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال من أسد : قال وما أسد ؟ قال : كان اذا طلب أمضى ، واذا أدرك أرمى ، واذا آب أنضى ♦ قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من جديلة ♦ قال : وما جديلة ؟ قال : كان يطيل النجاد ويعدّ الجهاد ويجيد الجلاد ♦ قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال من دعمي ، قال : وما دعمي ؟ قال : كان نارا ساطعا ، وشرا قاطعا ، وخيرا نافعا ♦ قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أمضى ♦ قال : وما أمضى ؟ قال : كان ينزل القارات ، ويكسر الغارات ، ويحمي الجارات ♦ قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال من عبدالقيس ، قال : وما عبدالقيس ؟ قال : ابطال ذادة ، حجاججة قادة ، صناديد سادة ♦ قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من أفضى ♦ قال : وما أفضى ؟ قال : كان ذا رماح مشرعة ، وقدور مترعة ، وجفان مفرعة ♦ قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من لكيز ♦ قال : وما لكيز ؟ قال : كان يباشر القتال ، ويعانق الابطال ، ويبدد الاموال ♦

قال فمن أى ولده أنت ؟ قال : من عجيل • قال : وما عجيل ؟ قال :
الليوث الضراغمة ، الملوك القماقمة ، القروم القشاعمة •

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من كعب ، قال : وما كعب ؟ قال :
كان يسعر الحرب ويوجد الضرب ، ويكشف الكرب •

قال : فمن أى ولده أنت ؟ قال : من مالك • قال : وما مالك ؟ قال :
الهمام للهام والقمقام للمقمقام •

قال معاوية : والله ما تركت لهذا الحى من قريش شيئا قال : بل تركت
أكثره وأحبه ، قال : وما هو ؟ قال : تركت لهم الوبر والمدر ، والابيض
والاصفر ، والصفوا المشعر ، والقبة والمفخر ، والسريبر والمنبر ، والملك
الى المحشر •

فقال : أما والله لقد كان يسوعنى أن أراك أسيرا • فقال : وأنا والله
لقد كان يسوعنى أن أراك أميرا ، ثم خرج ، فبعث اليه فرده ووصله
وأكرمه •

١٤ - لولا ما جعل الله لنا فى يدك ما أتيناك :

بينما معاوية جالس "يوما وعنده عمرو بن العاص اذ قال الأذن ، قد
جاء عبدالله بن جعفر بن أبى طالب ، فقال عمرو : والله لأسوأه اليوم ،
فقال معاوية : لا تفعل يا أباعبدالله ، فانك لا تتصف منه ، ولعلك ان تفعل
تظهر لنا من منقبته ما هو خفى عنا وما لا نحب أن نعلمه عنه •

وغشيها عبدالله بن جعفر ، فأدناه معاوية وقربه ، فمال عمرو الى
بعض جلساء معاوية ، فقال من علي جهارا غير ساتر له ، وثلبه ثلبا فيجحا
فالتمع لون عبدالله حتى اردت حضائه ، ثم نزل عن السرير وقال : عمرو:
مه يا أباجعفر ، فقال عبيدالله : مه لا أم لك ثم قال :

أظن الحلم دلّ عليّ قومي وقد يتجهل الرجل الحليم

ثم حسر عن ذراعيه ، وقال : يا معاوية ، حتام نتجرع غيظك ؟ وآلام الصبر على مكروه قولك وسييء أدبك وذميم أخلاقك ؟ هبلك الهبول ! أما يزررك ذمام المجالسة عن القذع جليسيك ، إذا لم تكن حرمة من دينك تنهاك عما لا يجوز لك ، أما والله لو عطفتك أواصر الأرحام أو حاميت على سهمك من الإسلام ، ما ارعيت بنى الاماء اعراض قومك ، وما يجهل موضع الصفوة الا أهل الجفوة •

وانك لتعرف قريشا وصفوة غرائزها ، فلا يدعونك تصويب ما فرط من خطتك في سفك دماء المسلمين ، ومحاربة أمير المؤمنين الى التماذى فيما قد وضع لك الصواب في خلافه ، فاقصد لمنهج الحق ، فقد طال عمهك عن سبيل الرشاد ، وخبطك في ديجور ظلمه الغى ، فان أبيت الا أن تتابعنا فاعفنا من سوء القالة فينا ، اذا ضمنا واياك الندى وشأنك وما تريد اذا خلوت والله حسيك ! فوالله لولا ما جعل الله لنا في يديك لما أتيناك •

ثم قال : انك ان كلفتني ما لم أطق ساءك ما ستر منى من خلق • فقال معاوية : يا أبا جعفر ، تغير الخطأ ، أقسمت عليك لتجلسن ، لعن الله من أخرج ضب صدرك من وجاره ، محمول لك ما قلت ، ولك عندنا ما أملت فلو لم يكن محتدك ومنصبك لكان خلقك وخلقك شافعين لك الينا ، وأنت ابن ذى الجناحين وسيد بنى هاشم •

فقال عبدالله : بل سيد بنى هاشم حسن وحسين ، لا ينازعهما في ذلك أحد • فقال : أبا جعفر ، أقسمت عليك لما ذكرت حاجة لك الا قضيتها لك كائنة ما كانت ، ولو ذهبت بجميع ما أملك فقال : أما في هذا المجلس فلا •

ثم انصرف فاتبعه معاوية بصره فقال : والله لكأنه رسول الله في مشيته وخلقه وانه لمن مشكاته ، لوددت انه اخى بنفيس ما أملك •

ثم التفت الى عمرو ، فقال : يا أبا عبدالله ما تراه منعه من الكلام معك؟
قال : مالا خفاء به عنك ! قال : اظنك تقول : انه هاب جوابك لا والله •
ولكنه ازدراك واستحقرك ، ولم يرك للكلام أهلا ، أما رأيت اقبله عليّ
دونك ذاهبا بنفسه عنك ؟ فقال عمرو : فهل لك أن تسمع ما أعددت له لجوابه؟
قال معاوية : أرغب اليك يا أبا عبدالله ، أن تترك ما أنت فيه • ونهض
معاوية وتفرق الناس •

١٥ - واعظ أبي جعفر المنصور :

بينما المنصور يطوف ليلا اذ سمع قائلا يقول : الهم اني أشكو اليك
ظهور البغى والفساد في الارض ، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع !
فخرج المنصور فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل الى الرجل يدعوه ،
فصلى الرجل ركعتين ، واستلم الركن وأقبل مع الرسول ، فسلم عليه
بالخلاقة •

فقال المنصور : ما الذي سمعتك تذكر من ظهور البغى والفساد ؟
وما يحول بين الحق وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حشوت مسامعي ما
أرمنى ؟ •

قال : يا أمير المؤمنين ، ان أمنتني على نفسي أنباتك بالامور من
اصولها ، والا احتجزت منك ، واقتصرت على نفسي ، ففيها لى شاغل •

فقال : أنت آمن على نفسك ، فقل ، فقال : ان الذي دخله الطمع
حتى حال بينه وبين ما ظهر من البغى والفساد لأنت ! قال : ويحك !
وكيف يدخلني الطمع ، والصفراء والبيضاء في قبضتي ، والحلو والحامض
عندي ؟ قال : وهل أحد من الطمع ما دخلك ! ان الله تبارك وتعالى
استرعاك على المسلمين وأموالهم فأغفلت امورهم ، واهتمت بجمع أموالهم
وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر ، وأبوابا من الحديد ، ثم

سجنت نفسك فيها عنهم ، وبعثت عمالك فى جباية الاموال وجمعها وقويتهم بالرجال والسلاح ، وأمرت بألا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ، ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العادى ، ولا الضعيف ولا الفقير ولا أحد الا وله فى هذا المال حق .

فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثرتهم على رعيتك ، وأمرت الا يحجبوا عنك ، تجبى الاموال وتجمعها ولا تقسمها ، قالوا : هذا قد خان الله فما بالنالنا نخونه وقد سمن لنا نفسه .

فأتَمروا بألا يصل اليك من علم أخبار الناس شىء الا ما أرادوا ، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم الا عابوه عندك حتى تسقط منزلته ويصغر قدره ، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، أعظمتهم الناس وهابوهم ، فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ، ليقوا بها على ظلم رعيتك .

ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم ، فامتألت بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا ، وصار هؤلاء القوم شركاءك فى سلطانك ، وأنت غافل ، فان جاء متظلم حيل بينه وبين دخول مدينتك ، فان أراد رفع قصته اليك عند ظهورك ، وجدك قد نهيت عن ذلك وأوقفت للناس رجلا ينظر فى قطاعهم ، فان جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم : الا يرفع مظلّمته اليك ، فان المتظلم منه له به حرمة فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث ، وهو يدفعه وَيَعْتَلُّ به ، فاذا اجهد وأحرجَ وظهرت ، صرخ بين يديك ، فضرب ضربا مبرحا ؟ ليكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر فلا تنكر فما بقاء الاسلام بعد هذا !

وقد كنت اسافر الى الصين ، فقدمتها مرة وقد اصيب ملكها بسمعه ، فبكى يوما بكاء شديدا ، فحثه جلساؤه على الصبر فقال : أما انى لست

أبكى للبلية النازلة بى ، ولكن أبكى لمظلوم بالباب يصرخ ولا أسمع صوته ،
ثم قال : أما اذا ذهب سمعى ، فان بصرى لم يذهب ، نادوا فى الناس الا
يلبس ثوبا أحمر الا متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرفى نهاره وينظر هل
يرى مظلوما ؟

فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين شح نفسه ،
وأنت مؤمن بالله ، ثم من أهل بيت نبيه لا تغلب رأفتك بالمسلمين شح
نفسك ! فان كنت انما تجمع المال لولدك ، فقد أراك عبرا فى الطفل يسقط
من بطن امه وماله على الارض مال ، وما من مال الا ودونه يد شحيحة
تحويه ، فما يزال الله يلفظ بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه ،
ولست بالذى تعطى ، بل الله يعطى من يشاء ما يشاء ، وان قلت : انما أجمع
المال لتشديد السلطان فقد أراك الله عبرا فى بنى امية * ما أغنى عنهم
ما جمعوا من الذهب والفضة ، وأعدوا من الرجال والسلاح والكراع ،
حتى أراد الله بكم ما أراد * وان قلت : انما أجمع المال لطلب غاية هي
أجسم من الغاية التى أنا فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه الا منزلة لا تدرك
الا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين ، هل تعاقب من عصاك بأشد من
القتل ؟ *

قال المنصور : لا * قال فكيف تصنع بالملك الذى خولك ملك الدنيا
وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ! ولكن بالخلود فى العذاب الاليم ، قد رأى
ما قد عقد عليه قلبك وعملته جوارحك ونظر اليه بصرك واجترحت يداك ،
ومشت اليه رجلاك ، هل يغنى عنك ما شححت عليه من ملك الدنيا اذا
انتزعه من يدك ودعاك الى الحساب !

فبكى المنصور وقال : ياليتنى لم اخلق ، ويحك ! فكيف احتال
لنفسى قال : يا أمير المؤمنين ! ان للناس أعلاما يفرعون اليهم فى دينهم

ويرضون بهم فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم في أمرك يسددوك
قال : قد بعثت اليهم فهربوا مني • فقال : خافوا أن تحملهم على طريقتك ،
ولكن افتح بابك ، وسهل حجابك ، وانصر المظلوم ، واقمع الظالم ، وخذ
الفيء والصدقات مما حل وطاب واقسم بالحق والعدل على أهله ، وأنا
الضامن عنهم أن يأتوك ويسعدوك على صلاح الامة •

وجاء المؤذنون فسلموا عليه ، فصلى وعاد الى مجلسه وطلب الرجل
فلم يجده •

سادساً : « الشجاعة »

والشجاعة مظهر "عربي أصيل وسجية يعربية متأصلة في نفوس العرب
أملتها طبيعتهم • وتاريخ العروبة مليء بالبطولات الفذة والشجاعات الخارقة ،
كما وقد برز في ميدان البطولة والرجولة مئات بل ألوف من أبطال العرب
وشجعانهم سواء كان في عهد جاهليتهم أم بعد الاسلام وهاك بعضها •

١ - قوة وبطش :

كان هلال فارسا شجاعا شديد البأس والبطش أكثر الناس أكلا
وأعظمهم في الحرب غناء ، وكان يرد مع الابل فيأكل ما وجد عند أهله
ثم يرجع اليها ولا يتزود طعاما ولا شرابا حتى يرجع يوم ورودها ،
لا يذوق فيما بين ذلك طعاما ولا شرابا •

كان يوما في ابل له ، وذلك عند الظهر في يوم شديد الحر محتدم
الهجرة ، وقد عمد الى عصاه فطرح عليها كساءه ثم أدخل رأسه تحت
كسائه من الشمس ، فبينما هو كذلك اذ مر به رجلان ، أحدهما من بني
نهشل ، والآخر من بني فقيم ، كانا أشد تميميين في ذلك الزمان بطشا ،
وقد أقبلا من البحرين ، ومعهما أنواع من تمر هجر وكان هلال بناحية
الصعاب وهو جبل بين اليمامة والبحرين •

فلما انتهيا الى الابل - ولا يعرفان هلالا بوجهه ولا يعرفان ان الابل له - ناديا ، يا راعي ، أعندك شراب تسقينا ؟ وهما يظنانه عبدا فنادهما هلال ورأسه تحت كسائه : عليكما بالناقاة التي صفتها كذا في موضع كذا ، فأنيخاها ، فان عليها رطيين من لبن فاشربا منها ما بدا لكما فقال له أحدهما ويحك انهض يا غلام فأت بذلك اللبن ! فقال لهما : ان تك لكما حاجة فستأتيانها فتحدران الوطين فتشربان •

فقال أحدهما : انك لغيط الكلام ، قم فاسقنا ، ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال ، فقال لهما - حيث قال له أحدهما : انك لغيط الكلام - أراكما والله ستلقيان هوانا وصغارا ، وسمعا ذلك منه ، فدنا أحدهما فأهوى له ضربا بالسوط على عجزه وهو مضطجع ، فتناول هلال يده فاجتذبه اليه ، ورماه تحت فخذه ، ثم ضغطه ضغطة فنادى صاحبه : ويحك أغثنى قد قتلنى ! فدنا صاحبه منه ، فتناوله هلال أيضا فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الاخرى ، ثم أخذ برقابهما فجعل يصك برأسيهما بعضا ببعض وهما لا يستطيعان أن يينعا منه •

فقال أحدهما : كن هلالا ولا تبالى ما صنعت ! فقال لهما : أنا والله هلال ، لا والله لا تفلتان منى حتى تعطيانى عهدا وميثاقا لا تخيسان به لتأتين المرید اذا قدمتما البصرة ، ثم لتناديان بأعلى أصواتكما بما كان منى ومنكما ، فعاهداه وأعطياه نوطا من التمر الذى معهما ، وأتيا البصرة فبرا بوعديهما •

٢ - لا تعرضوا لهذا الشيطان :

حدث خالد عن كنيف بن عبدالله المازنى قال : كنت يوما مع هلال ونحن نبغى ابلا لنا ، فقدمنا الى قوم من بكر بن وائل وقد تعبنا وعطشنا واذا نحن بفتية شباب عند ركية لهم وقد وردت ابلهم ، فلما رأوا هلالا استهلوا خلقه وقامته •

فقام رجلان منهم اليه ، فقال له أحدهما : يا عبدالله ، هل لك فى الصراع ؟ فقال له هلال ، أنا الى غير ذلك أحوج ، قال : وما هو ؟ قال : الى لبن وماء فانى تعب ظمآن ! قال : ما أنت بذائق من ذلك شيئا حتى تعطينا عهدا لتجيبنا الى الصراع اذا أرحتَ ورويتَ .

فقال لهما هلال : اننى لكم ضيف والضيف لا يصارع رب منزله ، وانتم مكثفون من ذلك بما أقول لكم : اعمدوا الى أشد فحل من ابلتكم وأهيبه صولة ، والى أشد منكم ذراعا ، فان لم أقبض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنع الرجل والبعير حتى ادخل يد الرجل فى فم البعير ، فان لم أفعل ذلك فقد صرعتمونى ، وان فعلته علمتم ان صراع أحدكم أيسر عليّ من ذلك . فعجبوا من مقالته تلك ، وأومأوا الى فحل فى ابلهم هائج صائل فأتاه هلال ومعه نفر من اولئك القوم وشيخ لهم ، فأخذ بهامة الفحل مما فوق مشفره ، فضغطها ضغطة ، جرجر الفحل واستخدى ورغا وقال : ليعطينى من أحببتم يده اولجها فى فم هذا الفحل .

فقال الشيخ : يا قوم تنكبوا هذا الشيطان ، فوالله ما سمعت هذا الفحل رغرغ وجرجر منذ بزل ، فلا تعرضوا لهذا الشيطان ، وجعلوا يتبعونه وينظرون الى خطوه ويعجبون منه حتى جازهم .

٣ - هلال يصارع عبدا جبارا :

سمع رهط هلالا يقول : قدمت المدينة ، وعليها رجل من آل مروان ، فلم أزل أضع عن ابلى ، وعليها أحمال للتجار ، حتى اخذ بيدي وقيل لى أجب الامير .

قال : قلت لهم : ويلكم ابلى وأحمالى ، فقيل : لا بأس على ابلتكم وأحمالك ، قال : فانطلق بى حتى ادخلت على الامين فسلمت عليه ثم قلت : جعلت فداك ابلى وأماتتى ! فقال : نحن ضامنون لابلتكم وأماتتكم حتى تؤديها

اليك فقلت عند ذلك : فما حاجة الامير اليّ ! جعلني الله فداء ، فقال لي - والى جنبه رجل أصفر لا والله ما رأيت رجلا قط أشد منه ، ولا أغلظ عنقا ، ما أدري أطوله أكثر أم عرضه ؟ ان هذا العبد الذي ترى ، لا والله ما ترك بالمدينة عربيا يصارع الا صرعه • وبلغني عنك قوة فأردت أن يجرى الله صرع هذا العبد على يدك ، فتدرك ما عنده من أوتار العرب ، قال : فقلت : جعلني الله فداء الامير ، اني تعب جائع ، فان رأى الامير أن يدعني حتى أضع عن ابلي وأؤدى امانتي ، واريح يومى ، وأجيئه غدا فليفعل •

فقال لاعوانه : انطلقوا معه فأعينوه على الوضع عن ابله وادوا امانته ، وانطلقوا به الى المطبخ فأشبعوه ، ففعلوا جميع ما أمرهم به ، قال : فظللت بقية يومى ذلك ، وليلتى تلك بأحسن حال شبعا وراحة وصلاح أمر ، فلما كان من الغد غدوت عليه وعليّ جبة من صوف ، وليس عليّ أزار الا اني قد شددت بعمامتي وسطى ، فسلمت عليه فرد عليّ السلام ، وقال للاصفر قم اليه فقد أرى الله أتناك بما يخزيك ، فقال العبد : اتزر يا أعرابي فأتررت على جبتى ، فقال : هيهات ! هذا لا يثبت ، اذا قبضت عليه جاء في يدي ، فقلت : والله مالى من ازار سواه •

قال : فدعا الامير بملحفة ما رأيت قبلها ولا على جلدى مثلها فشددت بها على خصرى وخلعت الجبة •

قال : وجعل العبد يدور حولى ويريد قتلى وأنا منه وجل ، ولا أدري كيف أصنع به ، ثم دنا منى دنوة ، فنقد جبهتى بظفره نقدة ظننت انه قد شجنى وأوجعنى ، ففاظننى ذلك ، فجعلت أنظر فى خلقه بم أقبض عليه منه • فما وجدت فى خلقه شيئا أصغر من رأسه ، فوضعت ابهامى فى صدغه وأصابعى الاخرى فى أصل اذنيه ، ثم غمزته غمزة صاح منها قتلنى ، قتلنى ، فقال الامير : اغمس رأس العبد فى التراب ، فقلت له : ذلك عليّ

قال : فغمست والله رأسه في التراب ، ووقع فيها مغشيا عليه ،
فضحك الامير حتى استلقى وأمر لى بجائزة وصلة وكسوة وانصرفت •

٤ - مصرع الزباء - الثأر ضرب من شجاعة :

كان جذيمة قد ملك على شاطيء الفرات وكانت الزباء ملكة الجزيرة
وكان جذيمة قد وترها بقتل أبيها ، فلما استجمع أمرها ، وانتظم شمل
ملكها أحبت أن تغزو جذيمة ، ثم رأت أن تكتب اليه ، انها لم تجد ملك
النساء الا قبحا في السماع ، وضعفا في السلطان ، وانها لم تجد لملكها
موضعا ولا لنفسها كفؤاً غيرك ، فأقبل الي لاجمع ملكي الى ملكك ، وأصل
بلادى ببلادك وتقلد أمرى مع أمرك •

فلما أتى كتابها جذيمةَ وقدم عليه رسلها استخفه ما دعته اليه ،
ورغب فيما اطعمته فيه ، فجمع أهل الحجا والرأى من ثقاته - وهو يومئذ
بقعة من شاطيء الفرات - وعرض عليهم ما دعته اليه وعرضت ، فاجتمع
رأيهم على أن يسير اليها ويستولى عليها •

وكان فيهم قصير - وكان أريبا حازما أثيرا عند جذيمة - فخالفهم
فيما أشاروا به وقال : رأى فاتر وغدر حاضر ثم قال لجذيمة : الرأى أن
تكتب اليها فان كانت صادقة في قولها فلتقبل اليك ، والا لم تمكنها من
نفسك ، ولم تقع في حبالها ، وقد وترتها وقتلت أباه ، فلم يوافق جذيمة
وسفّه رأيه •

ودعا جذيمة عمرواً بن عدى ابن اخته فاستشاره ، فشجعه على المسير
وقال : ان قومي مع الزباء ولو رأوك لصاروا معك ، فأحب جذيمة ما قاله
وعصا قصيرا فقال قصير : لا يطاع قصير لقصير أمر •

واستخلف جذيمة عمرواً بن عدى على ملكه وسلطانه ، وسار في
وجوه أصحابه على الفرات من الجانب الغربي ، فلما نزل دعا قصيرا فقال :

ما الرأى يا قصير؟ فقال قصير: ببقه خلقت الرأى، قال وما ظنك بالزباء؟
قال: القول رداً والحزم عثرات تخاف •

واستقبله رسل الزباء بالهدايا والألطف، فقال: يا قصير كيف ترى؟ قال: خطب يسير فى خطب كبير، وستلقاك الجيوش، فان سارت أمامك فلمرأة صادقة، وان أخذت جنبتيك وأحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك، فاركب العصا - اسم فرسه - فانها لا يشق غبارها - وكانت العصا فرسا لجذيمة لا تجارى - وانى راكبها ومسايرك عليها •

فلقيته الخيول والكتائب فحالت بينه وبين العصا، فركبها فصبى، ونظر اليه جذيمة على متن العصا موليا: وجرت به الى غروب الشمس، وقد قطعت أرضا بعيدة •

وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيل حتى دخل على الزباء، فلما رآته قالت: هيئة عروس نرى؟ فقال: أمر غدر أرى، ثم دعت بالسيف والنطع وقالت: ان ماء الملوك شفاء من الكلب، فأمرت بطشت من ذهب قد أعدته له وسقته الخمر حتى سكر وأخذت منه الخمر فأخذها، فأمرت براهسية فقطعا وقدمت اليه الطست وقد قيل لها: ان قطر من دمه شىء فى غير الطست طلب فى دمه - فلما ضعفت يدها سقطت فقطر من دمه فى غير الطست فقالت: لا تضعوا دم الملك • فقال جذيمة دعوا دما ضيعه أهله فهلك جذيمة •

وخرج قصير من الحى الذى هلكت فيها العصا حتى قدم على عمرو بن عدى - وهو بالحيرة - فقال له قصير: أئائر أنت؟ قال: بل نائر سائر • فقال: قصير تهاً واستعد ولا تظن دم خالك • قال: وكيف لى بها وهى أمنع من عقاب الجو •

وكانت الزباء سألت كاهنة لها عن هلاكها، فقالت: أرى هلاكك،

بسبب غلام مهين غير أمين ، وهو عمرو بن عدى ولن تموتى بيده ، ولكن
حتفك بيدك ومن قبله ما يكون من ذلك •

فحذرت عمرواً واتخذت لها نفقا من مجلسها الذى كانت تجلس فيه
الى حصن لها فى داخل مدينتها ، وقالت : ان فاجأنى أمر دخلت النفق الى
حصنى ودعت رجلا مصورا من أجود أهل بلاده تصويرا ، وأحسنهم
عملا فجهزته وأحسنته اليه ، وقالت سر حتى تقدم على عمرو متكرا
فتخلوا بحشمه فتنعم اليهم ، وتخالطهم وتعلمهم من عندك من علم التصوير •
ثم اثبت لى عمرو بن عدى معرفة ، تصوره جالسا وقائما ومتسلحا بهيئته
ولباسه ولونه ، فاذا أحكمت ذلك فاقبل اليّ •

فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عدى ، وصنع الذى أمرته
به الزباء ، وبلغ من ذلك ما أوصته به ، ثم رجع الى الزباء يعلم ما وجهته
له من الصورة على ما وصفت وأرادت أن تعرف عمرواً بن عدى • فلا تراه
على حال الا عرفته وحذرتة وعلمت علمه •

وقال قصير لعمر بن عدى : اجدع انفى واضرب ظهري ودعنى
واياها ، فقال عمرو : ما أنا بفاعل ، وما أنت لذلك مستحقا عندى • فقال
قصير : خل عنى • فقال له عمرو : فأنت أبصر ، فجدع أنفه وأثر آثارا
بظهره فقالت العرب لامر ما جدع قصير أنفه •

ثم خرج قصير كأنه هارب ، وأظهر ان عمرواً فعل ذلك به ، وانه
زعم أنه مكر بخاله جذيمة ، وغره ، فسارحتى قدم على الزباء ، فقبل لها : ان
قصيرا فى الباب • فأمرت به فادخل ، فاذا أنفه قد جدع ، وظهره قد
ضرب ، فقالت : ما الذى أرى بك يا قصير ؟ قال : زعم عمرو انى قد غررت
خاله ، وزينت له المصير اليك وغششته ومالأتك ، ففعل بى ما تريد •
فأقبلت اليك • فأكرمه وأصابت عنده من الحزم والرأى ما أرادت •

فلما عرف انها استرسلت اليه ، ووثقت به قال : ان لي بالعراق أموالا كثيرة وطرائف وثيابا وعطرا فأبعثني الى العراق ، لاحمل مالي وأحمل اليك من بزّها وطرائفها وثيابها وطيبها ، لتصيني من ذلك أرباحا عظيمة ، فلم يزل يزين ذلك حتى أذنت له ، ودفعت اليه أموالا وجهزت معه عيدا ♦

فسار قصير بما دفعت إليه حتى قدم العراق ، وأتى الحيرة متكرا ، فدخل على عمرو بن عدى ، فأخبره الخبر ، وقال : جهزني بصنوف البزّ والامتعة لعل الله يملكك من الزباء ، فتصيب ثارك ، وتفتك بعدوك ، فأعطاه حاجته ♦

فرجع بذلك الى الزباء ، فأعجبها ما رأت وسرها ، وأزدادت به ثقة وجهازته ثانية ، فسار حتى قدم على عمرو ♦ فجهزه وعاد اليها ♦

ثم عاد الثالثة وقال لعمرو : اجمع لي ثقات أصحابك وهبيء الغرائر وأحمل رجلين على بعير في غرارتين ، فاذا دخلوا مدينة الزباء أقمتك على باب نفقها ، وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة ، فمن قاتلهم قتلوه ، وأن أقبلت الزباء النفق جللتها بالسيف ♦

ف فعل عمرو ذلك ، وحمل الرجال في الغرائر بالسلح ، وسار يكمن النهار ويسرى بالليل فلما صار قريبا من مدينتها تقدم قصير فبشرها وأعلمها بما جاء به من المتاع والطرائف وقال لها : آخر البزّ على القلوص ♦ وسألها أن تخرج فتتظر الى ما جاء به ، وقال لها : جئت بما خف ونفع ♦

ثم خرجت الزباء فأبصرت الابل تكاد قوائمها تسوخ في الارض من ثقل أحمالها ، فقالت : يا قصير :

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلا يحملن أم حديدا

فقال قصير في نفسه : بل الرجال قبصا قعودا ♦

فدخلت الابل المدينة حتى كان آخرها بعيرا مر على بواب المدينة ، وكانت بيده منخسة ، فنخس الغرارة ، فأصابت خاصرة الرجل الذي فيها فسمع له صوتا فقال شر في الجوالق •

فلما توسطت الابل المدينة انبخت ودل قصير عمروا على باب النفق الذي كانت الزباء تدخله ، وأرته اياه قبل ذلك ، وخرج الرجال من الغرائر ، فصاحوا بأهل المدينة ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو على باب النفق وأقبلت الزباء تريده ، فأبصرت عمروا فعرفته بالصورة التي صوّرت لها ، فمصت خاتمها - وكان فيه السم - وقالت بيدي لا بيد عمرو • وتلقاها عمرو فجللها بالسيف وقتلها ، وأصاب ما أصاب من المدينة وأهلها ، وانكفا راجعا الى العراق •

٥ - شجاعة صفيّة بنت عبدالمطلب :

قالت صفيّة بنت عبدالمطلب : كان حسان بن ثابت معنا في - حصن بالمدينة - يطوف يوم الخندق ومعنا النساء والصبيان ، فمر بها رجل من اليهود ، فجعل يطوف بالحصن ، فقلت : يا حسان ، ان هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن ، وأنا والله لا آمن أن يدل علينا من وراءنا من اليهود ورسول الله قد شغل عنا فانزل اليه واقتله فقال : يغفر الله لك يا بنت عبدالمطلب لقد عرفت ما أنا بصاحب شجاعة •

قالت : فلما قال لي ذلك ، ولم أر عنده شيئا اعتجرت ثم أخذت عمودا ونزلت اليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه ، رجعت الى الحصن ، وقلت : يا حسان انزل اليه فاسلبه ، فانه لم يمتعني من سلبه الا انه رجل ، فقال : ما لي بسلبه من حاجة يا بنت عبدالمطلب •

٦ - شجاعة المصون أسماء بنت أبي بكر وصلابتها في الحق :

ثارَ عبدالله بن الزبير على بني امية بعد مقتل أخيه مصعب في العراق

ووجه الامويون لحربه الحجاج بن يوسف الثقفي فحاصر مكة
حصارا شديدا ولعدة أيام ورمى الكعبة بالمنجنيق حتى قتل أصحاب ابن
الزبير وتفرق الباقون عنه •

فدخل ابن الزبير على امه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم
له فقال : يا اماه خذلني الناس حتى ولدي وأهلي فلم يبق معي الا السير
ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة ، والقوم يعطونني ما أردت
من الدنيا فما رأيك ؟ •

فقلت : أنت والله يا بني أعلم بنفسك ، وان كنت تعلم أنك على حق
واليه تدعو فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبته
يتلعب بها غلمان بني امية ، وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد أنت ،
أهلكت نفسك ، وأهلكت من قتل معك وان قلت : كنت على حق ، فلما
وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الاحرار ولا أهل الدين •• وكم
خلدوك في الدنيا ، القتل أحسن ، والله لضربة بالسيف في عز أحب اليّ
من ضربة بسوط في ذل ، قال : اني أخاف أن قتلوني أن يمثلوا بي ،
قالت : يا بني ان الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها •

فدنا ابن الزبير ، وقبل رأى امه وقال : هذا والله رأيي ، والذي قمت
به داعيا الى يومي هذا ، ما ركنت الى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها ، وما
دعاني الى الخروج الا الغضب لله أن تستحل حرمة ، ولكن أحببت أن
أعلم رأيك فزدتيني بصيرة ، مع بصيرتي ، فانظري يا اماه فاني مقتول من
يومي هذا ، فلا يشتد حزنك ، وسلمي لامر الله ، فان ابنك لم يتعمد
اتيان منكر ولا عملا بفاحشة ، ولم يجبر في حكم الله ، ولم يغدر في أمان ،
ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغني ظلم من عمالي فرضيت به بل
أنكرته ، ولم يكن شيء آثر عندي من رضاء ربي ، اللهم اني لا أقول هذا

تزكية منى لنفسى ، فأنت أعلم بى ، ولكن أقوله لأمى لتسلو عنى •
 فقالت أمه : انى لارجو من الله أن يكون عزائى فىك حسنا ان تقدمتنى
 وان تقدمتك ، ففى نفسى حرج حتى أنظر الام يصير أمرى ، قال :
 جزاك الله خيرا يا اماء ، فلا تدعى الدعاء لى قبل وبعد • فقالت : لا أدعه
 أبدا فمن قتل على باطل فقد قتل على حق ، ثم قالت : اللهم ارحم طول
 ذلك القيام فى الليل الطويل ، وذلك النجيب والظمأ فى هواجر المدينة
 ومكة وبره بأبيه وبى ، اللهم قد سلمته لامرك فيه ، ورضيت بما قضيت
 فأبئنى فى عبدالله ثواب الصابرين الشاكرين •

ثم ودعها وقاتل ببسالة حتى قتل ، وقد أمر القائد بتعليقه على خشبة
 أعدها لهذا وأقسم ألا ينزل عنها حتى تلتسمه امه أسماء ذات النطاقين
 وبقي معلقا ثلاثة أيام فخرجت أسماء وهى مكفوفة البصر تتلمس طريقها
 الى موضع شقه ، فلما قيل لها هذا مكانه • وقفت وقالت :
 ما هو مأثور عنها حتى الآن (أما آن لهذا الفارس أن يترجل) فاعتبر القائد
 الاموى ذلك منها التماسا فأمر بانزاله •

٧ - أجبى الناس وأحيل الناس وأشجع الناس :

دخل عمرو بن معد يكرب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال
 له عمر : يا عمرو ، أخبرنى عن أشجع من لقيت ، فقال : والله يا أمير
 المؤمنين لاخبرتك عن أجبى الناس وأحيل الناس وأشجع الناس : خرجت
 مرة اريد الغارة ، فبينما أنا أسير اذ بفرس مشدود ورمح مركوز واذا
 رجل جالس ، وهو كأعظم ما يكون من الرجال خلقا ••• وكان متوشحا
 سيفا •

وقلت له : خذ حذرك فانى قاتلك • فقال : ومن أنت ؟ قلت : أنا
 عمرو بن معد يكرب ، فشهب شهقة فمات • وكان من فارس أصلا وموطنا
 فهذا أجبى من رأيت يا أمير المؤمنين •

وخرجت يوما انتهيت الى حى ، فاذا أنا بفرس مشدود ، ورمح
مركوز ، واذا صاحبه فى وهدة يقضى حاجته •

فقلت : خذ حذرك فانى قاتلك • قال : من أنت ؟ قلت أنا عمرو بن
معد يكرّب • قال : أبا ثور ، ما أنصفتنى ! أنت على ظهر فرسك وأنا
فى بئر ، فاعطنى عهدا انك لا تقتلنى حتى أركب فرسى ، وأخذ حذرى ،
فأعطيته عهدا أن لا أقتله حتى يركب فرسه ، ويأخذ حذره فخرج من
الموضع الذى كان فيه ، حتى تجند بسيفه وجلس • فقلت له : ما هذا ؟
فقال : ما أنا براكب فرسى ، ولا بمقاتلك ، فان نكثت عهدك فأنت أعلم ،
فتركته ومضيت ، فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت •

ثم انى خرجت يوما آخر ، حتى انتهيت الى موضع كنت اقطع فيه ،
فلم أر أحدا ، فأجريت فرسى يمينا وشمالا ، فظهر لى فارس فلما دنا منى
اذا هو غلام قد أقبل من اليمامة • فلما قرب منى سلم فرددت عليه وقلت :
من القتى ؟ قال : أنا الحارث بن سعد فارس الشهباء ، فقلت له خذ حذرك
فانى قاتلك ، فقال : الويل لك ! من أنت ؟ قلت أنا عمرو بن معد يكرّب •
قال : الحقير الذليل ؟ والله ما يمنعنى من قتلك الا استصغارك ، فتصاغرت
نفسى الى وعظم عندى ما استقبلنى به •

فقلت له : خذ حذرك ، فوالله لا ينصرف الا أحدنا • قال : اغرب
مكلك امك ، فانى من أهل بيت ما نكلنا عن فارس قط ! فقلت : هو الذى
تسمع • قال : اختر لنفسك • أما أن تطرد لى وأما أن أطرده لك فاعتمتها
منه ، فقلت : اطرده لى ، فأطرد فحملت عليه ، حتى اذا قلت : انى وضعت
الرمح بين كتفيه ، اذا هو صار حزاما لفرسه ، ثم اتبغنى ، فقرع بالقناة
رأسى ، فقال : يا عمرو خذها اليك واحدة ، فوالله لولانى اكره قتلك
لقتلك ؟ فتصاغرت الى نفسى وكان الموت - والله يا أمير المؤمنين ، أحب
الى مما رأيت فقلت : والله لا ينصرف الا أحدنا ، فقال : اختر لنفسك ،

فقلت : اطردي لي ، فأطرد لي ، فظننت اني قد تمكنت منه ، واتبعت حتى اذا قلت : اني قد وضعت الرمح بين كتفيه ، فاذا هو قد صار لييا فرسه ، ثم اتبعني ففرع رأسى بالقناة ، وقال : يا عمرو خذها اليك ثانية ، فتصاغرت الى نفسى ، فقلت : والله لا ينصرف الا احدنا .

فقال : اختر لنفسك . فقلت : اطردي لي . فأطرد حتى اذا قلت : اني وضعت الرمح بين كتفيه ، وثب عن فرسه ، فاذا هو على الارض ، فأخطأته ومضيت . فاستوى على فرسه ، واتبعتني ففرع بالقناة رأسى وقال : يا عمرو ، خذها اليك ثالثة . ولولا اني أكره قتل مثلك لقتلك .

فقلت له : اقتلني ، فان الموت أحب اليّ مما أرى بنفسى ، وان تسمع فتيان العرب بهذا . فقال : يا عمرو ، انما العفو ثلاث ، واني ان استمكنت منك الرابعة قتلتك وأنشأ يقول :

وكدت اغلاظا من الايمان ان عدت يا عمرو الى الطعان
لتوجرن لهب السنان اولا ، فلتست من بنى شيبان

فلما قال هذا ، كرهت الموت ، وهبته هيبة شديدة ، وقلت : ان لي حاجة . قال : وما هي ؟ قلت : اكون لك صاحباً ورضيت بذلك يا أمير المؤمنين . قال : لست من أصحابي . فكان ذلك والله أشد علي وأعظم مما صنعت .

فلم أزل أطلب اليه حتى قال : ويحك ! وهل تدري أين أريد ؟ قلت : لا . قال : اريد الموت عيانا . فقلت : رضيت بالموت معك - فقال : امض بنا ، فسرنا جميع يومنا وليلتنا حتى مضى الليل وذهب شطره . فدرنا على حى من أحياء العرب ، فقال لي : يا عمرو ، فى هذا الحى الموت ، ثم أوماً الى قبة فى الحى ، فقال : وفى تلك القبة الموت الاحمر ، فأما أن تمسك على فرسى ، فانزل ، فأتى بحاجتى ، وأما أن أمسك عليك فرسك ، فتترل

فتأنيبني بحاجتي ، فقلت : لا بل انزل أنت ، فانت أعرف بموضع حاجتك ،
فرمى الى بعنان الفرس ونزل ، فرضيت لنفسى يا أمير المؤمنين أن أكون
له سائسا •

ثم مضى حتى دخل القبة ، فاستخرج منها جارية ، لم تر عيناى قط
مثلها حسنا وجمالا ، فحملها على ناقه ، ثم قال : يا عمرو • قلت لبيك !
قال : عليك بزمام الناقة •

وسرنا بين برية وهو خلفنا حتى أصبحنا ، فقال لى : يا عمرو • قلت :
ليك ما تشاء ؟ قال : التفت ، فانظر هل ترى أحدا ؟ فالتفت ، وقلت : أرى
جمالا ، قال : اغذ السير ، ثم قال لى : يا عمرو • فقلت لبيك ! قال انظر ،
فان كان القوم قليلا ، فالجلد والقوة والموت ، وان كانوا كثيرا فليسوا بشيء •
فالتفت ، فقلت : هم أربعة أو خمسة ، قال : اغذ السير ، وسمع وقع الخيل ،
فقال لى : يا عمرو ، قلت : لبيك ، قال : كن على يمين الطريق ، وقف
وحول وجوه دوابنا الى الطريق ، ففعلت ووقفت على يمين الراحلة ووقف
هو على يسارها •

ودنا القوم منا ، فاذا هم ثلاثة نفر فيهم شيخ وهو أبو الجارية ،
وأخواها وهما غلامان شابان ، فسلموا فرددنا السلام ، ووقفوا عن يسار
الطريق •

فقال الشيخ : خذ عن الجارية يا ابن أخي ، فقال : ما كنت لاخذها
فقال لاصغر ابنه : اخرج اليه ، فخرج وهو يجر رمحه وحمل عليه
الحارث وهو يقول :

من دون ما ترجوه خضب الذابل من فارس مستلثم مقاتل
ينمى الى شيبان خير وائل ما كان سيرى نحوها بباطل
ثم شد عليه فطعنه طعنه دق منها صلبه ، فسط ميتا •

ثم قال الشيخ : لابنه الآخر : اخرج اليه يا بني ، فلا خير في الحياة
على الذل فخرج اليه ، وأقبل الحارث يقول :

لقد رأيت كيف كانت طعنتي والطعن للقرن الشديد همتي
والموت خير من فراق خلتي فقتلتني اليوم ولا مدلتني

ثم شد عليه فطعنه طعنة سقط منها ميتا •

فقال الشيخ خل الضعينة يا ابن أخي ، فأنا لست كمن رأيت ، قال :
ما كنت لاخليلها ولا لهذا قصدت • فقال له الشيخ : اختر يا ابن أخي ، فإن
سئت طاردتك ، وان سئت نازلتك فاغتنمها الفتى ونزل • ونزل الشيخ
وهو يقول :

ما أرتجى بعد فناء عمري سأجعل السنين مثل الشهر
شيخ يحامي دون بيض الخدر ان استباح البيض قصم الظهر
سوف ترى كيف يكون صبري

فأقبل الحارث وهو يقول :

بعد ارتحالي وطويل سفرى وقد ظفرت وشفيت صدري
والموت خير من لباس الغدر والعار أهديه لحي بكر

ثم دنا فقال له الشيخ : يا ابن أخي ، ان سئت نازلتك ، وان بقيت
فيك قوة ضربتني ، وان سئت فاضربني ، فان بقيت في قوة ضربتك فاغتنمها
الفتى ، فقال : وانا ابدؤك • قال : هات ، فرفع الحارث السيف فلما نظر
الشيخ انه قد أهوى به على رأسه ، ضرب بطنه ضربة فقدت معه ووقعت
ضربة الحارث في رأسه ، فسقطا ميتين •

فأخذت يا أمير المؤمنين أربعة أفراس وأربعة أسياف ثم أقبلت على
الناقة فعدت أعنة الأفراس بعضها الى بعض وجعلت أقودها • فقالت الجارية
يا عمرو ، الى أين ؟ ولست لى بصاحب ، ولست كمن رأيت ، ولو كنت
صاحبي لسلكت سيبلهم ! فقلت : اسكتي ، قالت : فان كنت صادقا فاعطني
سيفا ورمحا ، فان غلبتني فانا لك ، وان غلبتك قتلتك •

فقلت لها : ما أنا بمعطيك ذلك • وقد عرقت أصلك ، وجرأة قومك
وشجاعتهم ، فرمت بنفسها عن البعير وهي تقول :

أبعداً ما شيخى وبعد اخوتي أطلب عيشنا بعدهم بلسة
هل لا تكون قبل ذا منيتي

وأهوت الى الرمح فكادت تتزعه من يدي ، فلما رأيت ذلك خفت
ان هي ظفرت بي أن تقتلني ، فقتلتها •

فهذا أشد ما رأيته يا أمير المؤمنين من الشجاعة • فقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه : صدقت يا عمرو :

٨ - عند الموت :

'حميل هدية' بن 'خشرم العذري الى معاوية ، وقد سبق له أن قتل
زيادة بن زيد العذري ، وتقدم عبدالرحمن أخو زيادة فادعى عليه ، فقال
له معاوية ما تقول ؟ قال : أتحب أن يكون الجواب شعرا أم نثرا ؟ قال :-
بل شعرا ، لانه اتمع ! فقال هدية :

فلما رأيت انما هي ضربة من السيف أو اغضاء عين على وتر
عمدت لامر لا يعير والذي خزائته ولا يسب به قبري
رَمِيناً فرامينا فصادف سهما منية نفس في كتاب وفي قدر
وأنت أمير المؤمنين فما لنا وراءك من معدى ولا عنك من قصر

فقال له معاوية : أراك قد أقررت يا هدية ! قال : هو ذاك • فقال له-

عبدالرحمن : اقيدني ، فكره ذلك معاوية ، وضمن بهدية عن القتل •

وكان ابن زيادة صغيرا فوجه به الى المدينة ، وقال :-

يجبس' الى أن يبلغ فلما يبلغ كان والى المدينة سعيد بن العاص •

فمما وقف عليه من قسوته قوله :

ولما دخلت السجن يا أم مالك ذكرتك والاطراف في حلق سمر

وعند سعيد غير أن لم أبح به ذكرك ان الامر يذكر بالامر

فستل عن هذا القول فقال : لما رأيت ثغر سعيد ذكرت به ثغرها •
ثم انه عرض على ابن زياد عشر ديات فأبى الا القود ، فلما خرج بهديه
ليقاد بالحرّة جعل ينشد الاشعار فقالت له 'حبّي المدينية : ما رأيت أفسى
قلبا من قلبك ، أتشد الاشعار وأنت يمضى بك الى القتل ؟ وهذه خلفك
كأنها ضبي عطشان تولول - تعنى امرأته - فوقف الناس معه فأقبل على
حبي فقال :

ما وجدت وجدى بها ام واحد ولا وجد حبي لأبن ام كلاب
رأته 'طويل الساعدين شمردلا كما انتعت من قوة وشباب

فأغلقت حبي الباب بوجهه وسدته •

وعرض له عبدالرحمن بن غسان فقال :- انشدنى فقال له :- أعلى
هذا الحال ؟ قال نعم فأشده :

ولست بمفراح اذا الدهر سرنى ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا ابتغى الشر والشر تاركى ولكن متى أحمل على الشر أركب
وحرّ بنى مولاي حتى غشيته متى ما يحمر بك بن عمك تحرب
فلما قدّمَ نظر الى امرأته فدخلته غيرة " وقد كان جدع أنفه فى
حربهم فقال :

فان يك أنفى بان منه جماله فما حسبي فى الصالحين بأجدعا
فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننا أعم القفا والوجه ليس بانزعا
فقال :- تفوا عنه ساعة ثم مضت ورجعت وقد اصطلمت انفها ،
فقال : أهذا فعل من له فى الرجال حاجة ؟ فقال : الآن طاب الموت ثم
أقبل على ابويه فقال :

أبليانى اليوم صبيرا منكما ان حزناً منكما اليوم لشر

ما أظن الموت إلا هينا ان بعد الموت دار المستقر
ثم قال :

أذا العرش انى عائد بك مؤمن مقر " بذلات اليك فقير
وانى وان قالوا أمير 'مسلط' وحجاب ابواب لهن صرير
لأعلم ان الامر امرك ان تدن قرب وان تغفر فأنت غفور
ثم قال لابن زياد اثبت قدميك ، وأجد الضرب ، فانى ايتمك
صغيرا وأرملت امك شاة •

٩ - فى غزو الروم :

لما ذهب الرشيد لغزو الروم أخذ يفتح المدن والحصون ويجررها
واحدا تلو الآخر حتى اتاخ على مدينة هرقله وهى اوثق حصن واعزه
جانبا وامنعه ركنا فتحصن فيها أهلها وكان بابها يطل على وادٍ ولها خندق
يحيط بها ولما الح عليهم بالمجانيق والسهام فتح الباب فاذا برجل من أهلها
كأكمل الرجال قد خرج فى اكمل السلاح فنادى : قد طالت موافعتكم لنا
فليبرز الي منكم رجلا • ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين رجلا ، فلم
يجبه أحد فدخل وأغلق باب الحصن •

وكان الرشيد نائما فلم يعلم بخبره الا بعد انصرافه فغضب ولام
خدمه وغلماينه وتأسف للامر كثيرا • فقبل له : ان امتناع الناس منه سيقويه
ويطفيه فيخرج فى غد ثانية فيطلب مثل ما طلب اليوم فانتظر الرشيد ليلته
واصبح كمن ينتظر أمرا جليلا ، فاذا هو بالباب قد فتح ، وخرج الرجل
طالبا المبارزة فى يوم شديد الحر وجعل يدعو بأنه يثبت لعشرين منهم •

فقال الرشيد : من له ؟ فأبتدره جملة القواد كهرة ويزيد بن مزيد
وعبدالله بن مالك وغيرهم فعزم على اخراج بعضهم ، فضجت المطوعة حتى
سمع ضجيجهم فأذن الرشيد لعشرين منهم فى المشورة ، فقال قائلهم •

يا أمير المؤمنين ، قوادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلو الصيت وممارسة الحروب ، ومتى اخرج واحد منهم فقتله هذا العليج لم يكبر ذلك وان قتل العليج كان وضعه على العسكر ثلثة لا تسد . فان رأى أمير المؤمنين ان يخلينا نختر رجلا فنخرجه اليه ! فان ظفر علم أهل الحصن ان أمير المؤمنين قد ظفر بأعزهم على يد رجل من العامة ، وليس ممن يوهن قتله ولا يؤثر على المسلمين فضله وأن قتل الرجل فانما استشهد في سبيل الله ولم يؤثر ذهابه في العسكر ولم يثلمه ، وخرج اليه رجل بعده مثله حتى يمضى اليه ما شاء .

قال الرشيد : قد استصوبت رأيكم هذا ، فاخترتوا رجلا منهم يعرف بأبن الجزر وكان معروفا في شدة البأس والنجدة ، وقال له الرشيد اخرج ؟ قال نعم واستعين بالله فقال الرشيد : اعطوه فرسا ورمحا وسيفا وترسا فقال الجزري : يا أمير المؤمنين أنا بفرسى أوثق ، ورمحي بيدي أشد ، ولكنني قد قبلت السيف والترس .

فلبس سلاحه واستدناه الرشيد فودعه واستتبعه الدعاء ، وخرج معه عشرون رجلا من المطوعة . فلما وصلوا الوادي ، قال لهم العليج وهو يعدهم ! انما كان الشرط عشرين رجلا وقد زدتم رجلا حيلة وأصبح عددكم واحدا وعشرين ، ولكن لا بأس ، فنادوه : ليس يخرج اليك منا الا رجل واحد ، فلما فصل منهم ابن الجزري تأمله العليج الرومي وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم ، فقال الرومي للاعرابي : اتصدقني عم انتخبوك ؟ قال : نعم . فقال العليج : أنت بالله ابن الجزري ؟ قال : اللهم نعم فأطعنا حتى طال الامر بهما ولم يخذش أحدهما الآخر .

فزع كل منهما برمحه واصلت سيفه ، فتجالدا مليا واشتد الحر عليهما وجعل ابن الجزري يضرب الرومي الضربة التي يرى انه قد بلغ فيها فيصدها الرومي ، وكان ترسه حديدا فيسمع لذلك صوت منكر .

فلما يأس كل منهما من الوصول الى صاحبه انهزم ابن الجزرى
 فدخلت المسلمين كآبة لم يكتبوا بمثلها قط • وعطط الروم اختيالاً
 وتطاولا • وانما كانت هزيمته حيلة مقصودة منه فاتبعه العليخ وتمكن منه
 ابن الجزرى فرماه بأنشودة جبل وقعت فى عنقه ولم تخطأه فاستله عن
 فرسه فأسقطه عنها فما وصل الارض حيا حتى فارقه رأسه • فكبر المسلمون
 أعلى تكبير وانخذل الروم ، وبادروا الباب يعلقونه ، واتصل الخبر بالرشيد
 فصاح بالقواد : اجعلوا النار فى المجانيق ، وارموها فليس عند القوم دفع •
 ففعلوا وجعلوا الكتان والنفط على الحجارة وأضرموا فيها النار ، ورموا بها
 السور فكانت النار تلتصق به فتصدعت جدرانه فلما أحاطت النار بالروم
 فتحو الباب مستأمنين على حياتهم فتم للعرب فتح ذلك الحصن المنيع •

سابعاً : الذكاء والفتنة

من صفات العربى الاصيلة توقد الذهن وحدة الذكاء وعمق التفكير
 لان صفاء باله وهدوء طبيعته أمران مهمان لهما أثرهما الفعال فى شحذ
 الذكاء العربى ومضاء حدة تفكيره واتنا نسطر فيما يلى بعضاً من حوادث
 الذكاء التى اشتهرت بها شخصيات عربية منها :

١ - وافق شن طبقة :

كان شن رجلاً من دهاة العرب وعقلائهم • وقال يوماً والله لاطوفن
 فى البلاد حتى أجد امرأة مثلى اتزوجها • فبينما هو فى بعض مسيره اذ
 وافقه رجل فى الطريق فسأله شن : أين تريد ؟ فقال : موضع كذا •
 يريد القرية التى يقصدها شن - فوافقه حتى اذا أخذوا فى مسيرهما قال
 له : هل تحملنى أم أحملك ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ، أنا راكب
 وأنت راكب ، فكيف أحملك أم تحملنى ؟ فسكت عنه شن •

وسارا حتى اذا قربا من القرية اذا بزرع قد استحصد ، فقال شن :

أترى هذا الزرع آكل أم لا ؟ فقال له الرجل : يا جاهل ترى نبتا مستحصدا وتقول : اكل أم لا ؟ فسكت عنه شن .

حتى اذا دخلا القرية لاقتهما جنازة فقال شن : أترى صاحب هذا النعش حيا أم ميتا ؟ فقال له الرجل : ما رأيت أجهل منك ! ترى جنازة وتسال عنها أميت صاحبها أم حي ؟ فسكت شن وأراد مفارقه فأبى الرجل أن يتركه حتى أن يصير به الى منزله فمضى معه . وكان للرجل بنت ذكية يقال لها طبقة ، فلما دخل عليها أبوها سأله عن ضيفه فأخبرها بمرافقتها اياه وشكى اليها جهله وحدثها بحدثه .

فقال يا أبت ، ما هذا بجاهل ! أما قوله : أتحملى أم أحملك ؟ فأراد أتحدثني أم أحدثك حتى تقطع طريقنا . وأما قوله : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فأراد هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا ؟ وأما قوله في الجنازة ، فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا !

فخرج الرجل فجلس الى شن فحدثه ساعة ثم قال : أتجب أن افسر لك ما سألتني عنه ؟ قال نعم . ففسره . فقال شن ! ما هذا من كلامك فأخبرني من صاحبه ؟ قال : ابنة لي .

فخطبها اليه فزوجه اياها وحملها الى أهله فلما رأوها قالوا : وافق شن طبقة .

٢ - لن يبرح العبدان حتى يقتلا :

صحب رجل كثير المال عبيدين في سفر ، فلما توسط الطريق هما يقتله ، فلما صح ذلك عنده قال : اقسم عليكما - اذا كان لا بد لكما من قتلى - أن تمضيا الى داري ، وتشدوا ابنتي هذا البيت ، قالا : وما هو ؟ قال : من مبلغ بنتي أن أباهما لله دركما ودر أبيكما فقال أحدهما للآخر ما نرى به بأسا :

فلما قتلاه ، جاء الى داره ، وقال لابنته الكبرى ان اباك قد لحقه ما
ييلحق الناس ، وآلى علينا أن نخبركما بهذا البيت ، فقالت الكبرى : وما
أرى فيه شيئا تخبراني به ، ولكن اصبرا حتى استدعى اختي الصغرى •
فاستدعتها فأشدتها البيت ، فخرجت حاسرة ، وقالت : هذان قتل
أبى يا معشر العرب ، ما أنتم فصحاء ؟ قالوا : الدليل عليه ! قالت : المصراع
الاول يحتاج الى ثان والثاني يحتاج الى ما يكمله ، لا يليق أحدهما بالآخر •
قالوا : فما ينبغي أن يكون ؟ • قالت ينبغي أن يكون :

من مخبر بتى أن أباهما أمسى قتيلا بالفلاة مجنولا
لله دركما ودر أيكما لن يبرح العبدان حتى يقتلا
فاستخبروهما فوجدوا الامر على ما ذكرت ، وقتلوا العبدين •

٣ - النذير :

كان رجل من بنى العنيد أسيرا في بكر بن وائل ، وعرف انهم
عزموا على غزو قومه ، فسألهم رسولا الى قومه ، فقالوا : لا ترسلنا بحضرتنا
لثلاث نذرهم وجيء بعد أسود ، فقال له : أتعقل ؟ قال : نعم • انى لعاقل !
قال ما أراك عاقلا • ثم ملأ كفيه من الرمل وقال : كم هذا ؟ قال : لا أدرى ،
وانه لكثير ، قال : أيهما كثير النجوم أم النيران ؟ قال : كل كثير •

فقال : أبلغ قومي التحية ، وقل لهم ليكرموا فلانا - يعنى أسيرا
كان فى أيديهم من بكر - فان قومه لى مكرمون ، وقل لهم ان العرفج قد
أدبى وأمرهم أن يعرفوا ناقى الحمراء ، فقد أطالوا ركوبها ، وان يركبوا
جملى الاصهب واسألوا عن خبرى أخى الجارث •

فلما أدى العبد الرسالة قالوا : قد جن الاعور والله ما نعرف له ناقة
حمراء ولا جملا أصهب ! ثم سرحوا العبد • ودعوا الجارث فقصوا عليه
القصة • فقال : قد أنذركم • أما قوله : أدبى العرفج فيريد أن الرجال

قد استلأموا ولبسوا السلاح ، وقوله : الناقة الحمراء أى ارتحلوا عن
الدهناء ، وأركبوا الصّمان ، وهو الجمال الاصهب ، فامثلوا ما قال وعرفوا
لحن كلامه فنجوا من مباغثة العدو .

٤ - حديث عن امرئ القيس :

قال عبد الملك بن عمير : قدم علينا عمر بن هيرة فى الكوفة ، فأرسل
الى عشرة أنا أحدهم من وجوه الكوفة فسمروا عنده ، ثم قال : ليحدثنى
كل رجل منكم احدوثه ، وأبدأ أنت يا أبا عمرو ، فقلت : أصلح الله
الامير : أحدث الحق أم حديث الباطل ؟ قال : بل حديث الحق .

قلت ان امرأ القيس الى الا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية
وأربعة وثنتين ، فجعل يخطب النساء ، فاذا سألهن عن هذا قلن : أربعة
عشرة . فبينما هو يسير فى جوف الليل اذ برجل يحمل ابنة له صغيرة
- كأنها البدر ليلة تمامه ، فأعجبه ، فقال لها : يا جارية ، ما ثمانية وأربعة
وثنتان ؟ فقالت : أما ثمانية فأطباء الكلية ، وأما أربعة فأخلاف الناقة ، وأما
ثنتان فثديا المرأة ، فخطبها الى أبيها ، فزوجه اياها ، وشرطت عليه أن تسأله
ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فجعل لها ذلك وان يسوق اليها مائة من الابل
وعشرة أعبد وعشر وصائف وثلاثة أفراس ففعل ذلك .

ثم انه بعث عبدا له الى المرأة ، وأهداها سقاءً من سمن واخرى من
عسل وحلة من زبرد ، فنزل العبد ببعض المياه فنشر الحلة ولبسها فتعلقت
بشجر العشر فانشقت ، وأطعم من السقائين فتقضا .

ثم قدم على حى المرأة وهم غياب ، فسألها عن أبيها وامها واخيها ودفع
اليها هديتها . فقالت له : اعلم مولاك ان أبى ذهب يقرب بعيدا ، ويبعد
قريبا ، وان امى ذهبت تشق النفس نفسين ، وان أخى يراعى الشمس ،
وان سماءكم اشقت وان وعائكم نضبا .

فقدم الغلام على مولاه فأخبره ، فقال : أما قولها : ان أبى ذهب
يقرب بعيدا ويبعد قريبا ، فان أباهما ذهب يحالف قوما على قوم ، وأما
قولها : ذهبت امي تشق النفس نفسين ، فان امها ذهبت تقبل امرأة نساء ،
وأما قولها : ان اخى يراعى الشمس ، فان أخاها فى سرح له يرعاه ،
فهو ينتظر غروب الشمس ليروح به ، وأما قولها : سماءكم انشقت فان
البرد الذى بعث به انشق ، واما قولها : ان وعائكم نضبا ، فان السقائين
الذين بعثت بهما نقصا ، فاصدقنى ! فقال : يا مولاي انى نزلت بماء من
مياه العرب ، فسألونى عن شىء : فأخبرتهم انى ابن عمك ونشرت الحلة
فانشقت ، وفتحت السقائين فأطعمت منهما أهل الماء فقال : اولى لك -

هدده ♦♦

ثم ساق مائة من الابل وخرج نحوها ومعه الغلام ، فنزلا منزلا ،
فخرج الغلام يسقى الابل فعجز ، فأعانه امرؤ القيس ، فرمى به الغلام
فى البئر وخرج حتى أتى أهل المرأة بالابل ، وأخبرهم انه زوجها ، فقيل
لها قد جاء زوجك ♦ فقالت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا ؟ ولكن
انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذبها ففعلوا فأكل ما أطعموه ،
فقالت : اسقوه لبنا حازرا فسقوه فشرب ، فقالت : افرشوا له عند الفرت
بوالدم ، ففرشوا له فنام ♦

فلما أصبحت أرسلت اليه وقالت : انى أريد أن أسألك ، فقال :
سلى عما شئت ، فسألته فلم يعجبها جوابه ، فقالت : عليكم العبد فشدوا
أيديكم به ، ففعلوا :

قال : ومر قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر ، فرجع الى حيه ،
فاستاق مائة من الابل وأقبل الى امرأته فقيل لها قد جاء زوجك ♦ فقالت :
والله ما أدرى أهو زوجى أم لا ! ولكن انحروا له جزورا فأطعموه من

كرشها وذبها ففعلوا • فلما أتوه بذلك قال : وأين الكبد والسنام والملحاء •
وأبى أن يأكل • فقالت : اسقوه لبنا حازرا فأبى أن يشرب قال : أين
العريق يقصد الحليب الحارساعة حليه ، وأين الرئثة يقصد الحليب الحلو
ممزوجا باللبن الحامض ؟ فقالت افرشوا له عند الفرث والدم ، فأبى أن
ينام وقال : افرشوا فوق التلعة الحمراء واضربوا عليها خباءً •

ثم أرسلت اليه : وقالت : هلمّ شريطى عليك فى المسائل الثلاث ،
فأرسل اليها أن سلى عما شئت • فسألته ، فأعجبها جوابه ، فقالت : هذا
زوجى فعليكم به ، واقتلوا العبد ، فقتلوه ودخل امرؤ القيس بالجارية •
فقال ابن هيرة : حسبكم ! فلا خير فى الحديث فى سائر الليلة بعد
حديثك يا أباعمروا ولن تأتينا بأعجب منه ، فقمنا وانصرفنا وأمر لى
بجائزة •

٤ - أنا أعلم بقريش من قريش :

لما قدم معاوية المدينة منصرفا من مكة ، بعث الى الحسن والحسين
وعبدالله ابن جعفر ، وعبدالله بن عمر ، وعبدالله بن الزبير ، وعبدالله بن
صفوان بن امية بهدايا من كساء وطيب وصيلات من مال ، ثم قال لرسله
ليحفظ كل رجل منكم ما يرى ويسمع من الرد •

فلما خرج الرسول من عنده ، قال لمن حضر : ان شئتم أنبأناكم بما
يكون من القوم ، قالوا : أخبرنا يا أمير المؤمنين قال : أما الحسن فلعله
ينيل نساء شيئا من الطيب ، ويهب ما بقى لمن حضره ولا ينتظر غائبا •
وأما الحسين ، فيبدأ بأيتام من قتل مع أبيه فى صفين ، فان بقى شيء
نحر به الجزر وسقى به اللبن •

وأما عبدالله بن جعفر فيقول : يا بديح افض به دينى ، فان بقى شيء
فانفذ به عداتى جمع عدة •

وأما عبدالله بن عمر ، فيبدأ بفقراء عدى بن كعب ، فان بقى شئ
ادخره لنفسه وقات به عياله •

وأما عبدالله بن الزبير ، فيأتيه رسولى ، فلا يلتفت اليه ، ثم يعاوده
الرسول فيقول لبعض كفاته : خذوا من رسول معاوية ما بعث به ، وصله
الله ، وجزاه خيرا ولا يلتفت اليها ، وهى أعظم فى عينه من أحد ثم ينصرف
الى أهله ، فيعرضها على رعيته ، ويقول : ارفعوا ، لعل أعود بها على ابن
هند يوما •

وأما عبدالله بن صفوان فيقول : قليل من كثير ، وما كل رجل من
قريش وصل اليه كهذا ، ردوا عليه ، فان رد قبلناها •
فرجع رسله من عندهم بنحو مما قاله معاوية ، فقال معاوية : أنا ابن
هند ! أنا أعلم بقريش من قريش •

٥ - الاحنف يفجم معاوية :

جلس معاوية يوما ، وعنده وجوه الناس ، وفيهم الاحنف ، فدخل
رجل من أهل الشام ، فقام خطيبا ، فكان آخر كلامه أن لعن
علياً رضى الله عنه ، فأطرق الناس ، وتكلم الاحنف ، فقال : يا أمير المؤمنين ،
ان هذا القائل لو علم ان رضاك فى لعن المرسلين لعنهم ، فأتق الله ، ودع
علياً ، فقد لقي الله ، وأفرد فى حفرته ، وخلا بعمله ، وكان والله - ما علمنا -
الطاهر فى خلقه ، الميمون النقيية ، العظيم المصيبة •

قال معاوية : يا أحنف ، لقد أغضيت العين على القذى ، وقلت بغير
ما ترى ، وأيم الله لتصعدن المنبر فلتلعنه طائعا أو كارها ! فقال الاحنف :
ان تعفى فهو خير ، وان تجبرنى على ذلك فوالله لا تجرى به شفتاى !

فقال معاوية : قم فاصعد ! قال : أما والله لانصفك فى القول والفعل •
قال معاوية : وما أنت قائل ان أنصفتى ؟ قال : أصعد فأحمد الله

وأنتى عليه ، واصلى على نبيه ثم أقول : أيها الناس ، ان معاوية أمرنى أن
ألعن علياً ، ألا وأن علياً ومعاوية اختلفا واقتلا ، وادعى كل واحد منهما انه
مبغىٌ عليه وعلى فقتة فاذا دعوت فأمنوا رحمكم الله ، ثم أقول :

اللهم العن أنت وملائكتك وأتباعك ورسلك ، وجميع خلقك الباغى
منهما على صاحبه والفئة الباغية على المبغىِّ عليها ، آمين يا رب العالمين •
فقال معاوية : اذن نغفك يا أبا بحر !

٦ - ذكاء ابن عباس :

بينما ابن عباس فى المسجد الحرام ، وعنده نافع بن الأزرق وناس
من الخوارج يسألونه اذ أقبل عمرو بن أبى ربيعة فى ثوبين مصبوغين
موردين حتى ادخل وحبس ، فقال ابن عباس : انشدنا ، فأنشده :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر

حتى أتى على آخر القصيدة ، فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال :
الله يا بن عباس ! انا نضرب اليك أكباد الابل من أقاصى البلاد نسألك عن
الحلال والحرام فتتاقل عنا ، ويأتيتك غلام مترف من مترفى قريش
فينشذك !

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيجزى وأما بالعشى فيخسر

فقال : ليس هكذا قال • قال : فكيف قال ؟ فقال قال :

رأت رجلا اما اذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخسر

قال : ما أراك الا وقد حفظت البيت ! قال : أجل وان شئت ان
انشذك القصيدة انشدتك اياها ، قال : نعم ، فأنشده القصيدة حتى أتى على
آخرها وما سمعها قط الا تلك المرة •

٧ - دهاء عمارة بن تميم اللخمي :

كان الحجاج حسودا لا تتم له صنعة الا يفسدها ، فوجه عمارة بن

تميم اللخمي الى عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث ، فظفر به ، وصنع به ما صنع ، ورجع الى الحجاج بالفتح ، فلم ير منه ما أحب ، وكره منافرته ، وكان عاقلا رقيقا ، فجعل يترفق به ويداريه ، ويقول : أنت - أيها الأمير - أشرف العرب ، فمن شرفته شرف ، ومن وضعته اتضع ، ومن ينكر ذلك ، مع رفقك ويمنك ومشورتك ورأيك ؟ وما كان هذا كله الا بصنع الله عز وجل وتديرك ، وليس أحد أحق بشكر صنيعك مني ، ومن ابن الاشعث ؟

ثم عزم الحجاج على المضي الى عبدالملك فأخرج عمارة معه ، فلم يزل يلفظ بالحجاج في مسيره ، ويعظمه ، حتى أقدموا على عبدالملك • فلما قامت الخطباء بين يديه وأثنت على الحجاج ، قام عمارة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، سل الحجاج عن طاعتي ومناصحتي وبلائي ! فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين ، صنع وصنع ، ومن بأسه ونجدته ، وعقله ومكيدته كذا وكذا ، هو أيمن الناس فقها وأعلمهم تديرا وسياسة ولم يبق غاية في الثناء عليه •

فقال عمارة : أرضيت يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ! فرضى الله عنك ، حتى قالها ثلاثا ، في كلها يقول : قد رضيت !

فقال عمارة : فلا رضى الله عن الحجاج يا أمير المؤمنين ، ولا حفظه ولا عافاه ، فهو - والله - السوء التدبير ، الذي قد أفسد عليك أهل العراق ، وألب عليك الناس ، وما أتيت الا من قلة عقله ، وضعف رأيه ، وقلة بصره بالسياسة ، ولك والله أمثالها ، ان لم تعزله •

فقال الحجاج : مه يا عمارة ! فقال : لا مه ولا كرامة يا أمير المؤمنين ! فقال عبدالملك : ما عندنا أوسع لك !

فلما انصرف عمارة الى منزله بعث اليه الحجاج ، وقال له : أنا أعلم

انه ما خرج هذا عنك الا عن معتبة ، وما كنت أظن ان عقلك على هذا !
أرجع اليك بعد الذى كان من طعنى وقولى عند أمير المؤمنين ؟ فقال
عمارة لا ولا كرامة لك !

٨ - دهاء عمرو بن العاص :

لما نزل علي بن أبي طالب الكوفة بعد فراغه من أمر البصرة كتب
الى معاوية كتابا يدعوه الى البيعة ، وأرسل جرير بن عبدالله البجلي ،
فقدم عليه به الشام ، فقرأه ، فاعتم بما فيه ، وذهبت به أفكاره كل مذهب ،
وطاول جريرا بالجواب عن الكتاب ، حتى كلم قوما من أهل الشام فى
الطلب بدم عثمان بن عفان فأجابوه ، ووثقوا له •

وأحب الزيادة فى الاستظهار ، فاستعان بأخيه عتبة بن أبى سفيان ،
فقال له : استعن بعمرو بن العاص ، فانه من قد علمت فى دهائه ورأيه ،
وقد اعتزل عثمان ابن عفان فى حياته ، وهو لامرك أشد اعتزالا ، الا أن
يشمن له دينه ، فيسيبك ، فانه صاحب دنيا •

فكتب اليه معاوية : أما بعد ، فانه كان من أمر علي وطلحة والزبير
ما قد بلغك ، وقد سقط الينا مروان بن الحكم فى نفر من أهل البصرة
وقدم علينا جرير بن عبدالله فى بيعة علي ، وقد حبست نفسى عليك ،
فأقبل اذا كرك امورا لا تعدم صلاح مغبتها ان شاء الله •

فلما قدم الكتاب على عمرو استشار ابنه : عبدالله بن عمرو ،
ومحمد بن عمرو ، فقال لهما : ما تريان ؟ فقال عبدالله : أرى أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو عنك راض ، والخليفتان بعده ،
وقتل عثمان وأنت غائب عنه ، فقر فى منزلك فليست مجعولا خليفة ،
ولا تزيد على أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا أوشكتما أن تهلكا
وتفارقاها •

وقال محمد : أرى انك شيخ قریش وصاحب أمرها ، وأن تصرفك هذا الامر وأنت فيه غافل ، تصغر أمرک ، فالحق بجماعة أهل الشام وكن يدا من أيديها ، طالبا بدم عثمان ، فإنه سيقوم بذلك بنو أمية •

فقال عمرو لغلامه وردان - وكان داهية ماردا - فقال : ارحل يا وردان ، ثم قال : احطط يا وردان ! ثم قال ارحل يا وردان ، احطط يا وردان • فقال له وردان : خلطت أبا عبدالله ، اما انك ان شئت انبأتك بما في قلبك ، قال : هات ، ويحك ! قال : اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت : عليّ معه الآخرة في غير دنيا ، وفي الآخرة عوض عن الدنيا ، ومعاوية معه الدنيا ، بغير آخرة ، وليس في الدنيا عوض عن الآخرة ، وأنت واقف بينهما •

قال : قاتلك الله ما أخطأت ما في قلبي ، فما ترى يا وردان ؟ قال : أرى أن تقيم في بيتك ، فان ظهر أهل الدين عشت في عقو دينهم ، وان ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك ، قال : الآن لما شهرت العرب سيرى الى معاوية !

ثم ارتحل حتى قدم على معاوية ، وعرف حاجته اليه ، فباعده من نفسه ، وكايد كل واحد منهما صاحبه •

فقال له معاوية يوم دخل عليه : أبا عبدالله ، طرقتنا في ليلتنا ثلاثة أخبار ليس فيها ورد ولا صدر • قال : منهما أن محمد بن أبي حذيفة كسر سجن مصر ، فخرج هو وأصحابه ، وهو من آفات هذا الدين ، ومنها أن قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام ، ومنها أن عليا نزل الكوفة ، وتهياً للمسير إلينا •

فقال عمرو : ليس كل ما ذكرت عظيما ، أما ابن حذيفة فما يتعاضدك من رجل خرج في أشباهه أن تبعث إليه رجلا يقتله ، ويأتيتك

بِهِ ، وان قاتل لم يضرك ، وأما قيصر فأهد له الوصائف وآنية الذهب
والفضة ، وسله الموادة فانه اليها سريع ، وأما علي ، فلا والله يا معاوية ،
ما يسوى العربى بينك وبينه فى شىء من الاشياء ، وان له فى الحرب
لحظاً ، ما هو لأحد من قريش ، وانه لصاحب ما هو فيه الا أن تظلمه •

قال معاوية : يا عبدالله ، انى دعوتك الى جهاد هذا الرجل الذى
عصى الله وشق عصا المسلمين ، وقتل الخليفة وأظهر الفتنة ، وفرق
الجماعة ، وقطع الرحم •

فقال عمرو : والله يا معاوية ، ما أنت وعليّ حملاً بعير ، ليس لك
هجرته ولا سابقته ، ولا صحبتته ولا جهاده ، ولا فقهه ، ولا علمه ،
والله ان له مع ذلك لحظاً فى الحرب ليس لاحد غيره ، ولكنى قد تعودت
من الله تعالى احسانا وبلاءاً جميلاً ، فما تجعل لى أن شايعتك على حربيه ،
وأنت تعلم ما فيه من الضرر والخطر ؟ قال : حكمك ، فقال : مصر
طعمة ، فتلکاً معاوية وقال : انى لو شئت أن امنيك وأخذك لفعلت :
قال عمرو : لعمر الله دعنى عنك ، فقال معاوية : ادن منى اسارك ، فدنا
منه عمرو ليساره ، فعض معاوية اذنه وقال : هذه خدعة ، هل ترى فى
البيت أحداً غيرى وغيرك • ثم تكلم عليه وانصرف عمرو •

فلما حضر عتبة بن أبى سفيان قال لمعاوية : أما ترضى أن تشتري
عمرا بمصر ؟ فقال معاوية : يا عتبة ، بت عندنا الليلة • فلما جن الليل
على عتبة رفع صوته لىسمع معاوية وقال :

أيها المانع سيفاً لم يهز	انما ملت على خنز وقرز
اعط عمرا ان عمرا تارك	دينه اليوم لدنيا لم تحز
اعطه مصر وزده مثلها	انما مصر لمن عز فبز
واترك الحرص عليها خلة	واشبه النار لمقرور بكز
ان مصر لعلي أو لنا	يغلب اليوم عليها من عجز

فلما سمع معاوية قول عتبة ، أرسل الى عمرو فأعطاه مصر وكتب له كتابا بها .

٩ - عمرو بن العاص وأحد كفار العجم :

لما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نزل غزة ، فبعث اليه علجها ان ابعث اليّ رجلا من أصحابك اكلمه ، ففكر عمرو ، وقال : ما لهذا أحد غيري !

فخرج حتى دخل على العليج فكلمه ، فسمع كلاما لم يسمع قط - مثله ، فقال العليج : حدثني ، هل في أصحابك أحد مثلك ؟ قال : لا تسأل عن هذا ! اني هين عليهم ، اذ بعثوا بي اليك ، وعرضوني لما عرضوني له ، ولا يدرون ما تصنع بي .

فخرج من عنده ، فمر برجل من نصارى غسان ، فعرفه ، فقال : يا عمرو : قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج ! ففطن عمرو لما أراه ، فرجع ! فقال له الملك : ما ردك الينا ؟ قال : نظرت فيما أعطيتني ، فلم أجد ذلك يسع بني عمي ، فأردت أن آتيك بعشرة منهم ، تعطيم هذه العطية ، فيكون معروفك عند عشرة خيرا من أن يكون عند واحد ! فقال : صدقت ، أعجل بهم ! وبعث الى البواب : أن خل سبيله !

فخرج عمرو وهو يتلفت ، حتى اذا أمن ، قال : لا عدت الى مثلها أبدا !

فلما صالحه عمرو ، ودخل عليه العليج ، قال له : أنت هو ؟ قال : نعم ! على ما كان من غدرك !

ثامنا : الزهد في العيش والترفع عن الدنيا

ومن الصفات العربية التي نعتز بها ونفخر ان العرب امة ترهد

فى العيش من أجل الكرامة وترفع عن الدنيا فى سبيل الآباء والشمم
وهاك أيها القارىء بعض الامثلة على ذلك •

١ - أعطيك مالى ان شئت : -

لما وليَ عمر بن عبدالعزيز الخلافة أتت عمته الى زوجته فاطمة
فقلت : - انى اريد الكلام مع أمير المؤمنين • فقالت لها اجلسى حتى يفرغ
فجلست ، فاذا بغلام قد أتى فأخذ سراجا • فقالت لها فاطمة : ان كنت
تريدينه فالآن ، فانه اذا كان فى حوائج العامة كتب على الشمع ، واذا
صار فى حاجة نفسه دعا بسراجہ •

فقامت فدخلت عليه فاذا بين يديه أقراص خبز وشيء من ملح
وزيت وهو يتعشى ، فقالت : يا أمير المؤمنين أتيت لحاجة لي ، ثم رأيت أن
أبدأ بك قبل حاجتى ! قال : وما ذاك يا عمه ؟ قالت : لو اتخذت لك طعاما
ألين من هذا ؟ قال : ليس عندى يا عمه ، ولو كان عندى لفعلت ، قالت
يا أمير المؤمنين ، كان عمك عبدالملك يجرى عليّ كذا وكذا ، ثم كان
أخوك الوليد فزادنى ، ثم كان أخوك سليمان فزادنى ثم وليت أنت
فقطعتة عنى •

قال : يا عمه ، ان عمى عبدالملك ، وأخى الوليد ، وأخى سليمان
كانوا يعطونك من مال المسلمين ، وليس ذلك المالى لي فأعطيكه ، ولكنى
أعطيك مالى ان شئت ! قالت وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : عطائى مآنا
دينار فهل لك فيه حاجة ؟ قالت وما يبلغ منى عطائك ؟ قال : فلست أملك
غيره يا عمه فانصرفت عنه غير راضية •

٢ - الشمعة والسراج :

وفد على عمر بن عبدالعزيز بريد من بعض الآفاق ، فاتته الى
باب عمر ليلا ، ففرع الباب ، فخرج اليه البواب ، فقال : اعلم أمير المؤمنين

أن بالبواب رسولا من عامله فلان ، فدخل فأعلم عمر - وقد كان أراد أن
ينام فقعده وقال : ائذن له •

فدخل الرسول فدعا عمر بشمعة غليظة فأججت نارا ، واجلس
الرسول ، وجلس عمر ، فسأله عن حال أهل البلد ومن بها من المسلمين
وأهل العهد ، وكيف سيرة العامل ؟ وكيف الاسعار ؟ وكيف أبناء
المهاجرين والانصار ؟ وأبناء السبيل والفقراء ؟ وهل أعطى كل ذي حق
حقه ؟ وهل له شك ؟ وهل ظلم أحد ؟

فأنبأه بجميع ما علم من أمر تلك المملكة حتى اذا فرغ عمر من
مسألته قال له الرسول : - يا أمير المؤمنين ، كيف حالك في نفسك
وبدتك ؟ وكيف عيالك وجميع أهل بيتك ومن تعنى بشأنه ؟ فنفخ عمر
الشمعة فأطفأها بنفخته ، وقال يا غلام ، عليّ بسراج ، فأتى بقنديل لا تكاد
تضيء ، فقال عمر : سل عما أحببت ، فسأله عن حاله ، فأخبره وعن حال
ولده وأهل بيته •

فعجب الرسول للشمعة واطفأه اياها ، وقال يا أمير المؤمنين رأيتك
فعلت أمرا ما رأيتك فعلت مثله ! قال عمر : وما هو ! قال : اطفأوك
الشمعة عند مسألتى اياك عن حالك وشأنك فقال : يا عبدالله ان الشمعة
التي رأيتنى أطفأتها هي من مال الله ومال المسلمين ، وكنت أسألك عن
أمرهم وحوادثهم فكانت تلك الشمعة تقد بين يدي فيما يصلحهم ، وهي
لهم ، فلما صرت تسألنى وأمر عيالى ونفسي أطفأت شمعة المسلمين وأوقدت
سراجي •

٣ - عَفَّةُ الشَّريف الرضوي :

حكى أبو حامد بن محمد الفقيه الشافعي فقال :

كنت يوما عند فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف وزير بهاء

الدولة وابنه سلطان الدولة فدخل عليه الشريف الرضى أبو الحسن محمد بن الطاهر وكان من أشعر قريش وعالما بعلوم القرآن واللغة والنحو وله مؤلفات نافعة فأعظمه وأجله ورفع من منزلته ، وخلق ما كان يیده من القصص والرقاع وأقبل عليه يحادثه الى أن انصرف .

ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو القاسم فلم يعظمه ذلك التعظيم ولا أكرمه ذلك الاكرام ، وتشاغل عنه برقاع يقرأها وتوقعات يوقع بها ، فجلس قليلا وسأله أمرا فقضاه ، ثم انصرف .

قال أبو حامد : فتقدمت اليه ، وقلت له : اصلح الله الوزير ! هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب الفنون ، وهو الامثل الافضل ، وانما أبو الحسن شاعر . فقال لى : اذا انصرف الناس ، وخلا المجلس اجبتك عن هذه المسألة . قال : وكنت مجمعا على الانصراف ، فجائنى أمر لم يكن فى الحسابان ، فدعت الضرورة لملازمة المجلس الى أن تقوض الناس واحدا واحدا .

فلما لم يبق الا غلماناه وصحابه دعا بالطعام فلما أكلنا وغسل يده وانصرف عنه أكثر غلماناه ، ولم يبق عنده غيرى ، قال لخدم له :

هات الكتابين الذين دفعتهما اليك منذ أيام ، وأمرتك أن تجعلهما فى السفطة الفلانى فأحظرهما فقال : هذا كتاب الرضى ، اتصل بى انه قد ولد له ولد ، فأنفذت اليه ألف دينار ، وقلت هذا للقابله ، فقد جرت العادة أن يحمل الاصدقاء الى أخلائهم ، وذوى مودتهم مثل هذا فى مثل هذه الحال - فردها ، وكتب اليّ هذا الكتاب فقرأه .

قال : فقرأته ، وهو اعتذار عن الرد ، وفى جملته : اننا - أهل بيت - لا يطلع على أحوالنا قابله غريبة ، وانما عجائزنا يتولين هذا الامر ولسن ممن يأخذن اجرة ، ولا يقبلن صلة .

قال : فهذا ، هذا ، وأما المرتضى فانا كنا وزعنا وقسطنا على الاملاك
تقسيمًا نصرفه في حفر فوهة النهر المعروف بنهر عيسى ، فأصاب ملكا
للشريف المرتضى قدره عشرون درهما ، وقد كتب اليّ منذ أيام في هذا
المعنى هذا الكتاب فقرأه فقرأته ، وهو أكثر من مئة سطر يتضمن من
الخشوع والخشوع والاستمالة والطلب والسؤال في اسقاط هذه الدراهم
عن أملاكه المشار اليها ما يطول شرحه ♦

قال : فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل هذا العالم المتكلم الفقيه
الايوحى ونفسه هذه النفس ، أم ذلك الذى لم يشتهر الا بالشعر خاصة ،
ونفسه تلك النفس ؟ فقلت وفق الله الوزير ، فما زال موقفا ، وما وضع
الامر الا فى موضعه ولا أحله الا فى محله ♦

٤ - أمين :

قال أحد التجار : قصدت الحج فى بعض الاعوام ، وكانت تجارتي
عظيمة ، وأموالى كثيرة ، وكان فى وسطى هميان فيه دنائير وجواهر قيمة ،
وكان الهميان من ديباج أسود ♦

فلما كنت ببعض الطريق نزلت لاقضى بعض شأنى ، فأنحل الهميان
من وسطى ، وسقط ولم أعلم به الا بعد أن سرت عن الموضع فراسخ ،
ولكن ذلك لم يكن يؤثر فى قلبى لما كنت احتويه من غنى ، واستخلفت
ذلك المال عند الله ، اذ كنت فى طريقى اليه تعالى ♦

ولما قضيت حاجتى وعدتُ تتابعت المحن عليّ حتى لم أملك شيئا !
فهربت على وجهى من بلدى ♦ ولما كان بعد سنتين من فقرى أفضيت الى
مكان وزوجتى معى ، ولا أملك فى تلك الليلة الا دائقا ونصفا وكانت الليلة
مطيرة ، فأويت فى بعض القرى الى خان خراب ، فجاء زوجى المخاض
فتحيرت ، ثم ولدت ، فقالت : يا هذا ، الساعة تخرج روحى ، فاتخذ لي

شيئا أتقوى به ، فخرجت أخط في الظلمة والمطر يهطل حتى جئت الى
بقال فوقفت عليه ، فكلمني بعد جهد ، فشرحت له حالي ، فرحمني
وأعطاني بتلك القطع حلبة وزيتا ، وأعارني اناء جعلت ذلك فيه وجئت
اريد الموضع ، فلما مشيت بعيدا وقربت من الخان زلقت رجلى ، وانكسر
الاناء وذهب جميع ما فيه فورد على قلبي أمر عظيم ما ورد عليّ مثله قط !
فأقبلت أبكى وأصيحُ • واذا برجل قد أخرج رأسه من شبك في داره
وقال : ويلك ! مالك تبكى ؟ ما تدعنا أن ننام ! فشرحت له القصة ، فقال :
يا هذا ، البكاء كله بسبب دائق ونصف !

قال : فداخلى من الغم أعظم من الغم الاول ، فقلت يا هذا والله
ما عندي شيء لما ذهب مني ، ولكن بكائي رحمة لزوجي ولنفسى ، فان
امرأتى تموت جوعا ، ووالله لقد حججت في سنة كذا وكذا وأنا أملك
من المال شيئا كثيرا ، فذهب مني هميان فيه دنانير وجواهر تساوى ثلاثة
آلاف دينار ، فما فكرت فيه ، وأنت ترانى الساعة أبكى بسبب دائق
ونصف ، فأسالُ الله السلامة ولا تعيرني فتبلى بمثل بلواى •

فقال لى : بالله يا رجل ، ما كان صفة هميانك ، فأقبلت أبكى ، وقلت :
ما ينفعنى ما خاطبتنى به أو ما تراه من جهدى وقيامى فى المطر حتى
تستهزىء بى أيضا ! وما ينفعنى وينفعك من صفة هميانى الذى ضاع منذ
كذا وكذا !

ومشيتُ • فاذا الرجل قد خرج وهو يصيح بى : خذ يا هذا ،
فظنته يتصدق عليّ فجئت وقلت له : أى شيء تريد ؟ فقال لى : صف
هميانك وقبض عليّ ، فلم أجد للخلاص سبيلا غير وصفه له ، فوصفته
فقال لى : ادخل ، فدخلت فقال : أين امرأتك ؟ قلت : فى الخان ، فأنفذ
غلمانه فجاؤوا بها ، وأدخلت الى حرمه فأصلحوا شأنها وأطعموها كل

ما تحتاج إليه ، وجاؤوني بجبة وقميص وعمامة وسراويل ، وادخلت الحمام سحرا ، وطرح ذلك عليّ ، فأصبحت في عيشة راضية . وقال : أقم عندنا أياما ، فأقمت عشرة أيام ، كان يعطيني في كل يوم عشرة دنانير ، وأنا متحير في عظيم بره بعد شدة جفائه .

فلما كان بعد ذلك قال لي : في أى شيء تتصرف ؟ قلت : كنت تاجرا ، قال : فلي محلات وأنا أعطيك رأسمال تتجر فيه وتسركني . فقلت : أفعل ، فأخرج لي مئتي دينار فقال : خذها واتجر فيها ها هنا ، فقلت : هذا معاش قد أغناني به الله يجب أن الزمه فلزمته .

فلما كان بعد شهر ربحت فجيته وأخذت حقي وأعطيته حقه فقال : اجلس ، فجلست ، فأخرج لي همياني بعينه وقال : اعرف هذا ؟ فحين رأيته شهقت واغمى عليّ ، فما أفقت الا بعد ساعة ! ثم قلت له : يا هذا ، أملك أنت أم نبي ؟ فقال : أنا أحفظه منذ كذا وكذا سنة ، فلما سمعت تلك الليلة تقول ما قلته ، ولما سألتك العلامة فاعطيتها أردت أن أعطيك اللوقت هميانك ، فخفت أن يغشى عليك ، فأعطيتك تلك الدنانير التي اوهمتك انها هبة وانما اعطيتكما من هميانك ، فخذ هميانك واجعلني في حل ! فشكرته ودعوت له .

وأخذت الهميان ورجعت الى بلدي ، فبعت الجواهر وضممت ثمنه الى ما معي واتجرت ، فيما مضت الا ستان حتى صرت صاحب عشرة آلاف دينار وصدحت حالي .

٥ - لا يقبل على اصطناع المعروف مكافاة : -

لما حج المنصور عرض عليه جوهر نفيس له قيمة عظيمة للبيع ، فعرفه ، وقال : هذا كان لهشام بن عبدالمك بن مروان ، فانتقل ابنه محمد بن هشام ، وما بقى من بنى امية غيره ، ولا بدلى منه ، ثم التفت

الى صاحبه الربيع ، وقال : اذا صليت بالناس غدا في المسجد الحرام ،
وحصل الناس كلهم فاعلق الابواب كلها ، ووكل بها جماعة من الثقات ،
وافتح بابا واحدا وقف عليه ولا تخرج أحدا حتى تعرفه ، فاذا ظفرت
بمحمد بن هشام فأنتني به •

فلما كان الغد فعل الربيع ما أمره به المنصور ، وکلان محمد بن
هشام في المسجد ، فعرف انه المطلوب ، وأيقن انه مأخوذ مقتول ، فتحير
وارتاب واضطرب ، فبينما هو على تلك الحال اذ أقبل محمد بن يزيد بن
علي بن الحسين فرآه متحيرا - وكان لا يعرفه - فتقدم اليه وقال : يا هذا ،
ما بالك ؟ فقال : لا شيء • فقال : خبرني ولك الامان ان شاء الله على
نفسك •

قال محمد بن هشام : فمن أنت ؟ قال : أنا محمد بن يزيد بن علي
بن الحسين ، فزاد خوفه ، وطار عقله ، وتحقق الموت ، فقال له : لا تجزع
فلست قاتل أبي ولا جدى ، وليس لى عليك ثأر ، وأنا اجتهد فى خلاصك
ان شاء الله ! ولكن تعذرني فيما أنا صانع بك من مكروه وقبح خطب !
فقال له : افعل ما شئت •

فطرح رداءه على وجهه ، وغطى به رأسه ، وبجذبه وسحبه ، الى أن
قرب من الربيع حاجب المنصور ، وهو على الباب ، فلما وقعت عين الربيع
عليهما لطمه محمد بن يزيد على رأسه ، وجاء به الى الربيع ، وقال :
يا أبا الفضل ، ان هذا الخيث جمال من أهل الكوفة أكراني جمالا ،
فلما دفعت له الكراء هرب منى ، وذهب فأكرى جماله لبعض أهل
خراسان ، ولى عليه شهود ، واريد منك من يوصله معى الى القاضى ،
ويمسك جماله عن الذهب مع الخراسانيين ، فرسم الربيع عليه اثنين
وقال : لا تفارقاه الى القاضى - ومحمد قابض على الرداء ، وقد استتر
وجهه به - فخرجوا جميعا من المسجد •

فلما بعدوا عن الربيع قال له محمد : اذهب الى حال سيالك ، فقبل محمد بن هشام يده ورأسه وقال : الله أعلم حيث يجعل رسالته ، ثم أخرج له جواهر قيمتها عظيمة ، وقال : بالله - يا بن بنت رسول الله شرفنى بقبول هذا ، فقال له : اذهب بمتاعك ، فنحن اهل بيت لا نقبل على اصطناع المعروف مكافأة ، واحترز على نفسك من هذا الرجل ، فانه مجد فى طلبك !

٦ - لا تذهبي بنفسك عن الحق : -

قال على بن أبى رافع : كنت على بيت المال فى خلافة علي بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكان فى بيت المال عقد لؤلؤ كان المسلمون قد أصابوه يوم البصرة ، فأرسلت الى بنت علي بن أبى طالب ، فقالت لى : انه قد بلغنى ان فى بيت مال المسلمين عقدا من لؤلؤ وهو فى يدك ، وأنا أحب أن تعيرنيه ، أتجمل فيه فى عيد الاضحى فأرسلته اليها : عارية مضمونة ، مردودة بعد ثلاثة أيام يا بنت أمير المؤمنين • فقالت : نعم ! عارية مضمونة مردودة بعد ثلاثة أيام • فدفعته اليها واذا أمير المؤمنين رآه عليها فعرفه ، فقال لها : من أين جاء اليك هذا العقد ؟ فقالت : استعرته من ابن أبى رافع خازن بيت مال المسلمين لاتزين به فى العيد ، ثم ارده • فبعث اليّ أمير المؤمنين فحجته ، فقال لى : اتخون المسلمين يا ابن أبى رافع ؟ فقلت : معاذ الله ان أخون المسلمين ! فقال : كيف اعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذى فى بيت مال المسلمين بغير اذنى ورضاهم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، انها بنتك ، وسألتنى أن أعيرها العقد تتزين به ، فاعرتها اياه عارية مضمونة مردودة على أن ترده سالما الى موضعه ، فقال : رده من يومك ، واياك أن تعود لمثله فتتالك عقوبتى ، ثم قال وبل لابنتى ، لو كانت أخذت العقد على غير عارية مردودة مضمونة ، لكانت اذن أول هاشمية قطعت يدها فى سرقة •

قبلت مقالته ابنته ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ، أنا ابتك وبضعة منك ، فمن أحق بلبسه مني ؟ فقال لها : يا بنت ابن أبي طالب ، لا تذهبي بنفسك عن الحق ! أكل نساء المهاجرين والانصار يتزين ، في مثل هذا العبد يمثل هذا العقد ؟ • فأخذته منها ورددته الى موضعه في بيت مال المسلمين غير مضيع ولا متلوف •

٧ - خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء ث -

لما استخلف عمر بن عبدالعزيز وفدت اليه الشعراء كما كانت تفتد على الخلفاء من قبله ، فأقاموا باباه أياما لا يأذن لهم بالدخول حتى قدم عدى بن أرطاة على عمر - وكانت له منه مكانة - فقال جرير :

يا أيها الرجل المزجي مطيته هذا زمانك اني قد مضى زمني
ابلغ خليفتنا ان كنت لاقيه اني لدى الباب كالمصفود في قرن
وحش المكانة من أهلي ومن ولدي نائي المحلة عن دارى وعن وطني

فقال : نعم أبا حرزة ونعمي عين ، فلما دخل على عمر قال : يا أمير المؤمنين ، ان القراء ببابك وأقوالهم باقية ، وسهامهم مسمومة •

فقال يا أمير المؤمنين ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مدح وأعطى ، وفيه اسوة لكل مسلم • قال : من مدحه ؟

قال : عباس بن مرداس ، فكساء حلة فقطع بها لسانه ، قال : صدقت ، فمن بالباب منهم ؟

قال : ابن عمك عمر بن أبي ربيعة القرشي • قال : لا قرب الله قرابته ، ولا حيا وجهه ، أليس هو القائل :

ألا ليت انى يوم تدنو منيتى شممت الذى ما بين عينيك والضم
ويا ليت سلمى فى القبور ضجيعتى هنالك أو فى جنة أو جهنم

فليته تمنى بقائها فى الدنيا ، ثم يعمل عملا صالحا ، والله لا يدخل

على أبدا • فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال : جميل بن معمر العذري •
قال أليس هو القائل :

ألا ليتنا نحيا جميعا وان تمت يوافق لدى الموتى ضريحى ضريحها
فما أنا فى طول الحياة براغب اذا قيل قد سوى عليها صفيحها
أظل نهارى لا أراها وتلتقى مع الليل روحى فى المنام وروحها
والله لا يدخل على أبدا • فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال : كثير

عزه •

قال أليس هو القائل :

لو يسمعون كما سمعت حديثها خروا لعزة ركعاً وسجوداً
أبعده الله • فوالله • لا يدخل على أبدا ، فمن بالباب غيره ممن
ذكرت ؟ قال الاحوص الانصارى • قال : لا دخل على أبدا ، أليس هو
القائل - وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جاريته حتى هرب بها منه :

الله بينى وبين سيدها يفر عنى بها واتبع

فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال : همام بن غالب الفرزدق : قال
أليس هو القائل :

هما دلتانى من ثمانين قامةً كما انقض باز اقم الريش كاسره
فلما استوت رجلاى بالارض قالتا أحيّ بوحي أم قتل نحاذره ؟
فقلت : ارفعوا الاسباب لايشعروا بنا ووليت فى أعقاب ليل ابادره

والله لا دخل على أبدا ، فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال : الاخطل
التغلبى ، قال : أليس هو القائل :

ولست بصائم رمضان عمرى ولست بأكل لحم الاضاحى
ولست بزاجر عيسا بكورا الى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعبد يدعو قيل الصبح حتى على الفلاح
ولكنى سأثر بها شمولا وأسجد عند منبلج الصباح

أبعده الله عنى ! فو الله لا دخل على أبدا ولا وطىء لى بساطا ، فمن
بالباب غيره من الشعراء ممن ذكرت ؟ قال : جرير قال : أليس هو القائل :
ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام
طرتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجمى بسلام
فأن كان ولا بد فهذا ، فأذن له

قال : عدى بن أرطاة : فخرجت اليه ، فقلت : ادخل يا جرير ،
فدخل وهو يقول :

ان الذى بعث النبى محمدا جعل الخلافة فى امام عادل
وسع الخلائق عدله ووفائه حتى أرعوا وأقام ميل المائل
والله أنزل فى الكتاب فريضة لابن السبيل والفقير العائل
انى لارجو منك خيرا عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل
فلما مثل بين يديه قال : يا جرير اتق الله ، ولا تقل الا حقا ، فأنشأ
يقول :

كم باليمامة من شعناء ارملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن يعدك تكفى فقد والده كالفرخ فى العش لم يدرج ولم يطر
أأذكر الجهد والبلوى التى نزلت أم قد كفانى ما بلغت من خبرى
انا لترجو - اذا ما الغيث أخلفنا - من الخليفة ما نرجو من المطر
نال الخلافة أو كانت له قدرا كما أنار به موسى على قدر
هذى الارامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
الحير ما دمت حيا لا يفارقنا بوركت يا عمر الخيرات من عمر!

فقال : يا جرير ، ما أرى لك فيما ههنا حقا ! قال : يا أمير المؤمنين ،
انى ابن سبيل ومنقطع ! فقال له : ويحك يا جرير ! قد ولينا هذا الامر ،
ولا نملك الا ثلثمائة درهم ، مائة أخذها عبدالله ، ومائة أخذتها أم عبدالله ،
يا غلام ، اعطه المائة الباقية •

فأخذها جرير ، وقال : والله يا أمير المؤمنين لهي أحب مال اكتسبته ،
ثم خرج ، فقال له الشعراء ما وراءك ؟ قال : ما يسوءكم ! خرجت من عند
خليفة يعطى الفقراء ، ويمنع الشعراء ، واني عنه لراضٍ ، وأنشد :
رأيت رقي الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الجن راضيا

٨ - الشعراء عند عمر بن عبدالعزيز :

قال حماد الراوية :

دخلت المدينة التمس العلم ، فكان أول من لقيت كثير عزة •
فقلت : يا أبا صخر ما عندك من بضاعتي ؟ قال : عندي ما عند الاحوص ونصيب •
قلت : وما هو ؟ قال : هما أحق أخبارك • فقلت له : أنا لم نحث
الخطي نحوكم شهرا نطلب ما عندكم الا ليبقى لكم ذكر ، وقل من
يفعل ذلك ، فخبرنى عما سألتك ليكون ما تخبرني به حديثا آخذه عنك •
فقال : انه لما كان من أمر عمر بن عبدالعزيز ما كان ، قدمت أنا
ونصيب والاحوص ، وكل منا يدل بسابقته عند عبدالعزيز واخائه لعمر •
فكان أول من لقينا مسلمة بن عبد الملك وهو يومئذ في العرب ،
وكل واحد منا ينظر في عطفه لا يشك انه شريك الخليفة في الخلافة ،
فأحسن ضيافتنا وأكرم مثوانا ثم قال : أما علمتم ان امامكم لا يعطى
الشعراء شيئا ، قلنا : قد جئنا الآن ، فوجه لنا في هذا الامر وجها • فقال :
ان كان ذو دين من آل مروان قد ولى الخلافة فقد بقى من ذوى دنياهم
من يقضى حوائجكم ويفعل بكم ما أنتم له أهل •

فأقمنا على بابه أربعة أشهر لا نصل اليه ، وجعل مسلمة يستأذن
لنا فلا يؤذن • فقلت : لو أتيت المسجد يوم الجمعة فحفظت من كلام عمر
شيئا ! فأتيت المسجد فأنا أول من حفظ كلامه : سمعته يقول في خطبة له :
« لكل سفر زاد لا محالة ، فتزودوا من الدنيا الى الآخرة بالتقوى ، وكونوا

كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه ، فعمل طلبا لهذا وخوفا من

هذا • ولا يطولن عليكم الامل فتقسوا قلوبكم ، وتنادوا لعدوكم •
واعلموا انه انما يطمئن بالدينيا من وثق بالنجاة من عذاب الله في
الآخرة • فأما من لا يداوى جرحا الا أصابه جرح من ناحية اخرى ،
فكيف يطمئن بالدينيا ! أعوذ بالله أن آمركم بما انهى نفسى عنه فتخسر
صفتى ، وتيدو علتى وتظهر مسكنتى يوم لا ينفع فيه الا الحق والعدل •
فارتج المسجد باليكاء ، وبكى عمر حتى 'بل' ثوبه ، وظننا انه قاض
نحبه ، فبلغت الى صاحبي فقلت : جددا لعمر من الشعر غير ما أعدناه ،
فليس الرجل بدنيوى •

ثم ان مسلمة استأذن لنا يوم جمعة بعدما أذن للعمامة • فدخلنا فيسلمنا
عليه بالخلافة فرد علينا • فقلت له : يا أمير المؤمنين ، طال الثواء وقلت
الفائدة وتحدثت بجفائك ايانا وفود العرب •

فقال : يا كثير : أما سمعت الى قول الله عز وجل فى كتابه « انما
الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب
والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » ،
أفمن هؤلاء أنت ؟ فقلت له وأنا ضاحك : أنا ابن سبيل ومنقطع به • قال :
أولست ضيف أبى سعيد ؟ قلت : بلى قال : ما أحسب من كان ضيف أبى
سعيد ابن سبيل ولا منقطعاً به :

ثم استأذنته فى الانشاد ، فقال : قل ولا تقل الا حقا • فان الله
سألك فقلت :

وليت فلم تشتم علياً ولم تخف
وقلت تصدقت الذى قلت بالذى
لقد لبست لبس الهلوك ثيابها
بريئاً ولم تتبع مقالة مجرم
فعلت ، فأضحى راضيا كل مسلم
وأبدت لك الدنيا بكف ومدحم

وتبسم عن مثل الجمال المنظم
سقتك مدوقا في سمام وعلقم
ومن بحرهما في مزيد الموج مفصم
صعدت بها أعلى البناء المقدم
لطالب دنيا بعده من تكلم
وآثرت ما يبقى برأى مصمم
سوى الله من مال رغيد ودرهم
صعدت به أعلى المعالي بسلم
مناد ينادى من فصيح وأعجم
بأخذ لدينار وأخذ لدرهم

لك الشطر من أعمارهم غير ندم
معد مطيف بالمقام وزمزم
وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

فقال لي : يا كبير ، ان الله سائلك عن كل ما قلت * ثم تقدم اليه
الاحوص فاستأذنه فقال : قل ولا تقل الا حقا فان الله سائلك فأنشده :
بمنطق حق أو بمنطق باطل
ولا ترجعنا كالنساء الارامل
ولا يسرة فعل الظلوم المجادل
وتقفو مثال الصالحين الاوائل
ومن ذا يرد الحق من قول عاذل
على فوجه ان عاد من نزع نابيل
غطاريف كانت كالليوث البواسل
صرفنا قديما من ذويك الافاضل
وان كان مثل الدر من قول قائل
سوى انه يبنى بناء المنازل

وتومض أحيانا بعين فريضة
فأعرضت عنها مشمرا كأنما
وقد كنت في أجيالها في ممتع
وما زلت سباقا الى كل غاية
فلما أتاك الملك عفوا ولم يكن
تركت الذي يفنى وان كان موبقا
وما لك ان كنت الخليفة مانعا
سما لك هم في الفؤاد مورق
فما بين شرق الارض والغرب كلها
يقول : أمير المؤمنين ظلمتني
فلو يستطيع المسلمون تقسموا
فعضت به ما حج لله راكب
فأربح بها من صفقة لمبايع

فقال لي : يا كبير ، ان الله سائلك عن كل ما قلت * ثم تقدم اليه
الاحوص فاستأذنه فقال : قل ولا تقل الا حقا فان الله سائلك فأنشده :
وما الشعر الا خطبة من مؤلف
فلا تقبلن الا الذي وافق الرضا
رأيناك لم تعدل عن الحق يمنة
ولكن أخذت القصد جهدك كله
فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا
ومن ذا يرد السهم بعد مروقته
ولولا الذي قد عودتنا خلائف
ولكن رجونا منك مثل الذي به
فان لم يكن للشعر عندك موضع
وكان مصيبا صادقا لا يعيبه

فان لنا قربي ومحض مودة
فدادوا عدو السلم عن عقر دارهم
فقبلك ما أعطى الهيدة جلة
على الشعر كعبا من سديس وبازل
رسول الاله المصطفى نبوة
عليه سلام بالضحا والاصائل
فكل الذي عدت يكفيك بعضه
ونيلك خير من بحور السوائل

فقال له عمر : يا أحوص ، ان الله سائلك عن كل ما قلت • ثم تقدم
اليه نصيب فاستأذن في الانشاء • فأبى أن يأذن له وغضب غضبا شديدا
وأمره باللحاق بمدينة دابق بحلب ، وقال لنا : ما عندي ما أعطيكم ،
فانتظروا حتى يخرج عطائي فأواسيكم فيه ، فانتظروا حتى خرج ، فأمر لي
وللاحوص بثلاثمائة درهم ، وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهما فما رأيت
أعظم بركة من الذي أعطانيه • فابتعت بها وصيفة فعلمتها الغناء فبعتها بألف
دينار • ولما المحنا له أن يكون عطاؤنا من بيت المال ، رفض بشدة وادعى انه
لا يملك الحق في التصرف فيه الا لمصلحة تفيد الاسلام والمسلمين وما هو
الا وكيل وعليه أن يحسن التصرف في أمر موكله •

٩ - في وفاة عمر بن عبدالعزيز :

لما حضرت عمر بن عبدالعزيز الوفاة دخل عليه مسلمة بن عبد الملك
فقال : يا أمير المؤمنين ، انك قد فغرت أفواه ولدك من هذا المال ، فلو
أوصيت بهم اليّ والى نظرائي من قومك فكفوك مؤنتهم :

فلما سمع مقالته قال : اجلسوني ، فأجلسوه فقال : قد سمعت مقالتك
يا مسلمة ، أما قولك : قد فغرت أفواه ولدي من هذا المال ، فوالله
ما ظلمتهم حقا هو لهم ولم أكن لاعطيهم شيئا لغيرهم ، وأما ما قلت في
الوصية ، فان وصيتي فيهم (الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)
وانما ولد عمر بين أحد رجلين : أما رجل صالح فسيغنيه الله ، وأما غير

ذلك فلن أكون أول من عانه بالمال على معصية الله .♦

ادع لى بنى فأتوه ، فلما رأهم تفرقت عيناه ، وقال : بنفسى فتيته
تركتهم عالة لا شىء لهم وبكى :

يا بنى انى قد تركت لكم خيرا كثيرا لا تمرون بأحد من المسلمين
وأهل ذمتهم الا رأوا لكم عليهم حقا ، يا بنى انى قد ميلت بين الامرين :
أما أن تستغنوا وأدخل النار وأما أن تفتقروا الى آخر الابد وأدخل الجنة ،
فأرى أن تفتقروا فذلك أحب الي قوموا عصمكم الله ، قوموا رزقكم الله .♦

١٠ - جئتك من عند أزهده الناس :

استعمل عمر - رضى الله عنه - على حمص رجلا يقال له عمير بن
سعد ، فلما مضت السنة كتب اليه : ان اقدم علينا ، فلم يشعر عمر الا وقد
قدم عليه عمير ماشيا حافيا ، عكازته بيده ، وأدواته ومزوده وقصعته على
ظهره ، فلما نظر عمر قال له : يا عمير ، أجبتنا أم البلاد بلاد سوء ؟ فقال :
يا أمير المؤمنين ، أما نهالك الله أن تجهر بالسوء ، وعن سوء الظن ؟ وقد جئت
اليك بالدنيا أجزها بقرابها ! فقال له : وما معك من الدنيا ؟

قال : عكازة أتوكأ عليها ، وأدفع بها عدوا ان لقيته ، ومزود أحمل
فيه طعامى ، وراوية أحمل فيها ماءً لشربى وطهورى ، وقصعة أتوضأ فيها ،
وأغسل فيها رأسى ، وآكل فيها طعامى ، فوالله يا أمير المؤمنين ، ما الدنيا
بعد الا تبع لما معى !

فقام عمر رضى الله عنه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى
بكر رضى الله عنه ، فبكى بكاء شديدا .♦ ثم قال : اللهم الحقنى بصاحبى غير
مقتضح ولا مبتذل .♦

ثم عاد الى مجلسه ، فقل : ما صنعت فى عملك يا عمير؟ فقال : أخذت
الابل من أهل الابل والجزية من أهل الذمة عن يد وهم صاغرون ، ثم

قسمتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، فوالله يا أمير المؤمنين لو بقى
عندى منها شىء لآتيتك به •

فقال عمر : عد الى عملك يا عمير • فقال : انشدك الله يا أمير المؤمنين
أن تردنى الى أهلى • فأذن له فأتى أهله •

فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار ، وقال : اختبر لى عميرا ،
وأنزل عليه ثلاثة أيام حتى ترى حاله ، هل هو فى سعة أو ضيق ؟ فان كان
فى ضيق فادفع اليه الدينانير •

فأتاه حبيب ، فنزل به ثلاثا ، فلم ير له عيشا الا الشعير والزيت ،
فلما مضت ثلاثة أيام ، قال : يا حبيب ، ان رأيت أن تتحول الى جيراننا ،
فلعلمهم يكونون أوسع عيشا منا ، فاننا والله وتالله لو كان عندنا غير هذا
لآثرناك به •

فدفع اليه الدينانير ، وقال : قد بعث بها أمير المؤمنين ، فدعا بقر وخلق
لامراته فجعل يصير منها خمسة الدينانير والستة أو السبعة ، ويبعث بها الى
اخوانه من الفقراء الى أن أنفدها •

فقدم حبيب على عمر ، وقال جئتك يا أمير المؤمنين من عند أزهـد
الناس ، ما عنده من الدنيا قليل ولا كثير ، فأمر له عمر بوسقين من طعام
وثوبين • فقال : يا أمير المؤمنين ، أما الثوبان فأقبلهما وأما الوسقتان فلا حاجة
لى بهما ، عند أهلى صاع من بر هو كافيهم حتى أرجع اليهم •

١١ - الولد سر أبيه :

كان بيد عمر بن عبدالعزيز قبل الخلافة ضيعة تعرف بالسهلة ، وكانت
باليمامة ، وكانت لها غلة عظيمة كثيرة ، عيشه وعيش أهله منها •

فلما وليّ الخلافة قال لمزاحم مولاه ، وكان فاضلا : انى عزمت أن
أرد السهلة الى بيت مال المسلمين • فقال مزاحم : أتدرى كم ولدك ، انهم

كذا وكذا !

فذرقت عيناه ، فجعل يستدمع ويمسح الدمعة بأصبعه الوسطى ،
ويقول : أكلهم الى الله ، أكلهم الى الله !

فمضى مزاحم ، فدخل على عبدالمملك بن عمر ، فقال له : ألا تعلم
ما قد عزم عليه أبوك ؟ انه يريد أن يرد السهلة ! قال : فما قلت له ؟ قال
ذكرت له ولده ، فجعل يستدمع ويمسح الدمعة بأصبعه الوسطى ، ويقول :
أكلهم الى الله •

فقال عبدالمملك : بس وزير الدين أنت ! ثم وثب وانطلق الى أبيه ،
فقال للأذن : استأذن لي عليه ، فقال : انه قد وضع رأسه الساعة للقائلة •
فقال : استأذن لي عليه ، فقال أما ترحمونه ؟ ليس له من الليل والنهار الا
هذه الساعة ! قال : استأذن لي عليه لا ام لك !

فسمع عمر كلامهما ، فقال : ائذن لعبدالمملك ! فدخل فقال : علام
عزمت ؟ قال : ارد السهلة ! قال : فلا تؤخر ذلك ، قم الآن ! فجعل عمر
يرفع يديه ويقول : الحمد لله الذى جعل لي من ذريتي من يعينني على أمر
ديني • نعم ، يا بنى ، اصلى الظهر ، ثم أصعد المنبر ، فأردها علانية على
رؤوس الناس !

قال : ومن لك أن تعيش الى الظهر ، ثم من لك أن تسلم نيتك الى
الظهر ان عشت اليها !

فقام عمر ، فصعد المنبر وخطب الناس ورد السهلة الى بيت المسلمين •

١٢ - لا أسألكم عليه أجرا :

قال عثمان بن عطاء الخراسانى : انطلقت مع أبى نريد هشام بن
عبدالمملك ، فلما قربنا اذا بشيخ على حمار أسود ، عليه قميص دنس ، وجبة
دنسة وقلنسوة دنسة وركاباه من خشب فضحكت منه وقلت لابي من هذا

الاعرابي ؟ قال اسكت فهذا سيد فقهاء الحجاز عطاء بن أبي رباح !
فلما قرب منا نزل أبي عن بغلته ، ونزل هو عن حمارة ، فاعتقنا
وتساءلا ، ثم عادا فركبا وانطلقا حتى وقفا على باب هشام ، فما استقر بهما
الجلوس ، حتى اذن لهما •

فلما خرج أبي قلت له : حدثني ما كان منكما ! قال : لما قيل لهشام :
ان عطاء بن أبي رباح بالباب أذن له ، فوالله ما دخلت الا بسببه •

فلما رآه هشام قال : مرحبا مرحبا ! ههنا ، ههنا ، ولا يزال يقول له :
ههنا ، ههنا ، حتى أجلسه معه على سريريه ، ومس بركبته ركبته • وعنده
أشراف الناس يتحدثون فسكتوا فقال له : ما حاجتك يا أبا محمد ؟ قال :
يا أمير المؤمنين أهل الحرمين أهل الله وجيران رسوله ، تقسم عليهم أرزاقهم
وأعطيتهم ، قال يا غلام اكتب لاهل مكة والمدينة باعطيائهم وأرزاقهم لسنة ،
ثم قال : هل في حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين أهل
الحجاز وأهل نجد هم أصل العرب وقادة الاسلام ، ترد فيهم فصول
صدقاتهم قال نعم ! يا غلام اكتب بأن ترد فيهم فصول صدقاتهم ، هل من
حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ قال : نعم • يا أمير المؤمنين ، أهل الثغور يردون من
ورائكم ، ويقاتلون عدوكم ، تجرى لهم أرزاقا تدرها عليهم ، فانهم ان
هلكوا ضاعت الثغور ، قال نعم ! يا غلام ! اكتب بحمل أرزاقهم اليهم •
هل من حاجة غيرها يا أبا محمد ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أهل ذمتكم
لا يكلفون مالا يطيقون ، فأن ما تجبونه منهم معونة لكم على عدوكم • قال :
نعم ! اتق الله في نفسك ، فأنت خلقت وحدك ، وتموت وحدك ، وتحشر
وحدك ، ولا والله ما معك ممن ترى أحدا !

فأكب هشام ينكت في الارض وهو يبكي ، فقام عطاء •
فلما كنا عند الباب اذا رجل قد تبعه بكيس لا أدرى عدد الدراهم

فيه أو الدنياير ، فقال : ان أمير المؤمنين ، أمر لك بهذا • فقال : لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى الا على رب العالمين ، فوالله ما شرب عنده قطرة ماء !

١٣ - عمر بن عبدالعزيز يحمل الناس على الحق :

لما دفن سليمان ، وقام عمر بن عبدالعزيز ، قربت اليه المراكب ، فقال : ما هذه ؟ فقالوا : مراكب لم تتركب قط يركبها الخليفة أول ما يلي • فتركها وخرج يلتمس بغلته ، وقال : يا مزاحم ، ضم هذه المراكب الى بيت مال المسلمين •

ونصبت له سرادقات وحجر لم يجلس فيها أحد قط ، كانت تضرب للخليفة أول ما يلي ، فقال : ما هذه ؟ فقالوا : سرادقات وحجر لم يجلس فيها أحد قط يجلس فيها الخليفة أول ما يلي • قال يا مزاحم ، ضم هذه الى أموال المسلمين • ثم ركب بغلته ، وانصرف الى الفرش والوطاء الذى لم يجلس عليه أحد قط يفرش للخليفة أول ما يكون ، فجعل يدفع ذلك برجله حتى يفضى الى الحصير • ثم قال : يا مزاحم ، ضم هذه لاموال المسلمين •

وبات عيال سليمان يفرغون الادهان والطيب من هذه القارورة الى هذه القارورة ، ويلبسون ما لم يلبس من الثياب حتى تتكسر - وكان الخليفة اذا مات فما لبس من الثياب ، أو مس من الطيب كان لولده ، وما لم يلبس من الثياب وما لم يمس من الطيب فهو للخليفة بعده •

فلما أصبح عمر قال له أهل سليمان : هذا لك وهذا لنا ، قال : وما هذا ؟ وما هذا ؟ فقالوا : هذا مما لبس الخليفة من الثياب ومس من الطيب فهو لولده ، وما لم يمس ولم يلبس فهو للخليفة بعده ، وهو لك •

قال عمر : ما هذا لى ، ولا لسليمان ، ولا لكم ، ولكن يا مزاحم ، ضم هذا كله الى بيت مال المسلمين • ففعل •

فتأمر الوزراء فيما بينهم ، فقالوا : أما المراكب والسراقات والحجر والوطاء فليس فيه رجاء بعدما كان منه فيه ما قد علمتم ، وبقيت خصلة وهي الجوارى ، لغرضهن فعسى ان يكون ما تريدون فيهن ، فان كان والا فلا طمع لكم عنده ، فأتى بالجوارى فعرضن عليه كأمثال الدمى ، فلما نظر اليهن جعل يسألهن واحدة واحدة : من أنت ؟ ولمن كنت ؟ ومن بعث بك ؟ فتخبره الجارية بأصلها ، ولمن كانت ، وكيف أخذت ، فيأمر بردهن الى أهلهن ويحملن الى بلادهن ، حتى فرغ منهن ، فلما رأوا ذلك ، آيسوا منه ، وعلموا انه سيحمل الناس على الحق •

واحتجب عن الناس ثلاثا ، لا يدخل عليه أحد ، ووجوه بني مروان وبني امية ، وأشراف الجنود والعرب ، والقواد ببابه ، ينظرون ما يخرج عليهم منه ، فجلس للناس بعد ثلاث وحملهم على شريعة من الق فعرفوها ، فرد المظالم ، وأحيا الكتاب والسنة ، وسار بالعدل ، ورفض الدنيا وزهد فيها ، وتجرد لآحياء أمر الله عز وجل ، فلم يزل على ذلك حتى قبض ! •

١٤ - نزاهة عاقبة بن يزيد القاضى : -

كان عاقبة بن يزيد القاضى يلى القضاء ببغداد فى عهد المهدي ، فجاء المهدي يوما وقت الظهر وهو خالٍ • فاستأذن عليه • فلما دخل استأذنه • فيمن يسلم اليه القمطر - سجل الدعاوى - الذى فيه قضايا مجلس الحكم واستغفاه من القضاء وطلب منه أن يقيله من ولايته •

فظن المهدي ان بعض الولاة قد عارضه فى حكمه • فقال له فى ذلك : هل عارضك أحد تنكر عليه ؟ فقال القاضى : لم يكن شئ من ذلك • قال : فما سبب استغفائك من القضاء ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، تقدم لى خصمان منذ شهر فى قضية مشكلة ، وكل يدعى بينة وشهوا ، ويدلى بحجج تحتاج الى تأمل وتلبث فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا وان يظهر

الفصل بينهما ، فسمع أحدهما انى احب الرطب فعمد - فى وقتنا هذا وهو
أول أوقات الرطب - فجمع رطباً لا يتهاى فى وقتنا هذا جمع' مثله لامير
المؤمنين ، وما رأيت أحسن منه ، ورشاً بوابى بدرهم على أن يدخل الطبق
على ، ولا يبالى أن يرد الطبق عليه أم لا •

فلما أدخله على أنكرت ذلك وطردت بوابى وأمرت برد الطبق ،
فرد فلما كان اليوم تقدم الخصمان اليّ فما تساوبا فى عيني ولا قلبى ،
فهذا يا أمير المؤمنين ولم أقبل ، فكيف يكون حالى لو قبلت ؟ ولا آمن أن
تقع على حيلة فى دينى ، وقد فسد الناس ، فأقلى يا أمير المؤمنين ، أقالك
الله ، واعضى عفا الله عنك • وبناء على شدة الحافه وتوسله أقاله المهدي وهو
آسف •

١٥ - الزهد فى العيش :

قدم العيد على المسلمين وأراد سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه
أن يتتاع لاولاده ملابس جديدة فلم يكن يملك من المال ما ينقده ثمناً لها
فاضطر أن يرهن درعه وسيفه عند أحد اليهود ويأخذ لاولاده ملابس
جديدة أو حيث انه لا يملك ما يسدد به دينه فبقى الدرع والسيف عند
اليهودى رهينة مدة طويلة حتى مر ذات يوم سيدنا عبدالرحمن بن عوف
رآها فاستغربها عند اليهودى فسأله عنها فأخبره خبرها ، عندها نقده عن
الملابس وأخذ الدرع والسيف وعاد بهما الى صاحبهما ، علماً بأن علياً
عليه السلام كان آنذاك فى دست الخلافة وبيوت مال المسلمين تارعة
بخيراتها غير أن النفس الابية الراضية بعيشها المرضية عند ربها تأبى أن
تمد يدها الى مال المسلمين ولو كان فيها خصاصة اللهم ارحمنا بأفعال
هؤلاء السادة والقادة •

تاسعا - الامثلة عند العرب

كانت الامثلة ضربا من ضروب الحكمة والبلاغة العربية الاصيلية ،
وها نحن ننقل لك أيها القارئ بعضها للفائدة والافادة •

١ - الحديث ذو شجون (سبق السيف العدل) :

كان لضبة بن أدّ ابنان يقال لاحدهما سعد وللآخر سعيد فنفرت ابل
لضبة تحت الليل ، فوجه ابنيه في طلبها ، ففترقا فوجدها سعد ، فردها ،
ومضى سعيد في طلبها ، فلقى الحارث بن كعب - وكان على الغلام بردان -
فسأله اياهما ، فأبى عليه ، فقتله ، وأخذ برديه •

فكان ضبة اذا أمسى فرأى تحت الليل سوادا قال : أسعد أم سعيد ؟
فمكث ضبة بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم انه حج فوافى سوق عكاظ
فلقى بها الحارث بن كعب ، ورأى عليه بردى ابنه سعيد فعرفهما فقال :
هل أنت مخبرى : ما هذان البردان اللذان عليك ؟ قال : لقيت غلاما وهما
عليه فسألته اياهما فأبى عليّ فقتلته ، وأخذت برديه هذين •

فقال ضبة : بسيفك هذا قال نعم • فقال خذ حذرك فان قاتل ابني
سعيد ، انتضى سيفه وهزه وقال : الحديث ذو شجون فهجم عليه وضربه
فقتله ، فقيل له : يا ضبة أفي الشهر الحرام ؟ فقال : « سبق السيف
العدل » •

٢ - جوع كلبك يتبعك :

كان أحد ملوك حمير عنيفا على مملكته ، يفصبهم أموالهم ، ويسلبهم
ما في أيديهم ، وكانت الكهنة تخبره انهم سيقتلونه ، فلا يحفل بذلك •
وسمعت امرأته أصوات السؤال ، فقالت : انى لارحم هؤلاء ، لما
يلقون من الجهد ، ونحن في العيش الرغيد ، وانى لاخاف عليك أن
يصيروا سباعا ، وقد كانوا لنا أتباعا ، فرد عليها وقال : « جوع كلبك

• يتبعك »

فلبت بذلك زمانا ، ثم أغزاهم ، فغنموا ، ولم يقسم منهم شيئا ، فلما خرجوا من عنده ، قالوا لآخيه : وهو أميرهم : قد ترى ما نحن فيه من الجهد ، ونحن نكره خروج الملك منكم - أهل البيت - الى غيركم ، فساعدنا على قتل أخيك ، واجلس مكانه •

وكان قد عرف بغيه واعتدائه عليهم ، فأجابهم الى ذلك ، فوثبوا عليه فقتلوه ! فمر به عامر بن جذيمة - وهو مقتول - وقد سمع بقوله : جوع كلبك يتبعك ! فقال : « ربما أكل الكلب مؤدبه اذا لم ينل شبعه » •

٣ - تأبط شرا وابن براق :

أغار تأبط شرا ومعه ابن براق على بجيلة ، فأطردا لهما نعما ، ونذرت بهما بجيلة ، فخرجت فى آثارهما ، ومضيا هارين فى جبال السراة ، وركبا الحزن ، وعارضتهما بجيلة فى السهل ، فسيقوهما الى الوهط ، فدخلوا لهما فى قصبة العين ، وجاءا وقد بلغ العطش منهما الى العين •

فلما وقعا عليها ، قال تأبط شرا لابن براق : أقل من الشرب فأنتها ليلة طرد ، قال : وما يدريك ؟ قال : والذى روحى بيده انى لاسمع وجيب قلوب الرجال تحت قدمى - وكان من اسمع العرب وأكيدهم - فقال له ابن براق : ذلك وجيب قلبك ، فقال له : تأبط شرا : والله ما وجب قلبى قط ولا كان وجابا ، وضرب بيده عليه ، وأصاخ نحو الارض يستمع ، فقال : والذى أعدو بطيره ، انى لاسمع وجيب قلوب الرجال ، فقال له ابن براق : فانى انزل قلبك •

فنزل فيرك وشرب ، وكان أكل القوم عند بجيلة شوكة ، فتركوه وهم فى الظلمة ، ونزل ثابت ، فلما توسط الماء وثبوا عليه ، فأخذوه

وأخرجوه من العين مكتنفا وابن براق قريب منهم لا يطمعون فيه لما يعلمون من عدوه ، فقال لهم ثابت : انه من أصدق الناس وأشدهم عجبا بعدوه ، وسأقول له : استأسر معي ، فسيعدوه عجبه بعدوه الى أن يعدو بين أيديكم ، وله ثلاثة اطلاق ، أولها كالريح الهابة ، والثاني كالفرس الجواد والثالث يكبو فيه ويعثر ، فاذا رأيتم منه ذلك فخذوه فأني احب أن يصير في أيديكم كما صرت اذخالفني ، قالوا : فافعل •

فصاح به تأبط شرا : أنت أخي في الشدة والرخاء ، وقد وعدني القوم أن يمنوا عليك وعليّ ، فاستأسر وواسني بنفسك في الشدة كما كنت أخي في الرخاء ، فضحك ابن براق ، وعلم انه قد كادهم ، وقال : مهلا يثابت ، أيستأسر من عنده هذا العدو ؟ ثم عداه فعدا أول طلق مثل الريح كما وصف لهم ، والثاني كالفرس الجواد ، والثالث جعل يكبو ويعثر ويقع على وجهه ، فقال : ثابت خذوه فعدوا بأجمعهم ، فلما أن نفسوا عنه شيئا عدا تأبط شرا في كتافه ، وعارضه ابن براق فقطع كتافه وأفلتا جميعا ، فقال تأبط شرا قصيدته القافية في ذلك :

يا عيد مالك من شوق وابراق ومرطيف على الاهوال طراق
يسرى على الاين والحبات محتفيا نفسى فداؤك من سار على ساق

٤ - شب عمر عن الطوق :

كان جذيمة الابرش ملك الحيرة قد جمع غلمانا من أبناء الملوك يخدمونه ، منهم عدى بن نصر بن ربيعة اللخمي ، وكان له حظ من الجمال ، فقالت له رقاش اخت جذيمة : اذا سقيت الملك فسكر فاخطبني اليه ، فسقى عدى جذيمة ليلة ، وأطف له في الخدمة ، ولما أسرعت الحمر فيه قال له : سلتني ما أحببت ، فقال : أسألك أن تزوجني رقاش اختك ! قال : ما بها عنك رغبة ، قد فعلت • فدخل بها ، وأصبح في ثياب جدد وطيب • فلما رآه جذيمة قال يا عدى ما هذا الذي أرى ؟ قال : زوجتي

اختك رقاش البارحة ، قال : ما فعلت ! ثم وضع يده فى التراب ، وجعل
يضرب بها وجهه ورأسه ، وأقبل على رقاش فقال :

حديثى وأنت غير كذوب * * * * *

فأجابته رقاش :

أنت زوجتى وما كنت أدرى وأتانى النساء للتزوين
ذاك من شربك المدامة صرفا وتماديك فى الصبا والمجون
فأطرق جذيمة ، فلما رآه عدى قد فعل ذلك خافه على نفسه ، فهرب
منه ، ولحق بقومه وبلاده ، فمات هناك •

ثم ولدت رقاش غلاما ، فسماه جذيمة عمرا وتبناه ، وأحبه جدا
شديدا - وكان جذيمة لا يولد له •

فلما بلغ الغلام ثمانى سنين كان يخرج مع عدة من خدم الملك
يجتتون له الكمأة ، فكانوا اذا وجدوا كمأة خيارا أكلوها وراحوا بالباقي
الى الملك • وكان عمرو لا يأكل مما يجنى ، ويأتى به جذيمة فيضعه بين
يديه ، ويقول :

هذا جناي وخياره فيه اذ كل جانٍ يده الى فيه

ثم انه خرج يوما وعليه ثياب وحلى ، ففقد زمانا ، فضرب فى الأفاق
فلم يوجد ، وأتى على ذلك ما شاء الله •

ثم وجده مالك وعقيل ابنا فارج ، وهما رجلان من بلقيس كانا
متوجهين الى الملك بهدايا وتحف ، فبينما هما بواد فى السماوة انتهى اليها
عمرو بن عدى ، وقد عفت أظفاره وشعره ، فقالا له : من أنت ؟ قال :
ابن التنخية ، فلهيا عنه ، وقالا لجارية معهما : اطعمينا فأطعتهما ، فأشار
عمرو الى الجارية أن اطعمنى فأطعته ثم سقتهما ، فقال عمرو : اسقبنى ،
فقال الجارية : لا تطعم العبد الكراع فيطعم فى الذراع •

ثم انهما حملاه الى جذيمة ، فعرفه ، فضمه وقبله وقال لهما :
حكمتكما ، فسألاه منادته ، فلم يزالا نديميه حتى فرق الموت بينهم ،
وبعث عمرواً الى امه ، فأدخلته الحمام ، وألبسته ثيابه ، وطوقته طوقاً كان
له من ذهب ، فلما رآه جذيمة قال : شب عمر عن الطوق •

٥ - كل امرئ يأكل زاده :

خرج المهدي وعلي بن سليمان الى الصيد ، فسنح لهما قطع من ظباء ،
فأرسلت الكلاب ، وأجريت الخيل ، فرمى المهدي سهماً ، فصرع ظيياً ،
ورمى علي بن سليمان فأصاب كلباً فقتله ، فقال في ذلك أبو دلامة :

قد رمى المهدي ظيياً شك بالسهم فؤاده
وعلي بن سليمان ن رمى كلباً فصاده
فهنئاً لهما كل امرئ يأكل زاده

فضحك المهدي حتى كاد يسقط عن سرجه ، وقال : صدق
والله أبو دلامة ، وأمر له بجائزة ، ولقب علي بن سليمان بصائد الكلب ،
فعلق به اللقب •

٦ - ما معي الا قفاي :

كان رجل ببغداد يعرف بابن المغازلي ، يتكلم على الطريق ، ويقص
على الناس أخباراً ونوادير ومضحكات ، وكان في نهاية الحذق ، لا يستطيع
من يراه ويسمع كلامه الا أن يضحك •

قال : وقفت يوماً في خلافة المعتضد على باب الخاصة ، فحضر حلقتي
بعض خدم المعتضد ، فأخذت في حكاية الخدم ، فأعجب الخادم بحكايتي
وشغف بنوادري ، ثم انصرف عني •

فلم يلبث أن عاد اليّ وأخذ بيدي ، وقال : اني لما انصرفت عن
حلقتك دخلت ، فوقفت بين يدي المعتضد أمير المؤمنين ، فذكرت حكايتك ،

وما جرى من نوادر فاستضحكت ، فرآنى أمير المؤمنين ، فأنكر ذلك منى ، وقال : ويلك ! مالك ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، على الباب رجل يعرف بأبن المغازلى يضحك ويحاكى ، ولا يدع حكاية أعرابى وتركى ومكى وزنجى وخادم الا حكاها ، ويخلط ذلك بنوادر تضحك الثاكل ، وتصبى الحليم ، وقد أمرنى باحضارك ، ولى نصف جائزتك ، فقلت له ، وقد طمعت فى الجائزة السنية : يا سيدى : أنا ضعيف وفقير ، وقد من الله عليّ بك ، فما عليك ان أخذت بعضها ، سدسها أو ربعها ، فأبى الا نصفها ، فطمعت فى النصف ، وقعت به •

فأخذ بيدي وأدخلنى عليه فسلمت وأحسنت ، ووقفت فى الموضع الذى اوقفت فيه ، فرد عليّ السلام ، وقد كان ينظر فى كتاب ، فلما نظر فى أكثره أطبقه ، ثم رفع رأسه اليّ وقال : أنت ابن المغازلى ؟ قلت : نعم ! يا أمير المؤمنين ، قال : قد بلغنى انك تحكى وتضحك ، تأتى بحكايات عجيبة ، ونوادر ظريفة ! قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، الحاجة تفتق الحيلة ، أجمع بها الناس ، وأتقرب الى قلوبهم بحكايتها التمس برهم ، وأعيش بما أناله منهم ، قال : فهات ما عندك ، وخذ فى فنك ، فان أضحكى اجزتك بخمسمائة درهم ، وان لم أضحك فمالى عليك ؟ فقلت : ما معى الا قفاى ، فاصفحه ما أحبيت ، وكم شئت وبما شئت ! فقال لى : قد انصفت ، ان ضحكك فلك ما ضمنت ، وان أنا لم أضحك صفتك بهذا الجراب عشر صفعات •

فقلت فى نفسى : ملك لا يصفع الا بشيء يسير خفيف هين ، ثم التفت ، واذا أنا بجراب آدم ناعم فى زاوية البيت ، فقلت فى نفسى : ما أخطأ حزرى ، ولا أخلف ظنى ، وما عسى أن يكون من جراب فيه ربح ان أنا أضحكته ربحت ، وان أنا لم اضحكه فأمر عشر صفعات بجراب منفوخ هين •

ثم أخذت فى النوادر والحكايات ، فلم أدع حكاية أعرابى ، ولا نحوى ، ولا قاضٍ ، ولا عبارة ولا نادرة ، ولا حكاية الا أحضرتها وأتيت بها حتى نفذ جميع ما عندى ، وتصدع رأسى ، ولم يبق ورائى خادم الا هرب ، ولا غلام الا ذهب لما استفزهم الضحك !

فقلت : قد نفذ - والله يا أمير المؤمنين - ما معى ، وتصدع رأسى ، وذهب معاشى ، وما رأيت قط مثلك وما بقيت لي الا نادرة واحدة ، فقال : هاتها ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، وعدتني أن تصفنى عشرا ، وجعلتها مكان الجائزة • فأسألك أن تضعف الجائزة ، وتضيف إليها عشرا ، فأراد أن يضحك ، فاستمسك ، ثم قال : نفعل : يا غلام خذ بيده ، فأخذ بيدي ، ومددت قفاى فصفعت بالجراب صفعة ، فكأنما سقط على قفاى قلعة ، واذا فيه حصى مدور ، كأنه صنجات ، فصفعت به عشرا ، كادت أن تنفصل رقبتى ، وينكسر عنقى ، وطنت اذناى ، وقدح الشعاع من عيني •

فلما استوفيت العشرة صحت : يا سيدى نصيحة ، فرفع الصفع عنى ، فقال : ما نصيحتك ؟ قات : يا سيدى ، انه ليس فى الدنيا أحسن من الامانة ، ولا أقبح من الخيانة ، وقد ضمنت للخادم الذى أدخلنى عليك نصف هذه الجائزة على قلتها أو كثرتها • وأمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - بفضلته وكرمه قد أضعفها ، فقد استوفيت نصفها ، وبقي لخادمك نصفها •

فضحك حتى استلقى ، واستفزه ما كان قد سمعه منى أولا ، وتحامل له ، وصبر عليه ، فما زال يضرب برجليه ، ويمسك بمراق بطنه ، حتى اذا سكن ضحكه ، ورجعت اليه نفسه قال : عليّ بفلان الخادم ، فأتى به ، وكان طويلا ، فأمر بصفعه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أى شىء قضيتى ؟ وأى جنابة جنائيتى ؟ فقلت له : هذه جائزتى ، وأنت شريكى ، وقد استوفيت نصفها ، وبقي نصيبك منها ، فلما أخذه ، وطرق قفاه الصافع أقبلت عليه

أقول له : أقول لك : انى ضعيف فقير ، وشكوت اليك الحاجة والمسكنة ،
وقلت لك : يا سيدى ، لا تأخذ نصفها ، لك سدسها ، لك ربعها ، وأنت
تقول : ما آخذ الا نصفها ، ولو علمت ان أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه -
جوائزہ صفع ، وهبتها لك كلها ، فعاد الى الضحك •

فلما استوفى صفعه ، وسكن أمير المؤمنين من ضحكه ، أخرج صرة
كان قد أعدها فيها خمسمائة درهم ، ثم قال له - وقد أراد الانصراف -
قف ، هذه كنت أعددتها لك فلم يدعك فضولك حتى أحضرت لك شريكاء ،
فقلت : يا أمير المؤمنين ، وأين الامانة ؟ وددت انك تدفعها كلها اليه وتصفعه
مع القسوة عشرا اخرى ، وتدفع له الخمسمائة درهم • فقسم الدراهم
بيننا وانصرفنا !••••

٧ - قسم فأحسن القسمة :

قال أبو الحسن : حدثنى أعرابى كان ينزل بالبصرة قال : قدم
أعرابى من البادية ، فأنزله وكان عندى دجاج كثير ، ولى امرأة وابنان
وابنتان ، فقلت لامراتى : بادرى واشوى لنا دجاجة وقدميها الينا
تغذى بها •

فلما حضر الغداء جلسنا جميعا أنا وامراتى وابناى وابنتاى والاعرابى ،
فدفعنا اليه الدجاجة ، وقلنا له : اقسمها بيننا - نريد أن نضحك منه - فقال :
لا احسن القسمة ، فان رضيتم بقسمتى قسمتها بينكم ، قلنا : نرضى ، فأخذ
رأس الدجاجة فقطعها وناولنيه ، وقال : الرأس للرأس ، وقطع الجناحين
وقال : الجناحان للابنين ، ثم قطع الساقين فقال الساقان ، للابنتين ثم قطع
العجز وقال العجز للعجوز وقال : الزرور للزائر ، وأخذ الدجاجة بأسرها
وسخر بنا •

فلما كان من الغد قلت لامراتى اشوى لنا خمس دجاجات ، فلما

حضر الغداء قلت : اقسام بيننا قال : انى أظن انكم وجدتم فى انفسكم ، قلنا : لا ، لم نجد فى أنفسنا ، فأقسم ! قال : اقسام شفعا أم وترا ؟ قلنا : اقسام وترا ، قال : أنت وامرأتك ودجاجة ثلاثة ، ثم رمى الينا بدجاجة ، ثم قال : وابناك ودجاجة ثلاثة ، ثم رمى اليهما بدجاجة ، ثم قال : وابنتك ودجاجة ثلاثة ، ثم رمى اليهما بدجاجة ، ثم قال : أنا ودجاجتان ثلاثة ، وواخذ دجاجتين وسخر بنا !

ثم رأنا ونحن ننظر الى دجاجتيه ، فقال : ماتنظرون ؟ لعلكم كرهتم وقسمة الوتر ، لا يجيىء الا هكذا ، فهل لكم فى قسمة الشفع ؟ قلنا : نعم ، فضمهن اليه ثم قال أنت وابناك ودجاجة أربعة ، ورمى الينا بدجاجة ، ثم قال والعجوز وابنتها ودجاجة أربعة ، ورمى اليهن بدجاجة ، ثم قال : أنا وثلاث دجاجات أربعة ، وضم اليه الثلاث ، ورفع يديه الى السماء وقال : اللهم لك الحمد أنت فهمتينا !

٨ - تعدوا الذئاب على من لا كلاب له :

حج أبو الاسود الدؤلى ومعه امرأته - وكانت جميلة - فبينما هى تتطوف بالبيت اذ عرض لها عمر بن أبى ربيعة ، فأتت أبا الاسود فأخبرته ، فأتاه أبو الاسود فعاتبه ، فقال له عمر : ما فعلت شيئا ، فلما عادت الى المسجد عاد فكلمها : فأخبرت أبا الاسود فأتاه فى المسجد وهو مع قوم جالس فقال له :

روانى ليثنى عن الجهل والخنا
حياء واسلام وتقيان وانبى
وعن شتم أقوام خلأق أربع
كريم ، ومثلى قد يضر وينفع
على كل حال استقيم وتطلع
فشتان ما بينى وبينك انسى

فقال له عمر : لست أعود يا عم لكلامها بعد هذا اليوم ، ثم عاد فكلمها فأتت أبا الاسود فأخبرته ، فجاء اليه فقال له :

أنت الفتى وابن الفتى وأخو الفتى وسيدنا لولا خلائق أربع
نكول عن الجلى وقرب من الخنا ويخل عن الجدوى وانك تبع
ثم خرجت وخرج معها أبو الاسود مشتتلا على سيف ، فلما رآها
عمر أعرض عنها ، فتمثل أبو الاسود :
تعدو الذئب على من لا كلاب له وتتقى صولة المستأسد الحامى

٩ - أكلت يوم أكل الثور الابيض :

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : انما مثلى ومثلي
عثمان كمثل أنوار ثلاثة كن في أجمة : أبيض وأسود وأحمر ، ومعهم
فيها أسد ، فكان لا يقدر منهن على شىء لاجتماعهن عليه ، فقال للثور
الاسود والثور الاحمر : لا يدل علينا فى أجمتنا الا الثور الابيض ، فان
لونه مشهور ، ولونى على لونكما ، فلو تركتماني آكله صفت الاجمة ،
فقالا له : دونك فكله ، فأكله فلما مضت أيام قال للاحمر : لونى على لونك
فدعنى آكل الاسود لتصفو لنا الاجمة ! فقال له : دونك فكله ، فأكله ،
ثم قال للاحمر : انى آكلك لا محالة ، فقال : دعنى انادى ثلاثا ، فقال
افعل ، فنادى : الا انى اكلت يوم اكل الثور الابيض ، ثم قال علي رضي الله
عنه : ألا انى هنت يوم قتل عثمان : يرفع بها صوته •

١٠ - لا أحب تخديش وجه الصاحب :

زعمت العرب أن الثعلب رأى حجرا أبيض بين نصيين ، فأراد أن
يقتال به الاسد ، فأتاه ذات يوم فقال له : يا أبا الحارث ، الغنيمة الباردة !
شحمة رأيتها بين نصيين ، فكرهت أن أدنو منها ، وأحبيت أن تتولى ذلك
أنت ! فهلم لاريكها •

فانطلق به حتى جاء به اليها ، فقال : دونك يا أبا الحارث !
فذهب الاسد ليدخل ، فضاق به المكان ، فقال له الثعلب : ادفع

برأسك ! فأقبل الاسد يدفع برأسه حتى نشب ، فلم يقدر أن يتقدم ولا يتأخر •

ثم أقبل الثعلب يخدش خورانه ، فقال الاسد : ما تصنع يا ثعالة قال :
اريد لاستنقذك ، قال : فمن قبل الرأس اذن ! فقال الثعلب :
لا أحب تخديش وجه الصاحب !

١١ - حكومة الضب :

زعموا أن أرنباً التقطت ثمرة ، فاختلسها الثعلب فأكلها ،
فانطلقا يختصمان الى الضب ، فقال الارنب : يا أبا الحثل ! قال : « سميعاً
دعوت » • قالت : اتيناك لنحكتم اليك • قال • « عادلا حكمتما » • قالت :
فاخرج الينا • قال : « فى بيته يؤتى الحكم » • قالت : انى وجدت ثمرة •
قال : « حلوة فكليها » •

قالت : فاختلسها الثعلب • قال : « لنفسه يبغى الخير » • قالت :
فلطمته • قال : « بحقك أخذت » • قالت : فلطمنى •

قال : « حر انتصر لنفسه » • قالت : « فاقض بيننا » قال : قد
قضيت •••••

١٢ - اعلمك ثلاث خصال :

قالوا : ان رجلا صاد قبرة ، فقالت : ما تريد أن تصنع بى ؟ قال :
أذبحك وآكلك ! قالت : والله ما أشفى من قرم ، ولا اشبع من جوع ،
ولكن اعلمك ثلاث خصال ، هى خير لك من أكلى : أما الاولى فأعلمك
اياها وأنا فى يدك ، وأما الثانية فاذا صرت على الشجرة ، وأما الثالثة فاذا
صرت على الجبل •

فقال : هاتى الاولى ! قالت : لا تلهفن على ما فات ، فخلاها ، فلما
صارت على الشجرة ، قال : هاتى الثانية ، قالت : لا تصدقن بما لا يكون

انه يكون ، ثم طارت على الجبل ، فقالت : يا شقى ، لو ذبحتنى
لاخرجت من حوصلتى درتين وزن كل واحدة ثلاثون مثقالا !

فعض على يديه وتلهف تلهفا شديدا ، وقال : هاتى الثالثة ، فقالت :
أنت قد نسيت الاثنتين ، فما تصنع بالثالثة ؟ ألم أقل لك : لا تلهفن على
ما فات ، وقد تلهفت ، أو لم أقل لك : لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ،
وأنا ولحمى ودمى لا يكونَ عشرين مثقالا ، فكيف صدقت أن فى حوصلتى
درتين كل واحدة منهما ثلاثون مثقالا ! ثم طارت وذهبت •

١٣ - مجير أم عامر :

خرج قوم الى الصيد فى يوم حار ، فانهم لذلك ، اذا عرضت لهم
ام عامر وهى الضبع - فطردوها ، فأتبعتهم حتى الجأوها الى خباء أعرابى ،
فاقتحمته ، فخرج اليهم الاعرابى وقال: ما شأنكم ؟ قالوا : صيدنا وطريدتنا
فقال كلا ، والذى نفسى بيده لا تصلون اليها ما ثبت قائم سيفى فى يدي ،
فرجعوا وتركوه ، وقام الى نعجة فحلبها ، وماء فقرب منها فأقبلت تبلغ مرة
فى هذا ومرة فى هذا حتى رويت واستراحت ، فبينما الاعرابى نائم فى جوف
بيته ، اذ وثبت عليه فبقرت بطنه ، وشربت دمه وتركته !

فجاء ابن عم له يطلبه ، فاذا هو بقرت بطنه فى بيته ، فالتفت الى موضع
الضبع فلم يرها ، فقال : صاحبتى والله فأخذ قوسه وكنانته واتبعها فلم يزل
حتى أدركها فقتلها ، وأنشأ يقول :
ومن يصنع المعروف فى غير أهله يلاق الذى لاقى مجير أم عامر

١٤ - كيف أعاودك وهذا أثر فأسك :

حكى : ان أخوين كانا فى ابل لهما ، فأجذبت بلادهما ، وكان
بالقرب منهما واد خصيب ، وفيه حية تحميه من كل أحد • فقال أحدهما
للآخر : يا فلان ، لو انى أتيت هذا الوادى المكلىء فرعيت فيه ابلى

وأصلحتها ، فقال له أخوه : انى أخاف عليك الحية ، ألا ترى أن أحدا لا يهبط ذلك الوادى الا أهلكته ؟ قال : فوالله لافعلن ! فهبط الوادى ورعى به ابله زمانا ♦

ثم ان الحية نهشته فقتلته ، فقال اخوه : والله ما فى الحياة بعد أخى خير ، فلأطلبن الحية ولاقتلناها أو لاتبعن أخى ، فهبط ذلك الوادى وطلب الحية ليقتلها ، فقالت الحية : ألسن ترى انى قتلت أخاك ؟ فهل لك فى الصلح فأدعك بهذا الوادى تكون فيه وأعطيك كل يوم ديناراً ما بقيت ؟ قال : أو فاعلة أنت ؟ قالت : نعم ♦ قال : انى أفعل ، وحلف لها وأعطاها المواثيق لا يضرها ، وجعلت تعطيه كل يوم ديناراً ، فكثر ماله حتى صار من أحسن الناس حالاً ، ثم انه ذكر أخاه ، فقال : كيف ينفعنى العيش وأنا أنظر الى قاتل أخى ؟ ثم عمد الى فأس فأخذها ، ثم قعد لها ، فمرت به فتبعها ، فضربها فأخطأها ، ودخلت الحجر ، ووقعت الفأس فوق جحرها فأثرت فيه ، فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار ، فخاف الرجل شرها وندم ، فقال لها : هل لك أن تتواتق ونعود الى ما كنا عليه ؟ فقالت : « كيف اعاودك وهذا أثر فأسك ؟ » ♦

١٥ - حكيم - ؟

لما مات بعض الخلفاء ، اختلفت الروم ، واجتمعت ملوكها ، فقالوا : الآن انشغل المسلمون بعضهم ببعض ، فتمكنا الغرة منهم والوثبة عليهم ، وعقدوا لذلك المشورات ، وتراجعوا فيه بالمناظرات ، وأجمعوا على أنه فرصة الدهر ♦

وكان رجل منهم من ذوى العقل والمعرفة غائباً عنهم ، فقالوا : من الحزم عرض الرأى عليه ، فلما أخبروه بما أجمعوا عليه ، قال : لا أرى ذلك صواباً ، فسألوه عن علة ذلك ، فقال : فى غد اخبركم ♦

فلما أصبحوا أتوا اليه ، وقالوا : قد وعدتنا ان تخبرنا فى هذا اليوم بالرأى فيما عولنا عليه ، فقال : سمعا وطاعة ؟ وأمر باحضار كليين عظيمين ، كان قد أعدهما ، ثم حرش بينهما ، وحرص كل واحد منهما على الآخر ، فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماؤهما •

فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده ، وأرسل على الكليين ذئبا كان قد أعد له ، فلما أبصراه تركا ما كانا فيه ، وتآلفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذئب فقتلاه •

١٦ - أترى الله يعطيك وينسانى ؟

خرج الرشيد الى الحج فلما كان بظاهر الكوفة اذ أبصر بهلولا المجنون على قصبه ، وخلفه الصبيان وهو يعدو ، فقال : من هذا ؟ فقيل له : بهلول المجنون ، فقال : كنت أشتهى أن أراه ، فأدعوه من غير ترديد ، فذهبوا اليه وقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فلم يجب ، فذهب اليه الرشيد ، وقال : السلام عليك يا بهلول ، فقال : عليك السلام يا أمير المؤمنين ، فقال : دعوتك لاشتياقى اليك ، فقال بهلول : لكنى لم أشتق اليك ! فقال الرشيد : عظنى يا بهلول ، فقال : وبم اعظك ؟ هذى قصورهم وهذى قبورهم ! فقال الرشيد : زدنى فقد أحسنت ! فقال : يا أمير المؤمنين من رزقه الله مالا وجمالا ، فعف فى جماله وواسى فى ماله كُتِب فى ديوان الابرار ، فظن الرشيد انه يريد شيئا ، فقال : قد أمرنا لك أن تقضى دينك ، فقال لا ، يا أمير المؤمنين ، لا يقضى الدين بدين ، اردد الحق على أهله ، واقض دين نفسك من نفسك ، قال : فانا قد أمرنا ان يجرى عليك • فقال : يا أمير المؤمنين ، أترى الله يعطيك وينسانى ! ثم ولى هاربا •

١٧ - ذهب الحمار بأم عمرو :

قال الجاحظ : دخلت يوما مدينة ، فوجدت فيها معلما فى هيئة حسنة ، فسلمت عليه ، فرد على أحسن رد ، ورحب بى ، فجلست عنده ،

وباحثته فى القرآن ، فأفاد هو ماهر فيه ، ثم ناقشته الفقه والنحو وأشعار
العرب ، فاذا هو كامل الآداب ، فقلت ! سأختلف اليه وأزوره •

وجئت يوماً لزيارته ، فاذا الباب مغلق ، ولم أجده ، فسألت عنه ،
ف قيل : مات له ميت ، فحزن عليه ، وجلس فى بيته للعزاء •

فذهبت الى بيته ، وطرقت الباب ، فخرجت الى جارية وقالت !
ما تريد ؟ قلت : سيدك • فدخلت وخرجت ، وقالت : باسم الله ، فدخلت
اليه ، واذا به جالس • فقلت عظم الله أجرك ، لقد كان لكم فى رسول الله
اسوة حسنة • كل نفس ذائقة الموت ، فعليك بالصبر •

ثم قلت له : هذا الذى توفى ولدك ؟ قال : لا • قلت : فوالدك ؟ قال :
لا • قلت : فأخوك ؟ قال : لا قلت : فزوجك ؟ قال : لا • فقلت : فمن هو ؟
قال : حبيبتى • فقلت فى نفسى : هذه أولى العجائب • فقلت : سبحان الله
النساء كثير ، وستجد غيرها •

فقال : أتظن أنى رأيتها ؟ قلت : وهذه الثانية • ثم قلت : وكيف
عشقت من لم تر ؟ فقال : اعلم انى كنت جالسا فى هذا المكان ، وأنا أنظر
من الطاق ، اذ رأيت رجلاً عليه برد ، وهو يقول :

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ردى عليّ فؤادى أينما كانا

فقلت فى نفسى : لولا أن أم عمرو هذه ما فى الدنيا أحسن منها ما قيل
فيها هذا الشعر ، فعشقتها •

فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول :

لقد ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت انها ماتت ، فحزنت عليها ، وأغلقت المكتب ، وجلست فى
الدار ! فقلت : يا هذا انى كنت قد الفت كتابا فى نوادر كم معشر المعلمين ،
وكنت حين صاحبك عزمت على تقطيعه ، والآن قد قويت عزمى على اتيانه ،
وأول ما أبدأ بك ان شاء الله •

كان في بغداد رجل اسمه أبو القاسم الطنبورى وكان له مداس ،
لبسه سبع سنين ، وكان كلما تقطع منه موضع جعل مكانه رقعة الى أن صار
في غاية الثقل ، وصار الناس يضربون به المثل •

فاتفق أن دخل يوما سوق الزجاج فقال له أحد السماسرة : يا أبا
القاسم ، قد قدم الينا اليوم تاجر من حلب ، ومعه حمل زجاج مذهب قد
كسد فاشتره منه ، وأنا أبيعك لك بعدئذ فتكسب به المثل مثلين ، فمضى
واشترى بستانين ديناراً •

ثم انه دخل الى سوق العطارين ، فصادفه سمسار آخر وقال له :
يا أبا القاسم قد قدم الينا اليوم من الصين تاجر ومعه ماء ورد ، ولعجلة سفره
يمكن أن تشتريه منه رخيصة ، وأنا أبيعك لك فيما بعد بأقرب مدة ، فتكسب
به المثل مثلين !

فمضى أبو القاسم ، فاشترى أيضا بستانين ديناراً اخرى وملاً به
الزجاج المذهب وحمله ، وجاء به فوضعه على رف من رفوف بيته •
ثم ان أبا القاسم دخل الحمام يغتسل ، فقال له بعض أصدقائه يا أبا
القاسم أستهى أن تغير مداسك هذا ، فانه في غاية الشناعة • وأنت ذو مال
يحمد الله ! فقال له أبو القاسم ، الحق معك ، فالسمع والطاعة •

ثم انه خرج من الحمام ولبس ثيابه ، فرأى بجانب مداسه مداساً
آخر جديداً • فظن ان الناصح في كرمه اشتراه له ، فلبسه ومضى الى
بيته •

وكان المداس الجديد ذلك يعود للمقضى الذى جاء يستحم في ذلك
اليوم الى الحمام • ووضع مداسه هناك ودخل يستحم •

فلما خرج فتش عن مداسه ، فلم يجده فقال : هل من لبس حذائى

لم يترك عوضه شيئاً ؟ ففتشوا ، فلم يجدوا سوى حذاء ابى القاسم فعرفوه .
لانه كان مضرب الامثال •

فأرسل القاضى خدمه ، فكبسوا دار أبى القاسم فوجدوا مداس .
القاضى عنده ، فأحضره القاضى وضربه تأديبا له ، وجبسه مدة ، وغرمه بعض
المال ثم أطلقه أخيرا •

فخرج أبو القاسم من السجن ، وأخذ حذاءه وهو غضبان عليه .
ومضى به الى دجلة • فألقاه فيها • فغطس فى الماء • فأتى بعض الصيادين
ورمى شبكته فى النهر فطلع الحذاء فيها ، فلما رآه الصياد عرفه ، وظن
انه وقع من رجله ، فحمله وأتى به بيت أبى القاسم فلم يجده مفتوحا ،
فنظر فرأى نافذة مفتوحة الى صدر البيت فرماه منها الى داخل البيت •
فسط على الرف الذى عليه الزجاج فكسره وتبدد ماء الورد منه •

فلما جاء أبو القاسم الى الدار ورأى ما حل بالزجاج وماء الورد لطم
وجه ، وصاح وبكى ، وقال : وافقراء ! أفقرنى المداس الملعون •

ثم انه قام ليحضر له فى الليل حفرة ويدفنه فيها ، ويرتاح منه فسمع
الجيران حس الحفر ، فظنوا ان أحدا يثقب عليهم دارهم ، ورفعوا الامر
الى الحاكم ، فأرسل عليه وأحضره وقال له : كيف تستحل أن تثقب على
جيرانك حائطهم ؟ وجبسه ، ثم غرمه بعض المال وأطلقه •

ثم خرج من الحبس ومضى وهو حردان من مداسه وحمله الى
كينف الخان ورماه فيه ، فسد قصبة الكنيف ، ففاض وضجر الناس من
الرائحة الكريهة • وبحثوا عن السيب ، فوجدوا مداسا فأملوه فاذا هو
مداس أبى القاسم - فحملوه الى الوالى ، وأخبروه بما وقع ، فأحضره
الوالى ووبخه وجبسه وقال : عليك تصليح الكنيف فغرمه مبالغاً من المال .
لاصلاح الكنيف وأخذ منه مثل ذلك المال تأديبا له . وأطلق سراحه •

فخرج أبو القاسم والمداس معه ، وقال - وهو مقتاظ منه - والله
ما عدت افارق هذا المداس •

ثم انه غسله وجعله على سطح بيته حتى يجف ، فرآه كلب فظنه
رمة مخملة ، وعبر به الى سطح آخر ، فسقط من الكلب على رأس رجل
قاله وجرحه جرحا بليغا ، فنظروا وقتشوا لمن المداس ، فعرفوا انه لابني
القاسم ، فرفعوا الامر الى الحاكم ، فألزمه بالعرض والانفاق على المجروح
مدة مرضه ، فنفد عند ذلك جميع ما كان عنده من المال ولم يبق عنده شيء •
ثم ان أبا القاسم أخذ المداس ومضى به الى الحاكم وقال له : اريد من
مولانا القاضي أن يكتب بيني وبين هذا المداس مباراة شرعية على انه ليس
منى ولست منه ، وان كلامنا برىء من صاحبه وانه مهما يفعل هذا المداس
لا أوأخذ أنا به ، وأخبره بجميع ما جرى منه عليه ، فضحك الحاكم
وأكرمه ومضى •

عاشراً : الاباء والشمم

الاباء صفة عربية اصيلة نجدها واضحة عند العرب الذين لم يختلطوا
بغيرهم بارزة في حياتهم العامة وفي معاملاتهم مع الناس في تصرفاتهم في
أقوالهم وبأفعالهم وهم يتغنون بالاباء دوما وينددون بالضميم متمثلين بقول
الشاعر :

ولا يقيم على ضيم يراد به الا الاذلان عير الحى والوتد

هذا على الحسف مربوط برمته وذا يشح فلا يبكى له أحد

وهذه بعض مواقف الاباء والشمم قارئى الكريم :

١ - أبى الذل :

قال عمرو بن هند صاحب الحيرة يوما لجلسائه هل تعلمون أحدا

من الناس تأنف امه أن تستخدم امي ؟ قالوا : نعم كثيرون ومنهم عمرو بن
كلثوم التغلبي ، فان امه ليلي بنت مهلهل ابن ربيعة وعمها كليب وائل
وزوجها كلثوم ، فسكت عمرو بن هند على ما في نفسه وبعث الى عمرو بن
كلثوم يستزيره ويطلب اليه أن تزور امه ليلي امه هند ابنة الحارث •

فقدم عمرو بن كلثوم في فرسان من بني تغلب ومعه امه ليلي فنزل
على شاطيء الفرات ، وبلغ عمرو بن هند قدومه ، فأمر فضربت خيام بين
الحيرة والفرات ، وأرسل الى وجوه مملكته ، وصنع لهم طعاما ثم دعا الناس
اليه ، فقرب اليهم الطعام على باب السرادق • وجلس هو وعمر بن كلثوم
وخواص أصحابه في السرادق ، ويلي أم عمرو ابن كلثوم مع هند في
القبة ، وقال ابن هند لامه ، اذا فرغ الناس من الطعام ، ولم يبق الا فضلات
الطعام فنحى خدمك عنك واستخدمى ليلي • ومريها لتناولك بعض الاشياء
تباعا • ففعلت هند ، بما أمرها - ابنها ، فقالت هند لليلى : ناوليني الطبق
قالت ليلي : لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها ! فألحفت عليها فقالت ليلي :
واذلاء يا آل تغلب ، فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم وثار الدم في وجهه ،
فعرف ابن هند الشر في عينيه ، وقام ابن كلثوم الى سيف ابن هند وهو
معلق بالسرادق وليس هناك سيف غيره فأخذه وضرب به رأس عمرو بن
هند فقتله وخرج ونادى يا آل تغلب ، فانتهبوا ماله وخيله وسبوا النساء
وساروا حتى لحقوا بالحيرة وقال بذلك قصيدته المشهورة وهي احدى
المعلقات :

وقد علم القبائل من معد	اذا قبب بأبطحها بنيينا
بأنا المطعمون اذا قدرنا	وانا المهلكون اذا ابتلينا
وانا المانعون لما أردنا	وانا النازلون بحيث شئنا
وانا التاركون اذا سخطنا	وانا الآخذون اذا رضينا
ونشرب ان أردنا الماء صفوا	ويشرب غيرنا كدرا وطينا

أينا أن نقر الذل فينا إذا ما الملك سام الناس خسفا
 ونبطش حين نبطش قادرينا لنا الدنيا ومن أمسى عليها
 ونحن البحر نملؤه سفينا ملأنا البر حتى ضاق عنا
 تخر له الجبابر ساجدينا إذا بلغ الفطام لنا صبي
 متى كنا لامك خادمينا تهددنا وتوعدنا رويدا

٢ - بمن استجير من جورك ؟

جلس معاوية بن أبي سفيان في مجلس كان له بدمشق ، وكان ذلك
 الموضوع مفتوح الجوانب يدخل منه النسيم فينما هو جالس ينظر الى بعض
 الجهات في يوم شديد الحر ، وقد اشتد نفع الهجير ، اذا نظر الى رجل
 يمشى نحوه وهو يتلظى بالنار من حر التراب ، ويحجل في مشيته حافيا ،
 فتأمله معاوية وقال لجلسائه ، هل خلق الله أشقى ممن يحتاج الى الحركة
 في هذه الساعة ؟ فقال بعضهم : لعله يقصد أمير المؤمنين ، فقال : والله لئن
 كان قاصدي سائلا لاعطينه ، أو مستجيرا لاجيرنه ، أو مظلوما لانصرنه ♦♦♦
 يا غلام قف بالباب فان طلبني هذا الاعرابي فلا تمنعه عليّ ♦

فخرج الغلام فوافي الاعرابي وقال : ما تريد ؟ قال : أمير المؤمنين ♦
 قال ادخل وسلم على معاوية ♦ فدخل وسلم فقال معاوية له : ممن الرجل ؟
 قال : من تميم ، قال : ما الذي جاء بك في مثل هذا الوقت ؟ قال : جئتك
 مشتكيا وبك مستجيرا ♦ قال ممن ؟ قال : من مروان بن الحكم ، عاملك ،
 ثم أنشد هذه الايات :

معاوي ، ياذا الفضل والحلم والعقل وذا البر والاحسان والجود والبذل
 أتيتك لما ضاق في الارض مذهبي وأنكرت مما قد أصبت به عقلي
 ففرج - كلاك الله - عني فأنى لقيت الذي لم يلقه أحد قبلي
 وخذلي - هداك الله - حقى من الذي رمانى بسهم كان أيسره قتلي

وكنت أرجى عدله ان أتيته فأكثر ترداي مع الحبس والكلب
سباني سعدى وانبرى لخصومتي وجار ولم يعدل وغاصبني أهلي
فطلقتها من جهد ما قد أصابني فهذا ، أمير المؤمنين من العدل ؟

فلما سمع معاوية انشاده والنار تتوقد من فيه قال : مهلا يا أخا
العرب ، اذكر قصتك وافصح عن أمرك •

قال : يا أمير المؤمنين ، كانت لي زوجة ، وهي ابنة عمي وكنت لها
محباً وبها مولها ، وكنت بقربها قرير العين ، طيب العيش وكانت لي قطعة
من الابل استعين بها على قيام حالي واصلاح أودي فأصابتنا سنة ذات قحط
شديد أذهبت الحنف والضلف وبقيت لا أملك شيئاً ، فلما قل ما بيدي ،
وذهب حالي ومالي ، بقيت مهاناً ثقيلاً على وجه الارض ، أبعدي من كان
يشتهي قربي ، وازورّ عني من كان يرغب في زيارتي •

فلما علم أبوها ما بي من سوء الحال وشر المآل أخذها مني وسألني
الفراق وجحدني وأغلظ عليّ ، فأتيت عاملك مروان بن الحكم مستصرخاً
وبه راجياً ينصرني ، فأحضر أباهاً وسأله عن حالي فقال : ما أعرفه قبل
اليوم ، فقلت : أصلح الله الامير ! ان رأى ان يحضرها ويسألها عن قول
أبيها فيفعل •

فبعث اليها مروان وأحضرها مجلسه فلما وقفت بين يديه وقعت منه
موقع القبول والاعجاب ، فصار لي خصماً وعليّ منكرات وانتهرني وأظهر لي
الغضب وبعث بي الى السجن ، فبقيت كأنما خررت من السماء أو هوت بي
الرياح في مكان سحيق •

ثم قال لابيها : هل لك أن تزوجها مني على الف دينار وعشرة آلاف
درهم لك ؟ وأنا ضامن لك خلاصها من هذا الاعرابي • فرغب أبوها في
البذل وأجابته لذلك •

فلما كان من الغد بعث اليّ وأخرجني من السجن ، وأوقفني بين يديه ونظر اليّ كالاسد الغضبان ، وقال : يا أعرابي طلق سعدى ، فقلت : لا أقدر على هذا ، فسلط عليّ جماعة من غلمانه ، فأخذوا يعذبونني بأنواع العذاب ، فلم أجد بدا من ذلك ففعلت ، ثم عادوا بي الى السجن ، فمكثت فيه الى أن انقضت عدتها ، فتروجها ودخل بها • وقد أتيتك ملتجئاً ثم أنشد يقول :

في القلب منى نار	والنار منها استعار
والجسم منى سقيم	واللون فيه اصفرار
وفي فؤادي جمر	والجمر فيه شرار
والعين تبكي بشجو	فدمعها مدرار
والحب داء عسير	فيه الطيب يحار
حملت منه عظيما	فما عليه اصطبار
فليس ليلى ليل	ولا نهاري نهار

ثم اضطرب وخر مغشيا عليه وأخذ يتلوى كالحية المقتولة فلما سمع كلامه وانشاده قال : تعدى فظلم مروان بن الحكم في حدود الدين ، واجترأ على حرم المسلمين ثم قال : والله يا أعرابي ، لقد أتيتني بحديث لم أسمع بمثله قط ثم دعى بدواة وقرطاس ، وكتب الى مروان بن الحكم : قد بلغني انك اعتديت على رعيتك وانتهكت حرمة من حرم المسلمين ، وتعديت حدود الدين وينبغي لمن كان واليا أن يفض بصره عن شهواته ، ويزجر نفسه عن لذاته ، وكتب في آخره الايات التالية :

ركبت أمرا عظيما لست أعرفه	استغفر الله من جور امرئ زانٍ
قد كنت تشبه صوفيا له كتب	من الفرائض أو آيات فرقان
حتى أتاني الفتى العذرى منتحبا	يشكو اليّ بحق غير بهتان

أعطي الاله عهدا لا أخيس بها أو لا فبرئت من دين وايمان
ان أنت راجعتي فيما كتبت به لاجلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد ، وعجلها مجهزة مع الكميت ومع نصر بن ذبيان
فما سمعت كما بلغت من عجب ولا فعالك حقا فعل انسان

ثم طوى الكتاب وختمه واستدعى الكميت ونصر بن ذبيان وكان
يستنهضهما فى قضاء الحوائج لاماتهما فأخذاه وسارا حتى قدما المدينة ،
ودخلا على مروان وسلما اليه الكتاب ، ففضه وقرأه ، ثم ارتعدت فرائضه ،
فطلقها فى الحال وبعث بها الى أمير المؤمنين ، وكتب الى معاوية كتابا
جاء فيه : -

فلما قرأ الكتاب معاوية قال : لقد أحسن فى الطاعة وأظن
فى المديح :

ولما رأى معاوية الجارية رأى صورة لم ير مثلها فى الحسن والقد
والجمال وخطبها فوجدها أفصح النساء بعدوبة منطق ، ثم قال : عليّ
بالاعرابى فأوتى به اليه وهو على غاية من سوء الحال ، فقال له : يا أعرابى ،
هل لك عنها من سلوى ؟ وأعوضك ثلاث جوار أبكار مع كل جارية الف
دينار وأعطيك فى كل سنة ما يكفيك ويعينك على صحبتين •

فلما سمع الاعرابى كلام معاوية شهق شهقة ظن معاوية انه قد
مات ، ولما أفاق قال له : ما بالك ؟ فقال : شر بال وأسوأ حال استجرت
بعدلك من جور ابن الحكم ، فبمن استجير من جورك ثم أنشد فقال :

لا تجعلنى والامثال تضرب بى كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعادا على حيران مكتئب يمسى ويصبح فى هم وتذكار
قد شفه قلق ما مثله قلق وأسعر القلب منى أى اسعار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها وأصبح القلب عنها غير صبار

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، لو أعطيتني ما حوته الخلافة ما قبلته دون

سعدى ♦

فقال معاوية : يا أعرابي ، انك مقر انك طلقها ، ومروان مقر انه
طلقها ونحن نخيرها فان اختارت سواك زوجناه بها وان اختارتك رجعنا
بها اليك ، قال : افعل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ♦

ودعاها معاوية وقال لها : ما تقولين يا سعدى ؟ أى أحب اليك ؟
أمير المؤمنين فى عزه وشرفه وسلطانه وقصوره وما تصيرين عنده ، أو
مروان بن الحكم فى عسفه وجوره ، أو هذا الاعرابى مع جوعه وفقيره
وسوء حاله ؟ فأنشدت هذين البيتين :

هذا وان كان فى فقر واضرار أعز عندى من قومى ومن جارى
وصاحب التاج أو مروان عامله وكل ذى درهم عندى ودينار
ثم قالت : والله يا أمير المؤمنين ، ما أنا بخاذلته لحوادث الزمان ،
ولا لعشرات الايام ، وان لى معه لصحبة قديمة لا تنسى ، ومحبة لا تبلى ،
وأنا أحق من صبر معه على الضراء كما تتعمت معه فى السراء ♦

فتعجب معاوية من عقلها ومرؤتها ، وأمر لها بعشرة آلاف درهم
وللأعرابى بمثلها وردھا اليه بعقد جديد ، فأخذھا الاعرابى ♦ وانصرف
يقول :

خلوا عن الطريق للأعرابى ألم ترقوا ويحكم مما بى

٣ - تنصرت الاشواف من عار لظمة :

روى أن جبلة بن الايهم بن أبى شمر الغسانى لما أراد أن يسلم ،
كتب الى عمر بن الخطاب من الشام يعلمه بذلك ، ويستأذنه فى القdom
عليه ، فسر بذلك عمر والمسلمون ، فكتب اليه : أن أقدم ولك ما لنا ،
وعليك ما علينا ♦

فخرج جبلة في خمسمائة فارس من عك وجفنة ، فلما دنا من المدينة
«البسهم ثياب الوش المنسوج بالذهب والفضة ، ولبس يومئذ جبلة تاجه
وفيه قرطامارية ، وهي جدته ودخل المدينة ، فلم يبق بها بكر ولا عانس
الاخرجت تنظر اليه والى زيه ، فلما انتهى الى عمر رحب به ولطفه وأدنى
مجلسه ! ثم أراد الحج ، فخرج معه جبلة •

فبينما هو يطوف بالبيت اذ وطأ ازاره رجل من بنى فزارة ، فالتفت
اليه جبلة مغضبا ورفع يده فهشم أنفه ، فاشتكى عليه الفزاري عند عمر
ابن الخطاب ، فبعث اليه ، فقال : ما دعاك يا جبلة الى أن لطمت أخاك
هكذا الفزاري ، فهشمت أنفه ، فقال : انه وطأ أزارى فحله ، فلولا حرمة
البيت لضربت الذي في عينيه • فقال له عمر : أما أنت فقد أقررت ، فأما
أن ترضيه ، والا اقدته منك ، قال : اتقده منى وأنا ملك وهو سوقة !!

قال عمر يا جبلة ، انه قد جمعك واياه الاسلام ، فما تفضله بشيء الا
بالتقى والعافية ! قال جبلة : والله لقد رجوت أن أكون في الاسلام أعز منى
في الجاهلية •

قال عمر : دع عنك هذا فانك ان لم ترض الرجل اقدته منك !
قال جبلة : اذن أنتصر ! قال : ان تنصرت ضربت عنقك ! واجتمع قوم
جبلة وبنو فزارة فكادت تكون فتنة ، فقال جبلة : أخرنى الى غد
يا أمير المؤمنين •

ولما جنح الليل خرج جبلة وأصحابه من مكة ، وسار حتى دخل
القسطنطينية على هرقل فتصر ، وأقام عنده وأعظم هرقل قدوم جبلة ،
ووسر بذلك واقطعه الاموال والأرضين وجعله من محدثيه وسماره •

فلما بعث عمر بن الخطاب رسولا الى هرقل يدعوه الى الاسلام ،
وأجابه الى المصالحة على غير الاسلام ، أراد أن يكتب جواب عمر ، وقال

لرسول : اتبعت ابن عمك هذا الذي بلدنا - يعنى جبلة - الذى أتانا
راغباً فى ديننا ؟ قال ما اتبعته ، قال : القه ثم ائتني أعطك جواب كتابك •

وذهب الرسول الى باب جبلة ، فاذا عليه من القهارة والحجاب
والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل • قال الرسول : فلم أزل
أتلطف الاذن حتى أذن لى ، فدخلت عليه ، فرأيت رجلاً أصهب اللحية
ذا سبائك ، وكان عهدى به أسمر أسود اللحية والرأس ، فنظرت اليه
فأنكرته ، فاذا هو قد أتى بسحالة الذهب ، فذرهما فى لحيته حتى عاد
أصهب ، وهو قاعد على سرير من قوارير قوائمه أربعة أسود من ذهب •

فلما عرفنى رفعتنى معه فى السرير ، ورحب بى والطفنى ، ولأمنى على
تركى النزول عنده ، ثم جعل يسألنى عن المسلمين ، فذكرت خيراً ،
وقلت : قد اضعفوا اضعافاً على ما تعرف ، فقال : كيف تركت عمر بن
الخطاب ؟ قلت : بخير ، فرأيت الغم قد تبين فيه لما ذكرت له من سلامة
عمر • قال : ثم انحدرت عن السرير ، فقال لم تأبى الكرامة التى أكرمناك
بها ؟ قلت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا ، قال : نعم
صلى الله عليه وسلم ، ولكن نق قلبك من الدنس ولا تبال علام قعدت •
فلما سمعته يقول : صلى الله عليه وسلم طمعت فيه ، فقلت له : ويحك !
يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله ! قال : أبعدما كان منى ؟
قلت : نعم ، قد فعل رجل من فزارة أكثر مما فعلت : ارتد عن الاسلام ،
و ضرب وجوه المسلمين بالسيف ، ثم رجع الى الاسلام ، وقبيل ذلك منه ،
وخلفته بالمدينة مسلماً • قال : ذرنى من هذا ، ان كنت تضمن لى أن
يزوجنى عمر ابنته ، ويولينى الامر بعده رجعت الى الاسلام ، قال : ضمننت
لك التزويج ولم أضمن لك الامر •

قال : فأوماً الى خادم بين يديه ، فذهب مسرعاً ، فاذا خدم قد جاءوا

يحملون الصناديق فيها الطعام ، فوضعت ونصبت مواثد الذهب وصحاف
الفضة ، وقال لى : كل ، فقبضت يدي وقلت : ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهى عن الاكل فى آنية الذهب والفضة ، فقال : نعم ، صلى الله عليه
وسلم ، ولكن نق قلبك وكل فيما أحببت . قال : فأكل فى الذهب والفضة
وأكلت فى غيرها •

فلما رفع الطعام جىء بكأس الفضة وأباريق الذهب ، وأوماً الى
خادم بين يديه ، فمر مسرعاً ، فسمعت حساً ، فالتفت ، فاذا خدام معهن
الكراسى مرصعة بالجواهر ، فوضعت عشرة عن يمينه ، وعشرة عن يساره
ثم سمعت حساً ، فاذا عشر جوار قد أقبلن مطمومات الشعر ، متكسرات
فى الحلى ، عليهن ثياب الديباج ، فلم أر وجوها قط أحسن منهن ،
فأقعدهن على الكراسى عن يمينه ، ثم سمعت حساً ، فاذا عشر جوار اخرى
فأجلسهن على الكراسى عن يساره ، ثم سمعت حساً فاذا جارية كأنها
الشمس حسناً وعلى رأسها تاج ، وعلى ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه ،
وفى يدها اليمنى زجاجة فيها مسك وعنبر ، وفى يدها اليسرى زجاجة
فيها ماء ورد فأومأت الى الطائر ، فوقع فى زجاجة ماء الورد فاضطرب فيه ،
ثم أومأت اليه فطار حتى نزل على صليب فى تاج جبلة ، فلم يزل يرفرف
حتى نفص ما فى ريشه عليه ، وضحك جبلة من شدة السرور ، حتى
بدت أنيابه ، ثم التفت الى الجوارى اللواتى عن يمينه ، فقال بالله أطربننا ،
فاندفعن يتغنين يخفقن بعيدانهن ويقلن :

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلَّق فى الزمان الاول •

فضحك حتى بدت نواجده ، ثم قال : أتدرى من قال هذا ؟ قلت :
لا ، قال : قائله حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ثم التفت الى الجوارى اللاتى عن يساره ، فقال ، بالله ابكيننا ، فاندفعن
يتغنين ، وهن يخفقن بعيدانهن •

فبكى حتى جعلت الدموع تسيل على خديه ، ثم قال : أتدرى من
قائل هذا الذى يغبنيه ؟ قلت لا أدرى ، قال : حسان بن ثابت ، ثم أنشأ
يقول :

تصرت الاشراف من عار لظمة وما كان فيها - لو صبرت لها - ضرر
تكفى فيها لجأج ونخوة وبعث لها العين الصحيحة بالعود
فيا ليت امى لم تلدنى وليتنى رجعت الى الامر الذى قال لى عمر
ويا ليتنى أرعى المخاض بقفرة وكنت أسيرا فى ربيعة أو مضر
ويا ليت لى بالشام أدنى معيشة اجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ثم سألتى عن حسان : أحي هو ؟ قلت : نعم ، تركته حيا ، فأمر لى
بكسوة ومال ، وبنوق موقرة ، ثم قال لى : ان وجدته حيا فادفع اليه الهدية
واقراء سلامى ، وان وجدته ميتا فادفعها الى أهله ، وانحر الجمال على
قبره .

قال : فلما قدمت على عمر أخبرته خبر جبلة ، وما دعوته اليه من
الاسلام ، والشرط الذى شرطه ، وانى ضمننت له التزويج ، ولم أضمن
له الامر ، فقال : هلا ضمننت له الامر ، فاذا أفاء الله به الى الاسلام قضى
عليه بحكمه عز وجل ! ثم ذكرت له الهدية التى أهداها الى حسان بن
ثابت ، فبعث اليه ، وقد كف بصره فأتى وقائد يقوده ، فلما دخل ، قال :
يا أمير المؤمنين ، انى لاجد رياح آل جفنة عندك . قال : نعم ، هذا رجل
أقبل من عند جبلة ، قال : هات يا بن أخى انه كريم من كرام مدحتهم فى
الجاهلية ، فحلف ألا يلقي أحدا يعرفنى الا أهدى اليّ معه شيئا ، فدفعت
اليه الهدية ، المال والياب ، وأخبرته بما كان أمر به فى الابل ان وجد
ميتا ، فقال : وددت ان كنت ميتا فنحرت على قبرى ، وانصرف يقول :

ان ابن جفنة من بقية معشر لم يغذهم آبائهم باللوم
لم ينسنى بالشام اذ هو ربها ملكا ولا مستنصرا بالروم

يعطى الجزيل ولا يراه عنده الا كبعض عطية المذموم
فقال له رجل في مجلس عمر : أتذكر ملوكا كفروا وأبادهم الله
وأفناهم ؟ قال : ممن الرجل ؟ قال : مزى ، قال : والله لو لا سوابق قدمك
رسول الله صلى الله عليه وسلم لطوقتك طوق الحمامة •

قال : ثم جهزني عمر الى قيصر ، وأمرني أن أضمن لجلبة ما اشترط
به ، فلما قدمت القسطنطينية ، وجدت الناس منصرفين من جنازته •

الحادي عشر - الدهاء والسياسة

والسياسة هي الاخرى صفة عربية أصيلة برع بها دهاة العرب في
جاهليتهم وبعد اسلامهم وهاك شيئا عنها •

١ - الحجاج والغضبان بن القبعثرى :

سأل الحجاج يوما الغضبان بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه فيها ،
فقال له : من أكرم الناس ؟ قال : أفقههم في الدين ، وأصدقهم لليمين ،
وأبذلهم للمسلمين ، وأعزهم للمهانين ، وأطعمهم للمساكين •

قال : فمن أأم الناس ؟ قال : المعطى على الهوان والمقتر على
الاخوان والكثير الالوان •

قال : فمن أشر الناس ؟ قال : أطولهم جفوة ، وأدومهم جبوة ،
وأكثرهم خلوة ، وأشدهم قسوة •

قال : فمن أشجع الناس ؟ قال : أضربهم في السيف وأقراهم
للضيف ، وأترکہم للحييف •

قال : فمن أجبن الناس ؟ قال : المتأخر عن الصفوف المنقبض عن
الزحوف ، المرتعش عند الوقوف ، المحب لظلام السقوف ، الكاره لضرب
السيوف •

قال : فمن أثقل الناس ؟ قال : المتفنن في الملام ، الضنين بالسلام ،
المهذار في الكلام ، المتعنف على الطعام •

قال : فمن خير الناس ؟ قال : أكثرهم احسانا ، وأقومهم ميزانا ،
وأدومهم غفرانا ، وأوسعهم ميدانا •

قال : لله أبوك ! فكيف يعرف الرجل الغريب ، أحسب هو أم غير
حسب ؟ قال : أصلح الله الامير ، ان الرجل الحسب يدلك أدبه وعقله ،
وشمائله وعزة نفسه ، وكثرة احتماله ، وبشاشته ، وحسن مداراته على
أصله ، فالعاقل البصير بالاحساب يعرف بشمائله ، والنذل الجاهل يعرف
بجهله ، فمثلته كمثل الدرة ، اذا وقعت عند من لا يعرفها ازدرها ، واذا
نظر اليها العقلاء عرفوها وأكرموها ، فهي عندهم لمعرفة بها حسنة
نفسية •

فقال الحجاج : لله أبوك ! فما العاقل ؟ وما الجاهل ؟ قال : أصلح
الله الامير العاقل الذي لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ، ولا يضمر غدرا ،
ولا يطلب عذرا ، والجاهل هو المهذار في كلامه ، المنان بطعامه ، الضنين
بسلامه ، المتناول على امامه ، الفاحش على غلامه •

قال : لله أبوك ، فما الحازم الكيس ؟ قال : المقبل على شأنه ،
التارك لما لا يعنيه •

قال فما العاجز ؟ قال : المعجب بأرائه ، الملتفت الى ورائه •

قال : هل عندك في النساء علم ؟ قال : امهات الاولاد بمنزلة الاضلاع ان
عدلتها انكسرت ، ولهن جوهر لا يصلح الا على المداراة ، فمن دارهن
انتفع بهن ، وقرت عينه ، ومن شاورهن كدرت عيشه ، وتكدرت عليه
حياته ، وتتغصت لذاته ، فأكرمهن أعفهن ، وأفخر أحسابهن العفة ،
فاذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة •

فقال له الحجاج : يا غضبان ان ذهبت الى ابن الاشعث وافدا ، فماذا
أنت قائل له ؟ قال : أصلح الله الامير ، أقول ما يرديه ويؤذيه ويضنيه !
فقال : اني أظنك لا تقول له ما قلت ، وكأنني بصوتك يجعل في قصري

هذا ! قال : كلا ، أصلح الله الأمير ، سأحدد له لساني ، وأجريه في ميداني •

فعند ذلك أمره بالمسير الى كرمان ، فلما توجه الى ابن الاشعث ، بعث الحجاج عينا عليه - وكان يفعل ذلك مع جميع رسله -

فلما قدم الغضبان على ابن الاشعث ، قال له : ان الحجاج قد همّ بخلعك وعزلك ، فخذ حذرك ، وتغذى به قبل أن يتعشى بك ! فأخذ حذره عند ذلك •

ثم أمر للغضبان بجائزة سنية ، وخلع فاخرة ، فأخذها وانصرف راجعا •

فأتى الى رملة كرمان في شدة الحر والقيظ - وهي رملة شديدة الرمضاء - فضرب قبه فيها ، وحط رحاله ، فينما هو كذلك اذا بأعرابي من بني بكر ابن وائل ، قد أقبل على بعير ، قاصدا نحوه ، وقد اشتد الحر ، وحimit الغزاة وقت الظهيرة ، وقد ظمأ ظمأ شديدا ، فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقال الغضبان : هذه سنة وردها فريضة ، قد فاز قائلها ، وخسر تاركها ، ما حاجتك يا أعرابي ؟ فقال : أصابيتي الرمضاء ، وشدة الحر والظمأ فتممت قبتي أرجو بركتها •

قال الغضبان : فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم ؟

قال : آيتهن تعني ؟ قال : قبة الامير ابن الاشعث ! قال : تلك لا يوصل اليها ! قال : ان هذه أمنع منها ! فقال الاعرابي ما اسمك يا عبدالله ؟ قال : آخذ ، فقال : وما تعطى ؟ قال : أكره أن يكون لي اسمان !

قال : بالله من أين أنت ؟ قال : من الارض • قال : فأين تريد ؟ قال : أمشي في مناكبها ، فقال الاعرابي - وهو يرفع رجلا ويضع اخرى من شدة الحر اتقرض الشعر ؟ قال : انما تقرض الفأر ؟ فقال : أتسجع قال : انما تسجع الحمامة فقال : يا هذا ائذن لي أن أدخل قبتيك ، قال :

خلفك أوسع لك ، فقال : قد أحرقتني حر الشمس ! قال : مالي عليها
من سلطان ، فقال : اني لا اريد طعامك • ولا شرابك ، قال : لا تتعرض
لما لا تصل اليه ولو تلفت روحك •

فقال الاعرابي : سبحان الله ! قال : نعم من قبل أن تطلع أضراسك ،
فقال : ما عندك غير هذا ؟ قال : بلى ، هراوة أضرب بها رأسك : فاستغاث
الاعرابي ، يا جار بني كعب •

قال الغضبان : بسّ الشيخ أنت ! فو الله ما ظلمت أحد فنتستغيث •
فقال الاعرابي : ما رأيت رجلاً أفسى منك • أتيتك مستغيثاً فطردتني ،
هلا أدخلتني قيتك وطارحتني القريض ؟ • قال : مالي بمحادثتك من حاجة!
فقال الاعرابي : يا لله ما اسمك ؟ ومن أنت ؟ فقال : أنا الغضبان بن
القبحشري ، قال : اسمان منكرا ، خلقا من غضب • قال قف متوكأ على
باب قبتي برجلك هذه العوجاء فقال : قطعها الله ان لم تكن خيراً من رجلك
هذه الشنعاء •

قال الغضبان : لو كنت حاكماً لجرت في حكومتك ! لان رجلي في
الظل قاعدة ورجلك في الرمضاء قائمة •

فقال الاعرابي : اني لاظن عنصرك فاسدا ، قال : ما أقدرني على
اصلاحه ، فقال الاعرابي : لا أرضاك الله ولا حياك ، ثم ولى وهو يقول :
لا بارك الله في قوم تسودهم اني أظنك - والرحمن - شيطانا
أتيت قبته أرجو ضيافته فأظهر الشيخ ذو القرنين حرمانا
فلما قدم الغضبان على الحجاج - وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه
وبين ابن الاشعث وبين الاعرابي - قال له الحجاج : يا غضبان كيف
وجدت أرض كرمان ؟ قال : أصلح الامير ، أرض يابسة ، الناس بها ضعاف ،
ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا •

فقال له الحجاج : ألسنت صاحب الكلمة التي بلغني أنك قلتها لابن

الاشعث ! تغدّ بالحجاج قبل أن يتعشى بك ؟ فوالله لاحتسبك عن الوساد ،
ولانزلنك عن الجياد ، ولاشهرنك في البلاد !

قال : الامان أيها الامير ، فوالله ما ضرت من قيلت فيه ، ولا نفعت
من قيلت له !

ألم أقل لك : كأني بصوتك يججلجل في قصرى هذا ! اذهبوا به
الى السجن •

فذهبوا به ، فقيد وسجن ، فمكث ما شاء الله •

ثم ان الحجاج ابنتى الخضراء بواسط ، فأعجب بها ، فقال لمن حوله :
كيف ترون قبتي هذه وبنائها فقالوا : أيها الامير انها حصينة مباركة ، منيعة-
نصرة بهيجة ، قليل عيبها ، كثير خيرها ، قال : لمّ لمّ تخبرونى بنصح ؟
قالوا : لا يصفها لك الا الغضبان •

فبعث الى الغضبان فأحضره ، وقال له : كيف ترى قبتي هذه وبنائها؟
قال : أصلح الله الامير ، بنيتها في غير بلدك ، لا لك ، ولا لولدك ، لا تدوم
لك ، ولا يسكنها وارثك ، ولا تبقى لك ، وما أنت لها باق !

فقال الحجاج : قد صدق الغضبان ، ردوه الى السجن •

فلما حملوه قال : « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين »
فقال : انزلوه ، فلما انزلوه قال : « ربى انزلنى منزلا مباركا وأنت خير
المنزلين » • فقال اضربوا به الارض ، قلمما ضربوا
به الارض قال : « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى »

فقال : جرّوه ، فأقبلوا يجرّونه ، وهو يقول : « بسم الله مجراها

ومرساها ان ربى لغفور رحيم » •

فقال الحجاج ويلكم ! اتركوه فقد غلبنى دهاءٍ وخبثا • ثم عفا عنه-

وأنعم عليه ، وخلقى سبيله •

٢ - حديث السقيفة :

قال أبو حيان على بن محمد التوحيدى البغدادي : سمرنا ليلة عند القاضي أبي حامد أحمد بن بشر المروزي ببغداد ، فتصرف في الحديث كل متصرف ، وكان غزير الرواية ، لطيف الدراية ، فجرى حديث السقيفة ، فركب كل مركبا وقال قولا •

فقال : هل فيكم من يحفظ رسالة لابي بكر الصديق ، رضى الله عنه ، الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وجواب علي عنها ، ومبايعته اياه عقب تلك المناظرة ؟ فقال الجماعة : لا والله ، فقال : هي والله من بنات الحقائق ، ومخبات الصنادق ، ومنذ حفظتها ما رويتها الا لابي محمد المهلبى فى وزارته ، فكتبها عنى بيده وقال : لا أعرف رسالة أعقل منها ولا أبين ، وانها لتدل على علم وحلم ، وفصاحة ونباحة وبعد غور ، وشدة غوص •

فقال له العبادانى : أيها القاضي ، فلو أتممت المنة علينا بروايتها ؟ اسمعنا اياها فنحن أوعى لك من المهلبى ، وأوجب ذماما عليك فاندفع وقال : حدثنا عيسى بن دأب ، قال : سمعت مولاى أبا عبيدة يقول : لما استقامت الخلافة لابي بكر رضى الله عنه بين المهاجرين والانصار ، بعد فتنة كان الشيطان بها ، فدفع الله شرها ، ويسر خيرها ، بلغ أبا بكر عن على تلكؤ وشماس ، وتهمم ونفاس ، فكره أن يتماذى الحال فتبدو العورة ، وتشتعل الجمره ، وتتفرق ذات اليمين ، فدعانى بحضرته فى خلوه ، وكان عنده عمر بن الخطاب ، رضى الله عنهما ، وحده ، فقال : يا أبا عبيدة ما أيمن ناحيتك ؟ وأبين الخير بين عينيك ! طالما أعز الله بك الاسلام ، وأصلح شأنه على يديك ، ولقد كنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمكان المحوط ، والمحل المغبوط ، ولقد قال فيك فى يوم مشهود : « لكل امة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة » ولم تزل للدين ملتجأ ،

ولمؤمنين مرتجى ، ولأهلك ركنا ، ولأخوانك رداء .

قد أردتك لامر خطره مخوف ، واصلاحه من أعظم المعروف ،
ولئن لم يندمل جرحه بيسارك ورفقك ، وقع اليأس ، وأعضل البأس ،
واحتيج بعد ذلك الى ما هو أمر فيه وأعلق ، وأعسر منه وأعلق ، والله
أسأل تمامه بك ، ونظامه على يديك ، وتأت له أبو عبيدة وتلطف فيه ،
وانصح لله عزوجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولهذه العصابة غير آل
جهدا ولا قال حمدا ، والله كالكئيب وناصرك ، وهاديك ومبصرك ، ان
شاء الله .

امض الى علي ، واخفض له جناحك ، واغضض عنده صوتك ،
واعلم انه سلالة أبي طالب ، ومكانه ممن فقدناه بالامس - صلى الله عليه
وسلم - معلوم ، وقل له : البحر مغرقه ، والبر مفرقه ، والجو أكلف ،
والليل أغدق ، والسلماء جلواء ، والارض صلعاء ، والصعود متعذر ،
والهبوط متعسر ، والحق عطوف رؤوف ، والباطل عتوف عسوف ، والعجب
قداحة الشر ، والضعف رائد البوار ، والتعريض شجار الفتنة ، والقيحة
ثقوب العداوة ، وهذا الشيطان متكئ على شماله ، متحيل يمينه ، نافخ
حزينه لاهله ، ينتظر الشتات والفرقة ، ويدب بين الامة بالشحناء والعداوة ،
عنادا لله عز وجل أولا ، ولآدم ثانيا ، ونبيه - صلى الله عليه وسلم - ودينه
ثالثا ، يوسوس بالفجور ، ويدلى بالغرور ، ويمنى أهل الشرور ، يوحى
الى أوليائه ، زخرف القول غرورا بالباطل ، دأبا له منذ كان على عهد
أبينا آدم ، دعاؤه له منذ أهانه الله تعالى في سالف الدهر ، لا منجى منه الا
بعض الناجذ على الحق ، وغض الطرف عن الباطل ، ووطيء هامة عدو
الله بالاشد فالاشد ، والاكذ فالاكذ ، واسلام النفس لله عز وجل في
ابتغاء رضاه .

ولا بد الآن من قول ينفع اذ قد أضر السكوت وخيف غبه ولقد

أرشدك من أفاء ضالتك ، وصافاك من أحيا مودته بعتابك ، وأراد لك الخير
من أثر البقاء معك •

ما هذا الذى تسول لك نفسك ؟ ويدوى به قلبك ، ويلتوى عليه
رأيتك ، ويتحاوص دونه طرفك ، ويسرى فيه ضعفك ، ويتراد معه نفسك ،
وتكثر معه صعداؤك ، ولا يفيضُ به لسانك ؟ أعجمة بعد افصاح ! أتليس
بعد ايضاح ! أدين غير دين الله ! أخلق غير خلق القرآن ! أهدى غير هدى
النبي صلى الله عليه وسلم ! أمثلى تمشى له الضراء ، وتدب له الخمر !
أم مثلك ينقبض عليه الفضاء ، ويكسف فى عينه القمر ؟ ما هذه القعقة
بالشنان ! وما هذه الوعوعة باللسان •

انك والله جدٌ عارف باستجابتنا لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه
وسلم ، وبخروجنا عن أوطاننا وأموالنا وأحبتنا ، هجرة الى الله عز وجل ،
ونصرة لدينه فى زمان أنت فيه فى كنف الصبا ، وقدر الغرارة وغفوان
الشيبة ، غافل عما يشيب ويريب ، لا تعى ما يراد ويشاد ، ولا تحصل
ما يساق ويقاد ، سوى ما أنت جار عليه الى غايتك التى اليها عدل بك ،
وعندها حط رحلك ، غير مجهول القدر ، ولا مجرود الفضل ، ونحن
فى أثناء ذلك نعانى أحوالا تزيل الرواسى ، ونقاسى أهوالا تشيب النواصي
خائضين غمارها ، راكبين بثارها ، تتجرع صابها ، ونحكُم أساسها ، ونبرم
أمراسها ، والعيون تحدج بالجسد ، والأنوف تعطس بالكبر ، والصدور
تستعر بالغيظ ، والاعناق تتناول بالفخر ، والشفار تشحذ بالمكر ، والارض
تميد بالخوف ، لا تنتظر عند المساء صباحا ، ولا عند الصباح مساء ،
ولا ندفع فى نحر امرىء الا بعد أن نحسو الموت دونه ، ولا نبلغ مرادا الا
بعد الاياس من الحياة عنده ، فادين فى جميع ذلك رسو الله صلى الله عليه
وسلم بالاب والام ، والخال والعم ، والمال والنشب ، والسيد واللبد ،
والهله والبله ، بطيب أنفوس وقررة أعين ، ورحب صدر ، وثبات عزائم ،

وصحة عقول ، وطلاقة أوجه ، وذلاقة ألسن .

هذا مع خفيات أسرار ومكنونات أخبار ، كنت عنها غافلا ، ولولا سنك لم تكن عن شيء فيها ناكلا ، كيف وفؤادك مشهوم ، وعودك معجوم ! والآن قد بلغ الله بك ، وانهض الخير لك ، وجعل مرادك بين يديك ، وعن علم أقول ما تسمع ، فارتقب زمانك ، وقلص أردانك ، ودع التمسع والتحسس لمن لا يضلع لك اذا خطا ، ولا يتزحزح عنك اذا عطا ، فالامر غض " ، والنفوس فيها مض " ، وانك أديم هذه الامة ، فلا تحلم لجاجا ، وسيفها العضب ، فلا تنب اعوجاجا ، وماؤها العذب فلا تحل أجاجا .

والله قد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا الامر ، فقال لي « يا أبا بكر ، وهو لمن يرغب عنه لا لمن يجاحش عليه ، ولمن يتضاءل عنه لا لمن ينفج اليه ، هو لمن يقال هو لك لا لمن يقول هو لي » .

ولقد شاورني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصّهر ، فذكر فتيانا من قريش ، فقلت : أين أنت من علي ! فقال صلى الله عليه وسلم : اني أكره لفاطمة ميعة شبابه ، وحدائثه سنه . فقلت له : متى كنفته يدك ، ورعته عينك ، حفت بهما البركة ، وأسبغت عليهما النعمة ، مع كلام كثير خاطبته به ، رغبة فيك ، وما كنت عرفت منك في ذلك لا حوجاء ولا لوجاء نقلت ما قلت ، وأنا أرى مكاني غيرك ، وأجد رائحة سواك ، وكنت اذ ذاك خيرا لك منك الآن لي .

ولئن كان عرض بك رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الامر ، فلم يكن معرضا عن غيرك ، وان كان قال فيك فما سكت عن سواك ، وأن تلجج في نفسك شيء فهلهم ، فالحكم مرضى ، والصواب مسموع ، والحق مطاع .

ولقد نقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار الله عز وجل ، وهو عن العصابة راضٍ ، وعليها حذب ، يسره ما سرها ، ويسوءه ما ساءها ،

ويكيده ما كادها ، ويرضيه ما أرضاها ، ويسخطه ما أسخطها •
أما تعلم انه لم يدع أحدا من أصحابه وأقاربه ، الا ابانه بفضيلة ،
وخصه بمزية ، وأفرده بحالة ، لو اتفقت الامة عليها لاجلها لكان عنده
ايالتها وكفالتها •

أتظن انه صلى الله عليه وسلم ترك الامة سدى بددا ، عباهل مباهل ،
مفتونة بالباطل ، معنونة عن الحق ، لا رائد ولا زائد ، ولا ضابط ولا حائط ،
ولا ساقى ولا واقى ، ولا هادى ولا حادى ! كلا ! والله ما اشتاق الى ربه ،
ولا سأله المصير الى رضوانه وقربه ، الا بعد أن ضرب المدى ، وأوضح
الهدى ، وأبان الصوى ، وأمن المسالك والمطارح ، وسهل المبارك والمهاجع ،
والا بعد أن شذخ يافوخ الشرك بأذن الله ، وشرم وجه النفاق لوجه الله ،
وجدع أنف الفتنة فى ذات الله ، وتفل فى عين الشيطان بعون الله ، وصدع
بملاء فيه ويده بأمر الله عز وجل •

وبعدُ فهؤلاء المهاجرون والانصار عندك ، ومعك فى بقعة واحدة ،
ودار جامعة ، ان استقالونى لك ، وأشاروا عندى بك ، فأنا واضع يدى فى
يدك ، وصائر الى رأيهم فيك •

وان تكن الاخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، وكن العون على
مصالحهم ، والفتاح لمغالقتهم ، والمرشد لضلالتهم ، والرادع لغوايتهم ، فقد
أمر الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى ، والتناصر على الحق ، ودعنا نقضى
هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغل ، ونلقى الله تعالى بقلوب سليمة
من الضغن •

وبعد فالناس ثمانية فأرفق بهم ، وأحن عليهم ، ولين لهم ، ولا تشق
نفسك بنا خاصة منهم ، واترك ناجم الحقد حصيدا ، وطائر الشر واقعا ،
وباب الفتنة مغلقا ، فلا قال ولا قيل ، ولا لوم ولا تعنيف ، والله تعالى على
ما نقول شهيد ، وبما نحن عليه بصير •

قال أبو عبيدة : فلما تأهبت للنهوض ، قال عمر رضى الله عنه : كن لدى الباب هنيهة ، فلى معك دور من القول ، فوقفت وما أدرى ما كان بعدى ، الا انه لحقنى بوجه يدي تهللا ، وقال لى : قل لعلى : الرقاد محلطة ، والهوى مقحمة ، وما منا الا له مقام معلوم ، وحق مشاع أو مقسوم ، ونبا ظاهر أو مكتوم ، وأن أكيس الكيس من منح الشارد تألفا ، وقارب البعيد تلطفا ، ووزن كل شىء بميزانه ، ولم يخلط خبره بعيانه ، ولم يجعل فقره مكان شيره ديننا كان أو دنيا ضلالا كان أو هدى .

ولا خير فى علم مستعمل فى جهل ، ولا خير فى معرفة مشوبة بنكر .
ولسنا كجلدة رفع البعير بين العجان والذنب . وكل ضال فبناره ، وكل سيل فالى قراره . وما كان سكوت هذه العصابة الى هذه الغاية لعى ، ولا كلامها اليوم لفرق أو رفق . وقد جدع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم أنف كل ذى كبر ، وقصم ظهر كل جبار ، وقطع لسان كل كذوب ، فماذا بعد الحق الا الضلال !

ما هذه الخنزوانة التى فى فراش رأسك ! ما هذا الشجا المعترض فى مدارج أنفاسك ! ما هذه القذاة التى أعشت ناظرك ! وما هذه الوحرة التى أكلت شراسيفك ! وما هذا الذى لبست بسببه جلد النمر ، واشتملت عليه بالشحناء والنكراء .

ولسنا فى كسروية كسرى ، ولا فى قيصرية قيصر ! نأمل لآخوان فارس وأبناء الاصفر ، قد جعلهم الله جزرا لسيوفنا ، ودرية لرماحنا ، ومرمى لطعاننا ، ونبا لسلطاننا ، بل نحن فى نور نبوة ، وضاء رسالة ، وثمرة حكمة ، وأثرة رحمة ، وعنوان نعمة ، وظل عصمة ، بين أمة مهديّة بالحق والصدق ، مأمونة على الرتق والفتق ، لها من الله قلب أبى ، وساعد قوى ، ويد ناصرة ، وعين ناضرة .

أتظن ظنا يا علي أن أبابكر وثب على هذا الامر مفتانا على الامة ، خادعا

لها أو متسلطا عليها ! أتراد حل عقودها ، وأحال عقولها ! أتراد جعل
نهارها ليلا ، ووزنها كيلا ، ويقضتها رقادا ، واصلاحها فسادا ! لا والله !
سلى عنها فولهت له ، وتطامن لها فلصقت به ، ومال عنها فمالت اليه ،
واشماز دونها فاشتملت عليه ، حبوة حباب الله بها ، وعاقبة بلعه الله اليها •
ونعمة سربله الله جمالها ، ويد أوجب الله عليه شكرها ، وآية نظر الله به
اليها ، والله أعلم بخلقه ، وأرأف بعباده ، يختار ما كان لهم الخيرة •

وأنت بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوة ، ومعدن الرسالة ،
ولا يجحد حقت فيما أتاك الله ، ولكن لك من يراحمك بمنكب أضخم من
منكبك ، وقربى أمس من قرباك ، وسن أعلى من سنك ، وشيية أروع من
شيتك ، وسيادة لها أصل فى الجاهلية وفرع فى الاسلام ، ومواقف ليس
لك فيها جمل ولا ناقة ، ولا تذكر فيها مقدمة ولا ساقه ، ولا تغرب فيها
بذراع ولا اصبع ، ولا تخرج منها بيازل ولا هُبع ، ولم يزل أبو بكر حبة
قلب رسو الله صلى الله عليه وسلم وعلاقة نفسه ، وعيبة سره ، ومفزع رأيه
ومشورته ، وراحة كفه ، ومرمق طرفه ، وذلك كله بمحضر الصادر
والوارد من المهاجرين والانصار : شهرته مغنية عن الدليل عليه •

ولعمري أنك أقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة ،
ولكنه أقرب منك قرابة ، والقرابة لحم ودم ، والقرابة نفس وروح •

وهذا فرق عرفه المؤمنون ، ولذلك صاروا اليه كلهم • ومهما شككت
فى ذلك ، فلا تشك فى أن يد الله مع الجماعة ، ورضوانه لاهل الطاعة ،
فادخل فيما هو خير لك اليوم ، وانفع لك غدا ، والفظ من فيك ما يعلق
بلهاتك ، فان يك فى الامد طول ، وفى الاجل قسمة ، فستأكله مريئا أو
غير مريء ، وستشربه هنيئا أو غير هنيء ، حين لا راد لقولك الا من كان
آيسا منك ، ولا تابع لك الا من كان طامعا فيك ، يبيض اهابك ، ويعرك
أديمك ، ويبرى على هديك ، هنالك تفرع السنن من ندم ، وتجرع

الماء ممزوجاً بدم * وحينئذ تأس على ما مضى من عمرك ودارج قوتك ،
فقله تعالى فينا وفيك أمر هو بالغه ، وغيب هو شاهده ، وعاقبة هو المرجو
لسرائها وضرائها ، وهو الولي الحميد ، الغفور الودود *

قال أبو عبيدة : فتمشيت مترملاً ، أنوء كأنما أخطو على رأسي ، فرقا
من الفرقة ، وشفقا على الأمة ، حتى وصلت الى علي رضي الله عنه في خلاء ،
فبشته بشي كله ، وبرئت اليه منه ، فلما سمعها ووعاها ، وسرت في مفاصله
حمياها قال : حلت معلوطة ، وولت مخروطة ، وأشأ يقول :

احدى لياليك فهيسى هيسى لا تنعمى الليلة بالتعريس

نعم يا أبا عبيدة ، أكل هذا في أنفس القوم ، ويحسون به !

قال أبو عبيدة :

فقلت : لا جواب لك عندي ، انما أنا قاضٍ حق الدين ، وراتق فتق
المسلمين ، وساد ثلثة الامة ، يعلم الله ذلك من مجلدلات قلبي ، وقرارة
نفسى *

فقال علي رضي الله عنه : والله ما كان قعودي في كسر هذا البيت قصدا
للخلاف ، ولا انكارا للمعروف ، ولا زراية على مسلم ، بل لما قو وقدني به
رسول الله صلى الله عليه وسلم من فراقه ، وأودعني من الحزن لفقده *
وذلك أني لم أشهد بعده مشهدا الا جدد علي حزننا ، وذكرني شجنا ، وان
الشوق الى اللحاق به كافٍ عن الطمع في غيره ، وقد عكفت على عهد الله
أنظر فيه ، وأجمع ما تفرق ، رجاء ثواب معد لمن أخلص لله عمله ، وأسلم
لعلمه ومشيئته ، وأمره ونهيه ، على أني ما علمت أن التظاهر على واقع ،
ولا عن الحق الذي سيق اليّ دافع *

واذ قد أفعم الوادي بي ، وحشد النادى من أجلى ، فلا مرحبا بما
ساء واحدا من المسلمين وسرني * وفي النفس كلام لولا سابق عقد وسالف
عهد ، لشفيت غيظي بخنصري وبنصري ، وخضت لجته بأخصي ومفرقي ،

ولكنى ملجئاً الى أن القى الله ربي ، وعنده أحسب ما نزل بي • واني غاد الى جماعتكم ، فمبايع صاحبكم ، صابر على ما ساءني وسركم ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا •

قال أبو عبيدة • فعدت الى أبي بكر رضي الله عنه ، فقصصت عليه القول كله ، ولم أختزل شيئا من حلوه ومره ، وبكرت غدوة الى المسجد ، فلما كان صباح يومئذ اذا عليّ يخترق الجماعة الى أبي بكر رضي الله عنهما ، فبايعه ، وقال خيرا ، ووصف جميلا ، وجلس زميتا ، واستأذن للقيام ، فمضى وتبعه عمر مكرما له ، مستشيرا لما عنده •

وقام أبو بكر اليه فأخذ بيده وقال : ان عصابة أنت منها يا أبا الحسن لمعصومة ، وأن امة أنت فيها لمرحومة ، ولقد أصبحت عزيزا علينا ، كريما لدينا ، نخاف الله اذا سخطت ، ونرجوه اذا رضيت ، ولولا اني شذت لما أجتب الى ما دعيت اليه ، ولكنني خفت الفرقة واستثار الانصار بالامر على قريش ، وأعجلت عن حضورك ومشاورتك ، ولو كنت حاضرا لبايعتك ولم أعدل بك ، ولقد حط الله عن ظهرك ما أثقل كاهلي به ، وما أسعد من ينظر الله اليه بالكفاية وانا اليك لمحتاجون ، وبفضلك عالمون ، والى رأيك وهديك في جميع الاحوال راغبون ، وعلى حمايتك وحفيضتك معولون ، ثم انصرف وتركه مع عمر ، فالتفت علي الى عمر فقال :

والله ما قعدت عن صاحبكم كارها ، ولا أتيتيه فرقا • ولا أقول ما أقول ثعلت واني لاعرف منتهى طرفي ، ومحط قدمي ، ومنزع قوسي ، وموقع سهمي ، ولكن قد ازمت على فأسى ، ثقة بربي في الدنيا والآخرة •

فقال له عمر رضي الله عنه : كفكف غربك ، واستوقف سربك ، ودع العصي بلحائها ، والدلاء على رشائها ، فانا من خلفها وورائها ، ان قدحنا أورينا ، وان متحنا أردينا ، وان قرحنا أدمينا ، ولقد سمعت أمائلك التي لغزت بها صادرة عن صدر اكل بالجوى ، ولو شئت لقلت على مقاتلك

ما سمعته ندمت على ما قلت ، وزعمت انك قعدت فى كن بيتك لما وقذك
به رسول الله صلى الله عليه وسلم من فقده ، فهو وقذك ولم يقذ غيرك ؟
بل مصابه أعظم وأعم من ذلك ، وان من حق مصابه ألا تصدع شمل
الجماعة بفرقة لا عصام لها ، ولا يؤمن كيد الشيطان فى بقائها ، هذه العرب
حولنا ، والله لو تداعت علينا فى صبح نهار لم تلتق فى مسائه •

وزعمت ان الشوق الى اللحاق به كاف عن الطمع فى غيره ! فمن
علامة الشوق اليه نصره دينه ، ومؤازرة أوليائه ، ومعاونتهم •

وزعمت انك عكفت على عهد الله تجمع ما تفرق منه ، فمن العكوف
على عهد الله النصيحة لعباد الله ، والرأفة على خلق الله وبذل ما يصلحون به
ويرشدون عليه •

وزعمت انك لم تعلم ان التظاهر واقع عليك ، فقد سمعت وعلمت
ما قال الانصار بالامس سرا وجهرا ، وتقلبت عليه بطنا وظهرا ، فهل
ذكرتك أو أشادت بك ، أو وجدت رضاهم عنك ؟ هل قال أحد منهم
بلسانه : انك تصلح لهذا الامر أو أوما بعينه ، أو هم فى نفسه ؟ أتظن أن
الناس ضلوا من أجلك ، وعادوا كفارا زهدا فيك ، وباعوا الله تحاملا
عليك ؟ لا والله ! لقد جاءنى عقيل بن زياد الخزرجى فى نفر من أصحابه ،
ومعهم شرحبيل بن يعقوب الخزرجى ، وقالوا : ان عليا ينتظر الامامة
ويزعم انه أولى بها من غيره ، وينكر على من يعقد الخلافة ، فأنكرت
عليهم ، ورددت القول فى نحرهم حيث قالوا : انه ينتظر الوحي ، ويتوكف
مناجاة الملك فقلت ذاك أمر طواه الله بعد نبيه عليه السلام ، أكان الامر
معتودا بانشوطة أو مشدودا بأطراف ليطه ؟ كلا ! والله لا عجماء بحمد الله
الا أفصحت ، ولا شوكاء الا وقد تفتحت •

ومن أعجب شأنك قولك : « ولولا سالف عهد وسابق عقد ، لشفيت
غيطى » ، وهل ترك الدين لاهله أن يشفوا غيظهم بيد أو بلسان ؟ تلك

جاهلية وقد استأصل الله شأفتها ، واقتلع جرثومتها ، وهور ليلها ، وغور سيلها ، وأبدل منها الروح والريحان ، والهدى والبرهان ، وزعمت أنك 'ملجم' ، ولعمري ان من اتقى الله ، وآثر رضاه وطلب ما عنده ، امسك لسانه ، وأطبق فاه ، وجعل سعيه لما وراه !

وأما قولك : انى لاعرف منزع قوسى ، فاذا عرفت منزع قوسك عرف غيرك 'مضرب سيفه ومطعن رمحه ، وأما ما تزعمه من الامر الذى جعله رسول الله لك فتخلفت اعذارا الى الله والى العارفة به من المسلمين ، فلو عرفه المسلمون لجنحوا اليه وأصفقوا عليه ، وما كان الله ليجمعهم على العمى ، ولا ليضربهم بالضلال بعد الهدى ، ولو كان لرسول الله فيك رأى ، وعليك عزم ، ثم بعثه الله ، فرأى اجتماع امته على أبى بكر لما سفه اراءهم ، ولا ضلل أحلامهم ، ولا آثرك عليهم ، ولا أرضاك بسخطهم ، ولا مرك باتباعهم والدخول معهم فيما ارتضوه لدينهم •

فقال علي رضى الله عنه : مهلا يا أباحفص ، والله ما بذلت ما بذلت وأنا أريد نكته ، ولا أقرت ما أقرت ، وأنا ابتغى حولا عنه • وان أخسر الناس صفقة عند الله من آثر النفاق ، واحتضن الشقاق ، وفى الله خلف من كل فئت ، ووعوض من كل ذاهب ، وسلوة عن كل حادث ، وعليه التوكل فى جميع الحوادث • ارجع يا أباحفص الى مجلسك نافع القلب ، مبرود الغليل ، فسيح اللبان ، فصيح اللسان ، فليس وراء ما سمعت وقلت الا ما يشد الأزر ، ويحط الوزر ، ويضع الاصر ، ويجمع الالفة بمشيئة الله وحسن توفيقه •

قال أبو عبيدة : فانصرف علي وعمر رضى الله عنهما ، وهذا أصعب ما مر علي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم •

الثاني عشر - العدل والمساواة أمام القانون

ومن صفات العرب النبيلة التي يستقيم بها الحكم ويستتب بها الامن العدل بين الناس دون تمييز ولا تفریق غنيهم كفقيرهم وصغيرهم ككبيرهم وضعيفهم كقويهم والكل أمام القانون سواء واليك قارئى الكريم بعض الامثلة على ذلك :

١ - متى تعبدتم الناس يا عمرو :-

قال أنس : بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قاعد فى ديوان حكمه اذ برجل من مصر جاء يشكو اعتداء ابن الوالى عليه وكان والى مصر فى ذلك الوقت داهية العرب عمرو بن العاص • فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، هذا مقام العائذ بك ؟ قال نعم : فما شأنك ؟ قال : سابت على فرسى حصانا لابن عمرو بن العاص فجعل يضربنى بالسوط ويقول : أنا ابن الاكرمين ، فعلم أبوه بذلك وخشى أن آتيك بالخبر ، فحبسنى فى السجن ، فانفلت منه وأتيتك •

فكتب سيدنا عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص يقول : اذا أتاك كتابى هذا فاشهد المرسم أنت وولدك فلان ، وقال للمصرى : أقم حتى يأتيك ، فقدم عمرو فشهد الحجج • فلما قضى عمر الحجج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه ، قام المصرى فرمى اليه عمر بالدره •

قال أنس : ولقد ضربه ونحن نشتهى أن يضربه ، فلم ينزع حتى أجبنا أن ينزع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول : اضرب ابن الاكرمين ، ثم قال المصرى : قد استوفيت واستشفيت ، قال عمر : ضعها على صلعة عمرو ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين قد ضربت الذى ضربنى ومالى بعمرو حاجة • فقال عمر : أما والله لو فعلت لما منعك أحد حتى تكون

أنت الذى تنزع ، ثم قال : يا عمرو ! متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم
أحرارا فأصبحت مثلا يضرب به للعدل فى الحكم والمساواة أما القانون وعن
هذا أخذ الغرب مثله : Men Are borne Equal

٢ - أحب الولاة الى عمر بن الخطاب :-

قال الربيع بن زياد الحارثى : كنت عاملا لابي موسى الاشعري على
البحرين فى خلافة عمر بن الخطاب فكتب عمر رضى الله عنه يأمر أبا موسى
بالقدوم عليه هو وعماله وأن يستخلفوا بدلهم جميعا من ينوب عنهم فى
ادارة أموال المسلمين •

فلما قدمنا أتيت برفأ فقلت : يا برفأ مسترشد وابن سبيل أى الهيئات
أحب الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عماله ؟ فقال الخشونة ، فاتخذت خفين
مطبقين ولبست جبة صوف ولففت عمامتى على رأسى •

فدخلنا على عمر فصفا بين يديه • فصعدّ فينا وصوب ، فلم تأخذ
عينه أحدا غيرى ، فدعانى فقال : من أنت ؟ قلت : الربيع بن زياد الحارثى
قال : ما تتولى ؟ قلت : البحرين • قال : كم ترزق ؟ قلت ألفا • قال : كثير!
فما تصنع به ؟ قلت : أتقوت منه شيئا • وأعود به على أقاربي ، فما فضل عنهم فعلى
فقراء المسلمين ، قال : لا بأس : ارجع الى موضعك •

فرجعت الى موضعى من الصف ، فصعدّ ، فينا وصوب ، فلم تقع عينه
الا علىّ فدعانى ، وقال : كم سنك ؟ قلت : خمس وأربعون سنة : قال :
الآن حتى استحكمت ! ثم دعا بالطعام وأصحابى حديث عهدهم بلين العيش
وقد تجوعت له ، فأتى بخبز واكسار بعير فجعل أصحابى يعافون ذلك ،
وجعلت آكل فأجيد ثم جعلت أنظر اليه يلحظنى من بينهم ، ثم سقطت
منى كلمة تمنيت أنى سخت فى الارض ، اذ قلت : يا أمير المؤمنين ، ان
الناس يحتاجون الى صلاحك ، فلو عمدت الى طعام الين من هذا ،
فزجرنى •

ثم قال : كيف قلت ؟ فقلت : أقول يا أمير المؤمنين ، ننظر الى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل ارادتك اياه بيوم ، ويطبخ لك اللحم كذلك ، فتؤتى بالخبز لنا واللحم طريا ، فسكن من غضبه وقال : أهنأ ذهبت ؟ قلت : نعم . فقال : يا ربيع انا لو نشاء ملأنا هذه الرحاب من طبخ وخبز وخردل مربى ولكن رأيت الله عز وجل نعى على قوم شهواتهم فقال جل شأنه : « أذهبت طيباتكم فى حياتكم الدنيا » واننا نأكل ما يأكله القوم ولا نريد أن ننعهم دونهم ، فالناس متساوون فى حقوقهم وواجباتهم .

٣ - عمر يتفقد رعيته :-

خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ذات ليلة يطوف المدينة ويتفقد أهلها ويطلع على أحوال المسلمين ، فرأى بيتا من الشعر مضروبا ، لم يكن رآه بالأمس . فدنا منه ، فسمع فيه أنين امرأة ، ورأى رجلا قاعدا فدنا من الرجل ، وقال : من الرجل ؟ قال : رجل من البادية قدمت الى أمير المؤمنين لاصيب من فضله وعدله ، قال فما هذا الانين الذى أسمع ؟ قال : امرأة تمخض ، قال فهل عندها أحد ؟ قال : لا .

فانطلق عمر فجاء منزله وقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبى طالب هل لك من أجر ساقه الله اليك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : امرأة تمخض وليس عندها أحد ، قالت : ان شئت ، قال : فخذى معك ما يصلح للمرأة من الخرق والدهن ، وائتى بقدر وشحم ودقيق ، فجاءته به فحمل القدر ومشت خلفه ، حتى أتى البيت ، فقال لها : ادخلى على المرأة .

ثم قال للرجل : أوقد لي نارا ، ففعل ، فوضع القدر عليها ، وجعل عمر ينفخ النار ويضرمها ، والدخان يخرج من خلال لحيته ، حتى انضجها ، وولدت المرأة ، فقالت أم كلثوم : يا أمير المؤمنين بشّر صاحبك بغلام ، فلما سمعها تقول : يا أمير المؤمنين ، ارتاع وخجل ، وقال : يا خجلتاه منك يا أمير المؤمنين ! أهكذا تفعل بنفسك ؟ قا : يا أخا العرب . من ولي شيئا

من أمور المسلمين ينبغي له أن يطلع على صغير أمورهم وكبيرها ، فانه عنها مسؤول ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة .

ثم قام عمر وأخذ القدر ، وحملها الى باب البيت ، وأخذتها أم كلثوم وأطعمت المرأة ، فلما استقرت وسكنت ، طلعت أم كلثوم ، فقال عمر - رضى الله عنه - للرجل : قم الى بيتك وكل ما بقى من البرمة . وفى غد اتسنا .

فلما أصبح جاءه فيجهزه بما أغناه وسد حاجته .

٤ - عمر بن الخطاب يخاطب نفسه :-

قال الاحنف بن قيس : قدمنا على عمر بن الخطاب بفتح عظيم نبشره به فقال : أين نزلتم ؟ قلنا : فى مكان كذا .

فقام معنا حتى انتهينا الى مناخ ركابنا ، وقد أضعفها الكلاك وأجهدها السير فقال : هلا اتقيتم الله فى ركابكم هذه ! أما علمتم ان لها عليكم حقا ؟ هلا أرحتموها ؟ هلا حللتم بها فأكلت من نبات الارض !

فقلنا : يا أمير المؤمنين ، انا قدمنا بفتح عظيم ، فأحببنا التسرع اليك ووالى المسلمين بما يسيرهم ، فانصرف راجعا ، ونحن معه .

فأتى رجل فقال : يا أمير المؤمنين ان فلانا ظلمنى فأعدنى عليه ، فرفع عمر فى السماء دrote وضرب بها رأسه ، وقال : تدعون عمر حتى اذا شغل فى أمر المسلمين أتيتموه وقتلتم أعدنى أعدنى ، فانصرف الرجل يتدمر ، فقال عمر عليّ بالرجل ! فجىء به اليه فألقى اليه الخفقة وقال : اقض لنفسك قال : بل أدعه لله ولك ، قال : ليس كذلك ، بل تدعه أما لله واردة ما عنده ، وأما تدعه لى ، قال : ادعه لله ، قال : انصرف .

ثم جاء حتى دخل منزله ، ونحن معه . فصلى ركعتين خفيفتين ثم جلس فقال لنفسه : يا ابن الخطاب ، كنت بسيطا فرفعك الله وكنت ضالا

فهذاك الله ، وكنت ذليلاً فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب الناس فجاء رجل ، يستعديك على من ظلمه فضرته ، ماذا تقول لربك غدا ؟ فجعل يعاتب نفسه ويبكي حتى ابتلت لحيته •

٥ - عمال عمر بن عبدالعزيز :

كتب عمر بن عبدالعزيز الى ابن ارطأة وكان عاملاً على البصرة :
أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر ان قبلك عمالاً قد ظهرت حياتهم وتسالني ان آذن لك في عذابهم ، كأنك ترى أنني لك 'جنة' من دون الله ، فاذا جاءك كتابي هذا فان قامت عليهم بينة فخذهم بذلك والافحلهم دبر صلاة العصر بالله الذي لا إله الا هو ما اختانوا من مال المسلمين شيئاً ، فان حلفوا فخل سييلهم ، فانما هو مال المسلمين وليس للتشحيح منهم الا جهد ايمانهم ، ولعمري لان يلقوا الله بخياتهم أحب الي من أن القى الله بدمائهم والسلام •

٦ - قاضي ينصح خليفة بالعدل :

قال عبدالرحيم بن القاضي اسماعيل بن اسحق : كان في حجر أبي يتييم ، فبلغ ، وله أم واختها في دار الخليفة المعتضد بالله ، فقالت أم اليتيم لاختها : كلمي أمير المؤمنين حتى يرفع اسماعيل القاضي الحجر عن ولدي ، فكلمته فدعا المعتضد عبيد الله بن سليمان بن وهب وزيره ، وقال له : قل لاسماعيل القاضي يفك الحجر عن فلان • فقال القاضي : حتى أسأل عنه ، وقام فسأل عنه ، فلم يخبر عنه برشد فتركه •

ومضت على ذلك أيام ، فرجعت والدة الصبي الى اختها وسألته ان تعاود أمير المؤمنين ، وكان المعتضد لا يعاود لحشوته ، فعاودته فقال : ألسنت قد أمرت ؟ فقالت لم يرفع عنه بعد ! فدعا وزيره عبيدالله ثانياً ، وقال : أمرتك أن تأمر اسماعيل القاضي أن يرفع الحجر عن فلان • فقال : قد كنت قلت له ذلك ، فقال : حتى أسأل عنه ، فقال : قل له يرفع الحجر عنه ، فدعا الوزير ثانية وقال له : أمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان •

فأطرق القاضي ساعة ، ثم استدعى دواة وورقة ، وكتب شيئاً وختمه ،
فاستعظم الوزير أن يختم عنه كتاباً • ولم يقل له شيئاً لمحل اسماعيل من
الورع والعلم ، ثم دفع ذلك للوزير وقال له : توصل هذا الى أمير المؤمنين
فانه جوابه •

فأخذه الوزير ودخل على المعتضد ، وقال : زعم ان هذا جواب
أمير المؤمنين ، ففتح المعتضد الكتاب ، وقرأه والقاء وقال : لا تعاوده في هذا ،
فأخذ عبيدالله الوزير الكتاب واذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم • يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
فاحكم بين الناس بالحق • ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » •

٧ - بنو امية وعمر بن عبدالعزيز :

لما أقبل عمر بن عبدالعزيز على رد المظالم ، وقطع عن بنى امية
جوائزهم وارزاق احراسهم ، ورد ضياعهم الى الخراج ، وأبطل قطائعهم فأفقرهم
فاجتمعوا اليه وقالوا : انك قد أجلبت المال للمسلمين وأفقرت بنى أبيك
فيما ترد من هذه المظالم ، وهذا أمر قد وليه غيرك قبلك ، فدعهم وما كان
منهم ، واشتغل أنت وشأنك ، واعمل بما رأيت •

قال لهم : هذا رأيكم ؟ قالوا : نعم ، قال : ولكنى لا أرى ذلك والله
لوددت ألا تبقى في الارض مظلمة الا رددتها •

فخرجوا من عنده ، ودخلوا على عمر بن الوليد بن عبدالمك
- وكان كبيرهم وشيخهم - فسألوه أن يكتب الى عمر يوبخه لعمله برده
عن مساءتهم ، فكتب اليه يقول :

« أما بعد فانك ازريت على من كان من قبلك من الخلفاء ، وعتبت
عليهم وسرت بغير سيرهم ، وسميتها المظالم ، وعييا لاعمالهم ، وشنأنا لمن
كان بعدهم من أولادهم ، ولم يكن ذلك لك ، فقطعت ما أمر الله به أن

يوصل ، وعملت بغير الحق في قرابتك • وعمدت الى أموال قريش ومواريتهم وحقوقهم ، فأدخلتها بيت مالك ظلما وعدوانا ، فاتق الله يا ابن عبدالعزيز وراقبه ، فانك ان شططت لم يطمئن الى منبرك ، وان خصصت ذوى قرابتك بالقطيعة والظلم ، فوالله الذى خص محمدا صلى الله عليه وسلم بما خصه به من الكرامة ، لقد ازددت من الله بعدا فى ولايتك هذه التى تزعم انها بلاء عليك وهى كذلك • فاقصدنى بعض ميلك وتحاملك اليهم فاسأل سليمان بن عبد الملك بما صنع بامة محمد صلى الله عليه وسلم •

فكتب عمر بن عبدالعزيز اليه وقال :

« من عمر أمير المؤمنين الى عمر بن الوليد ، سلام على من أتبع الهدى • أما بعد فان أول أمرك يا فلان ان امك بنانة كانت أمة تدخل دور حمص وتطوف فى جوانبها ، والله أعلم بها ، فاشترها ذبيان بن ذبيان من فيء المسلمين ، فأهداها الى أهلك فحملت بك فبئس الحامل وبئس المحمول ثم نشأت فكنت جبارا شقيا ، كتبت الي تظلمنى وزعمت ان حرمك وأهل بيتك فى بيت مال المسلمين الذى فيه حق القرابة والضعيف والمسكين وابن السبيل ، وانما أنت كأحدكم لك ما لهم وعليك ما عليهم •

وان أظلم منى واترك لعهد الله ، من استعملك صيبا سفيها تحكم فى دماء المسلمين وأموالهم برأيتك ، ولم يكن يحمله على ذلك الا حب الولد ، ولم يكن ذلك له ، ولا حق له فيه ، فويلك ثم ويل أهلك ما أكثر طلابكما وخصماء كما يوم القيامة وكيف النجاة لمن كثر خصماؤه ؟

وان أظلم منى واترك لعهد الله ، من جعل لفلانة البربرية سهما فى فيء المسلمين وصدقاتهم ، أهاجرت ثكلتك امك ! أم بايعت بيعة الرضوان فاستوجبت سهام المقاتلين ؟

وان اظلم منى واترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك أعرابيا

• جلفا حافيا على مصر • واذن له في المعازف والعدد والخمر •

وان أظلم منى واترك لعهد الله من ولي يزيد بن أبي مسلم على جميع
المغرب يجبى المال الحرام ، ويسفك الدم الرام ، ويديك لو التقت عليك
حلقتا الحزام ، وطالت بي الحياة • ورد الله الحق الى أهله ، وتفرغت لك
ولاهل بيتك ، فأقمتكم على المحجة البيضاء ، فطالما تركتم الحق وراءكم
ظهريا ، وأخذتم في ثياب الطريق ومن وراء هذا ما أرجو أن يكون خير
رأى ريته ، بيع رقبك ، وتقسيم ثمنك بين اليتامى والمساكين والارامل •
فان لكل مسلم فيك حقا في كتاب الله والسلام على من اتبع الهدى • ولا ينال
سلام الله الظالمين •

٨ - اقطعك أربعا :

في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان معاوية بن
ابى سفيان واليا على الشام وأراد ذات يوم اصلاح فناء المسجد الاموى
وكانت دار اليهودى مجاورة للمسجد ومشوهة لبعض معاملة فأراد معاوية
ابتياعها منه لاصلاح المسجد فعرض على اليهودى عشرة من الابل فأبى
اليهودى فجعلها عشرين وثلاثين حتى بلغ ثمنها مائة من الابل فلما رأى
معاوية اصرار اليهودى وعناده المتأتى لا من قلة الثمن وانما من سوء طوية
اليهودى أمر بقلع الدار سواء رضى اليهودى أم لم يرض وعندها قصد
اليهودى عمر بن الخطاب فى المدينة وعرض عليه شكواه فلما تفهم الخليفة
قضيته خط له خطين متصلين على عظمة - لوحة الكتف - وأعطاهما له
فأخذها وقدمها الى معاوية عند وصوله الشام فقبل معاوية العظم وأعاد الدار
الى صاحبها غير أن اليهودى الحف فى الطلب لمعرفة ما كتب عليها فأخبره
معاوية : ان الخليفة يأمر باعطاءك الدار والا قطعنى أربعا فأسلم اليهودى
وتبرع بالدار للمسجد •

الثالث عشر - العدل في الحكم والمساواة أمام القانون
والمساواة في الحقوق والواجبات أو ما يصطلح عليه بالتعابير الجديدة
الديمقراطية تكوين طبيعي للمجتمع العربي السليم ونحن نورد فيما يلي بعض
الامثلة على ذلك :

١ - المنصور في ساحة القضاء :

قال ندير المدني : قدم علينا في المدينة أمير المؤمنين المنصور ومحمد
بن عمران الطلحي ليتولى القضاء فيها ، وأنا كاتبه ، فحضر جماعة من
الجمالين واستعدوه على أمير المؤمنين المنصور في شيء ذكروه ، فأمرني أن
أكتب الى المنصور بالحضور معهم أو انصافهم ، فقلت له : أعفني من ذلك فإنه
يعرف خطي ، فقال : اكتب ، فكتبت وختمت ، فقال : والله ما يمضي به
غيرك ، فمضيت به الى الربيع حاجبه ، وجعلت اعتذر اليه ، فقال : لا بأس
عليك ، ودخل بالكتاب على المنصور .

ثم خرج الربيع ، فقال للناس - وقد حضر وجوه أهل المدينة
والاشراف وغيرهم : ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ويقول لكم : اني
دعيت الى مجلس الحكم فلا أحد منكم يقوم اذا خرجت ، ولا تبدهوني
بالسلام .

ثم خرج وبين يديه المسيب والربيع وأنا خلفه ، وهو في أزار ورداء ،
فسلم على الناس ، فما قام له أحد ، ثم مضى حتى بدأ بقبر النبي صلى الله عليه
وسلم ، فسلم عليه ، ثم التفت ، فلما رآه ابن عمران القاضي أطلق رداءه عن
عاتقه ، ودعا بالخصوم الجمالين ، ثم دعا بالمنصور ، فأدعى عليه القوم ، وقضى
لهم عليه ثم انصرف .

فلما دخل المنصور الدار قال للربيع : اذهب فاذا قام القاضي من مجلسه
فادعُه ، فلما دعا ، ودخل على المنصور سلم عليه ، فرد عليه السلام .

وقال له : جزاك الله عن دينك وعن نبيك وعن حسبك ، وعن خليفتك
أحسن الجزاء ، قد أمرت لك بعشرة آلاف ، صلةً لك فأقبضها ♦

فكانت عامة أموال محمد بن عمران من تلك الصلة ♦

٢ - لا أفلح قاض لا يقيم الحق :

كان عبيد بن طيبان قاضي الرشيد بالرقعة - وكان الرشيد اذ ذاك بها -
فجاء رجل الى القاضي ، فاستعداه على عيسى بن جعفر ، فكتب اليه القاضي
ابن طيبان : « أما بعد - أبقى الله الامير وحفظه وتم نعمته ، أتاني رجل فذكر
انه فلان ابن فلان ، وأن له على الامير - أبقاه الله تعالى - خمسمائة الف
درهم ، فان رأى الامير ان يحضر مجلس الحكم ، أو يوكل وكيلًا يناجز
خصمه ، أو يرضيه فعل » ♦

ودفع الكتاب الى رجل ، فأتى باب ابن جعفر ، فدفع الكتاب الى خادمه
فأوصله اليه ، فقال له : كل هذا الكتاب !

فرجع الرجل الى القاضي ، فأخبره ، فكتب اليه : « أبقاك الله وامتع
بك ، حضر رجل يقال له فلان ابن فلان ، وذكر ان له عليك حقا ، فسيّر
معه الى مجلس الحكم أو وكيلك ان شاء الله تعالى » ♦

ووجه الكتاب مع واحد من أعوانه ، فحضر باب عيسى بن جعفر ودفع
الكتاب اليه فغضب ، ورمى به ، فانطلق ، فأخبره فكتب اليه : « حفظك الله
وامتع بك ، لا بد أن تصير أنت أو وكيلك الى مجلس الحكم ، فان أبيت
أنهيتُ أمرك الى امير المؤمنين - ان شاء الله » ♦

ثم وجه الكتاب مع رجلين من اصحابه ، فقعدا على باب عيسى بن جعفر
حتى طلع ، فقاما اليه ، ودفعا اليه كتاب القاضي ، فلم يقرأه ، ورمى به ،
فأبلغاه ذلك ، فحتم قمطره ، وأغلق بابه ، وقعد في بيته ♦

فبلغ الخبر الى الرشيد ، فدعاه ، وسأله عن أمره ، فأخبره الخبر ،

فقال : يا أمير المؤمنين ، اعفنى من هذه الولاية ، فوالله لا افلح قاضٍ لا يقيم الحق على القوي ، فقال له الرشيد : من يمنعك من اقامة الحق ؟ فقال : هذا عيسى ابن جعفر ! فقال الرشيد ، لأبراهيم بن عثمان : سر الى دار عيسى بن جعفر ، وأختم أبوابه كلها ، لا يخرج منها أحد ، ولا يدخل اليها أحد ، حتى يخرج الى الرجل من حقه ، أو يسير معه الى مجلس الحكم .

فأحاط ابراهيم بداره خمسمائة فارس ، وأغلق الابواب كلها ، فتوهم عيسى بن جعفر ان الرشيد قد حدث عنده رأى فى قتله ، ولم يعرف الخبر ، فجعل يكلم الاعوان من خلف الباب ، وارتفع الصراخ فى منزله ، وضج النساء فسكتهن ، ثم قال لبعض الاعوان من غلمان ابراهيم : ادع لى أبا اسحاق لأكلمه ، فأعلموه ، فجاء حتى وقف على الباب ، فقال له عيسى : ويحك ! ما حالنا ؟ فأخبره خبر القاضى ابن طيبان ، فأمر بأحضار خمسمائة الف درهم من ساعته فأحضرت ، وأمر أن تدفع الى الرجل فجاء ابراهيم الى الرشيد فأخبره ، فقال : اذا قبض الرجل ماله فأفتح أبوابه وعرفه أن يصلح سيرته مع القاضى ، وأياه ومعارضته !

٣ - رجل يفاضى المأمون :

دخل رجل على المأمون ، وفى يده رقعة فيها مظلمة من امير المؤمنين ، فقال : أمظلمة مني ؟ فقال الرجل : أفأخاطب يا امير المؤمنين سواك ! .

قال : وما هى ظلامتك ؟ قال : ان سعيدا وكيلك اشترى مني جواهر بثلاثين الف دينار ، قال : فاذا اشترى سعيد منك الجواهر تشكو الظلامه مني ! قال : نعم ، اذا كانت الوكالة قد صحت منك ! قال : لعلى سعيدا قد اشترى منك الجواهر ، وحمل اليك المال ، أو اشتراه لنفسه ! وعليه فلا يلزمني لك حق ، ولا أعرف لك ظلامه ، فقال له : جاء فى وصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لقضاته ، « البينة على من ادعى ، واليمين على من انكر » .

قال المأمون : انك عُدتَ اليّ ، فما يجب لك الا حلفَة " ولئن حلفتُها لأنا صادق ، اذ كنتُ لا أعرف لك حقا يلزمني ، قال . فأذن ادعوك الى القاضي الذي نصبته لرعيّتك ، قال : نعم يا غلام ! علي يحيى ابن اكنم ! فاذا هو قد مثل بين يديه ، فقال له المأمون : اقض بيننا ! قال : في حكم ووقضية ! قال : نعم ! قال : انك لم تجعل ذلك مجلس قضاء • قال : قد فعلت •

قال : فأني ابدأ بالعامّة أولاً ليصلح المجلس للقضاء ، قال : افعل • ففتح الباب ، وقعد في ناحية من الباب ، وأذن للعامّة ، ثم دعي بالرجل المتظلم ، فقال له يحيى : ما تقول ؟ قال : أقول : ان تدعو بخصمي امير المؤمنين المأمون ، فنادي المنادي ، فاذا المأمون قد خرج ، ومعه غلام يحمل مُصلي ، حتى وقف على يحيى وهو جالس ، فقال له : اجلس ، فطرح المصلي ليقعد عليها ، فقال له يحيى : يا امير المؤمنين ، لا تأخذ على خصمك شرف المجلس ، فطرح له مصلي أخرى ، ثم نظر في دعوى الرجل ، وطالب المأمون باليمين فحلفه ، ووثب يحيى بعد فراغ المأمون من يمينه فقام على رجليه ، فقال له المأمون : ما أقامك ؟ فقال : اني كنت في حق الله عزوجل حتى أخذته منك ، وليس الآن من حقي أن أتصدر عليك •

ثم أمر المأمون أن يحضر ما ادعى الرجل من المال ، فقال له : خذ اليك والله ما كنت احلف على فجرة ، ثم اسمح لك بالمال فأفسد ديني ودنياي ، والله يعلم ما دفعت اليك هذا المال الا خوفا من هذه الرعية ، لعلها ترى اني تناولتك من وجه القدرة •

٤ - درع علي بن ابي طالب :

فقد سيدنا علي بن ابي طالب درعه بعد معركة صفين وبعد مدة وجده عند نصراني من أهل الذمة فلما ادعى ملكيته أنكرها النصراني فاضطر

الخليفة أن يقاضيه عند شريح القاضى وفى اليوم المعين للمرافعة حضر الخليفة وحضر النصرانى فأبان سيدنا علي رضى الله عنه ان الدرع درعه وانه فقدته بعد معركة صفين ثم سأل القاضى النصرانى فقال (الدرع درعى وامير المؤمنين ليس بكاذب) فطلب شريح البينة من الخليفة فعجز عنها فحكم بالدرع الى النصرانى فأخذه وانصرف وبعد أن سار ثلاث خطوات التفت الى مجلس القضاء وقال « أشهد أن هذا لحكم الانبياء ، ثم أردف فقال (أشهد أن لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله » ان الدرع درعك يا أمير المؤمنين اذ كنت أسير وراء القافلة بعد حرب صفين فسقط الدرع من جمل اورك فحملته ، فأجابه الخليفة قائلاً (وما دمت قد أسلمت فالدرع هبة منى لك) فهل روى لنا التاريخ منذ فجر السلالات البشرية حتى يومنا هذا مثلاً واحداً يقاضى فيه ملك فى دست الحكم صلحو كما هو فى ذمامه على أمر تعود ملكيته له ، اللهم لا • الا فى شريعة محمد وفى امة يعرب •

الرابع عشر - الفصاحة والبلاغة

العرب أفصح الامم لسانا وأبلغها بيانا ودليلنا نزول القرآن بهذه اللغة فلو كانت هناك لغة أفصح من لغة العرب وأبلغ منها لاخترها الله لغة للقرآن المعجزة السماوية الكبرى ، وهاك قارىء العزيز بعض الامثلة على فصاحة العربية وبلاغتها ••

١ - أبو الاسود الدؤلى وزوجه :

قال أبو محمد القشيري : كان أبو الاسود الدؤلى من أكبر الناس عند معاوية بن ابى سفيان وأقربهم مجلسا ، وكان لا ينطق الا بعقل ، ولا يتكلم الا بعد فهم •

فبينما هو ذات يوم جالس ، وعنده وجوه قريش واشراف العرب اذ أتبلت امرأة أبى الاسود الدؤلى حتى حاذت معاوية وقالت : السلام عليك

يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، ان الله جعلك خليفة في البلاد ، ورقيا على العباد ، يستسقى بك المطر ويستنتب بك الشجر ، وتؤلف بك الالهواء ، ويأمن بك الخائف ويردع بك الجانف ، فأنت الخليفة المصطفى ، والامام المرتضى ، فاسأل الله لك النعمة في غير تغيير ، والعافية من غير تعدير ، قد الجأني اليك يا امير المؤمنين أمر ضاق علي فيه المنهج ، وتفاقم علي منه المخرج ، لأمر كرهت عاره ، لما خشيت اظهاره فليصنفي امير المؤمنين من الخصم ، فاني أعوذ بقوته من العار الوبيل ، والامر الجليل الذي يشتد علي الحرائر ، ذات البعول الاجائر •

فقال لها معاوية : ومن بعلك هذا الذي تصفين من أمره المنكر ومن فعله المشهر ؟ فقالت : هو أبو الاسود الدؤلى •

فالتفت اليه وقال : يا أبا الاسود ، ما تقول هذه المرأة ؟ فقال أبو الاسود : هي تقول من الحق بعضا ، ولن يستطيع أحد عليها نقضا ، اما ما ذكرت من طلاقها فهو حق ، وأنا مخبر عنه امير المؤمنين بالصدق ، والله يا أمير المؤمنين ما طلقته عن ريبة ظهرت ، ولا لأى هفوة حضرت ، ولكن كرهت شمائلها ، فقطعت عنى جائلها •

فقال معاوية : وأى شمائلها يا أبا الاسود كرهت ؟ فقال : يا امير المؤمنين ، انك مهيجها علي بجواب عتيد ولسان شديد •

فقال معاوية : لا بد لك من محاورتها ، فأردد عليها قولها عند مراجعتها ، فقال أبو الاسود : يا أمير المؤمنين ، انها كثيرة الصخب دائمة الدرب ، مهينة للأهل ، مؤذية للبعل ، مسيئة الى الجار ، مظهرة للعار ، ان رأيت خيرا كتمته ، وان رأيت شرا أذاعته •

فقالت : والله لولا مكان امير المؤمنين ، وحضور من حضره من المسلمين لرددت عليك بوادر كلامك ، بنوافذ أقرع بها كل سهامك وان كان

لا يجمل بالمرأة أن تشتم بعلا ولا أن تظهر لأحد جهلا *

فقال معاوية : عزمت عليك لما أجبته فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما علمته الا سؤلا جهولا ، ملما بخيلا ، ان قال فشر قائل وان سكت قد رد غائل ، ليث حين يأمن ، وثعلب حين يخاف ، شحيح حين يضاف ، اذا ذكر الجود انقمع ، لما يعرف من قصر رشائه ، ولؤم آباته ، ضيفه جائع وجاره ضائع ، لا يحفظ جارا ، ولا يحمى ذمارا ولا يدرك ثارا ، أكرم الناس عليه من أهانه ، واهونهم عليه من أكرمه *

فقال معاوية : سبحان الله لما تأتي به هذه المرأة من السجع ، فقال أبو الاسود : أصلح الله أمير المؤمنين ، انها مطلقة ، ومن أكثر كلاما من مطلقة ؟ ثم قال لها معاوية : اذا كان رواحا فتعالى أفصل بينك وبينه بالقضاء *

فلما كان الرواح جاءت ومعها ابنها قد احتضنته ، فلما رآها أبو الاسود قام اليها لينتزع ابنه منها ، فقال له معاوية : يا أبا الاسود لا تعجل ، دع المرأة أن تنطق بحجتها * قال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحق بحمل ابني منها ، فقال له معاوية : يا أبا الاسود دعها تفل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، حملته قبل أن تحمله ، فقالت : صدق والله يا أمير المؤمنين ، حمله خفا ، وحملته ثقلا ، ان بطني لوعاؤه ، وان ثديي لسقاؤه ، وان حجري لفناؤه ، فقال معاوية : سبحان الله لما تأتيين به من سجع ، ثم قال لأبي الاسود : انها غلبتك في الكلام ، فتكلف لها ابياتا لعلك تغلبها فأنشأ يقول :

مرجبا بالتي تجور علينا
ثم سهلا بالحامل المحمول
أغلقت بابها علي وقالت
ان خير النساء ذات البعول
شغلت نفسها علي فراغا
هل سمعتم بالفارغ المشغول ؟
فأجابه بقولها :

ليس من قال بالصواب وبالحق
كمن حار عن منار السبيل

كان ثديي سقاءه حين يضحى ثم حجري فناءه بالاصيل
لست أبغي بواحدى يا ابن حرب بدلا ما علمته والخليل
ففضى لها معاوية عليه ، واحتملت ابنها وانصرفت •

٢ - الفرزدق وسكينة بنت الحسين :

خرج الفرزدق حاجا فلما قضى حجه عدل الى المدينة ، فدخل الى
سكينة بنت الحسين ، فسلم ، فقالت : من أشعر الناس ؟ قال : أنا ، قالت :
كذبت ، أشعر منك الذى يقول :

بنفسى من تجنيه عزيز علي ومن زيارته لمام
ومن أمسى وأصبح لا أراه ويطرقتني اذ هجع النيام

فقال : أما والله لو أذنت لي لأسمعتك أحسن منه ، قالت : اقبحه ،
فأخرج • ثم عاد اليها فى الغد ، فدخل عليها ، فقالت : يا فرزدق من أشعر
الناس ؟ فقال أنا ، قالت : كذبت صاحبك جرير أشعر منك حين يقول :

لولا الحياء لعادتي استعمار ولزرت قبرك والحبيب يزاز
كانت اذا هجر الضجيع فراشها كتم الحديث وعقت الاسرار
لا يلبث القرناء أن يفرقوا ليل يكر عليهم ونهار

فقال : والله لئن أذنت لي لأسمعتك أحسن منه • فأمرت به فأخرج
ثم عاد اليها فى اليوم الثالث ، وحولها مولدات لها كأنهن التماثيل ، فنظر
الفرزدق الى واحدة منهن فأعجب بها ، وبهت ينظر اليها ، فقالت له سكينة :
يا فرزدق ، من أشعر الناس ؟ قال : أنا ، قالت كذبت ! صاحبك أشعر منك
حيث يقول :

ان العيون التى فى طرفها حور قتلتنا ثم لم يحين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن اضعف خلق الله انسانا

فقال : لئن تركتيني لاسمعنك أحسن منه فأمرت باخراجه !

فالتفت اليها وقال : يا بنت رسول الله ، ان لي عليك حقا عظيما
قالت : وما هو ؟ قال : ضربت اليك آباط الابل من مكة ارادة التسليم
عليك ، فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطردي وتفضيل جرير علي ،
ومنعت اياي أن انشدك شيئا من شعري ، وبى ما قد عيل منه صبرى ،
وهذه المنايا تغدو وتروح ، ولعلي لا افارق المدينة حتى اموت ، فاذا انا مت
فمرى بى أن ادرج فى كفى ، ثم أدفن فى ثياب هذه الجارية .

فضحكت سكينه وأمرت له بالجارية ، فخرج بها ثم قالت له :
يا فرزدد ، احتفظ بها وأحسن صحبتها ، فاني آثرتك بها على نفسى ،
بارك الله لك فيها .

قال الفرزدق : فلم ازل والله ارى البركة بدعائها فى نفسى واهلى
ومالى حتى هلكت .

٣ - المتكلمة بالقرآن :

قال عبدالله بن المبارك : خرجت حاجا الى بيت الله الحرام ، وزيارة
قبر نبيه عليه الصلاة والسلام ، فبينما أنا فى الطريق اذ أنا بسواد ، فتميزت
ذاك ، فاذا عجوز عليها درع من صوف ، وخمار ، فقلت : السلام عليك
ورحمة الله وبركاته . فقالت : « سلام قولاً من رب رحيم » . فقلت لها :
رحمك الله ! ما تصنعين فى هذا المكان ؟ قالت « ومن يضل الله فما له من
هاد » ، فعلمت انها ضالة عن الطريق .

فقلت لها : أين تريدين ؟ قالت : « سبحان الذى اسرى بعده ليلا
من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى » ، فعلمت انها قضت حجها وهى
تريد بيت المقدس . فقلت لها : انت منذ كم فى هذا الموضع ؟ قالت :
« وهو يطعمنى ويسقين » . فقلت : فبأى شىء تتوضئين ؟ قالت : « فان لم
تجدوا ماءً فميموا صعيدا طيبا » . فقلت لها : ان معى طعاما ، فهل لك

حاجة في الاكل ؟ قالت : « ثم اتموا الصيام الى الليل » • فقلت قد ابيع
لنا الافطار في السفر • قالت : « وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » •
فقلت : لم الا تكلميني مثل ما اكلمك ؟ قالت : « ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد » • فقلت : فمن أى الناس أنت ؟ فقلت : « ولا نفق
ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه
مستؤلاً » •

فقلت : قد اخطأت فاجعليني في حل • قالت : « لا تثرىب عليكم
اليوم يغفر الله لكم » •

فقلت : فهل لك ان احملك على ناقتي ، فتدركي القافلة ؟ قالت :
« وما تفعلوا من خير يعلمه الله » •

قال : فأنتخت الناقة ، فقلت : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم » •
فغضت بصرى عنها ، وقلت لها : اركبي •

فلما ارادت أن تتركب نفرت الناقة ، فمزقت ثيابها ، فقلت : « وما
اصابكم من مصيبة فيما كسبت ايديكم » • فقلت لها : اركبي • قالت :
« سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وانا الى ربنا لمنقلبون » •
فأخذت بزمام الناقة ، وجعلت اسعى واصيح ، فقلت : « واقصد
في مشيك ، واغضض من صوتك » ، فجعلت امشى رويدا رويدا ، واترنم
بالشعر ، فقلت : « فأقروا ما تيسر من القرآن » • فقلت لها : لقد اوتيت
خيراً كثيراً ، فقلت : « وما يذكر الا اولو الالباب » •

فلما مشيت بها قليلا قلت لها : ألك زوج ؟ قالت : « يا أيها الذين
آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم » •

فسكت ولم اكلمها ، حتى ادركت بها القافلة ، فقلت لها : هذه
القافلة فمن لك فيها ؟ فقلت : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » ، فعلمت

ان لها اولادا • فقلت : وما شأنهم فى الحج ؟ قالت « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » ، فعلمت انهم ادلاء الركب •

فقصت القباب والعمارات ، فقلت : هذه القباب ، فمن لك فيها ؟
قالت : « واتخذ الله ابراهيم خليلا » • « وكلم الله موسى تكليما » •
« يا يحيى خذ الكتاب بقوة » • فناديت : يا ابراهيم ، يا موسى ، يا يحيى ،
فاذا بشبان كأنهم الاقمار قد أقبلوا ، فلما استقر بهم الجلوس ، قالت :
« ابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها ازكى طعاما فليأتكم
برزق منه » •

فمضى احدهم ، فاشترى طعاما فقدموه بين يدي ، فقالت « كلوا
واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية » •
فقلت : الآن طعامكم علي حرام حتى تخبرونى بأمرها ، فقالوا :
هذه امنا لها منذ أربعين سنة لم تتكلم الا بالقرآن ، مخافة ان تزل فيسخط
عليها الرحمن ، فقلت : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم » •

٤ - عبد الله بن عباس والخطيئة :

بينا ابن عباس جالس فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
ما كف بصره ، وحوله ناس من قريش اذ أقبل اعرابى يخطر ، وعيه
مُطرف وجبة وعمامة خز ، حتى سلم على القوم ، فردوا عليه السلام ،
فقال : يا ابن عم رسول الله ، افتنى ، قال : فيم ؟ قال : اتخاف على جناحا
ان ظلمنى رجل فظلمته ، وشتمنى فشتمته ، وقصر بى فقصرت به ؟
فقال : العفو خير ، ومن اتصّر فلا جناح عليه •

فقال : يا ابن عم رسول الله ، رأيت امراً أتانى فوعدنى وغرنى ومنانى ،
ثم اخلفنى واستخف بحرمتى ، ايسغى ان اهجوه ؟ قال : لا يصلح

الهجاء ، لانه لا بد لك من ان تهجو غيره من عشيرته ، فتظلم من لم يظلمك ، وتشتم من لم يشتمك ، وتبغى على من لم يبع عليك الظلم مرتعه وخيم ، وفي العفو ما قد علمت من الفضل ، قال صدقت وبررت • فلم ينشب أن أقبل عبدالرحمن بن سليمان المحاربي حليف قريش ، فلما رأى الاعرابي أجله واعظمه وألطف في مسأله ، وقال : قرب الله دارك يا أبا مليكة ، فقال ابن عباس : أجرول ؟ قال : جرول ، فاذا هو الحطيئة ، فقال ابن عباس : لله انت ! يا أبا مليكة ! والله لو كنت عركت بجنبك بعض ما كرهت من أمر الزبيرقان كان خير لك ، ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك ، وشتمت من لم يشتمك ، قال : انى والله بهم يا أبا العباس لعالم ، قال : ما أنت بأعلم بهم من غيرك ، قال : بلى والله ! يرحمك الله ! ثم أنشأ يقول :

أنا ابن بجدتهم علما وتجربة فسئل سعدا تجدنى اعلم الناس
سعد بن زيد كثيران عددتهم ورأس سعد بن زيد آل شماس
والزبيرقان ذناباهم وشهرهم ليس الذنابي أبا العباس كالراسي

فقال ابن عباس : اقسمت عليك ألا تقول الا خيرا ، قال : افعل • ثم قال ابن عباس : يا أبا مليكة ، من اشعر الناس ؟ قال : أمن الماضين أم من الباقيين ؟ قال : من الماضين ، قال : الذى يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشر يئتم
وما بدونه الذى يقول :

ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث ، أى الرجال المهذب ! ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرولا - يعنى نفسه - والله يا ابن عم رسول الله لو لا الطمع والجشع لكنت اشعر الماضيين ، فأما الباقيون فلا شك أنى اشعرهم وأمردهم سهما اذا رميت !

٥ - أشجع الناس شعراً :

سأل يوما عبد الملك بن مروان : من اشجع الناس شعرا ؟ فقيل :

عمرو بن معد يكربى • فقال : كيف ! وهو الذى يقول :

فجاشت الى النفس أول مرة فردت على مكروهاها فاستقرت

قالوا : فعمر بن الاطنابة • فقال : كيف ! وهو الذى يقول :

وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى او تستريحى

قالوا : فعامر بن الطفيل • قال : كيف ! وهو الذى يقول :

أقول لنفس لا يجاد بمثلها اقلني مرحا اننى غير مدبر

قالوا : فمن اشجعهم عند امير المؤمنين ؟ قال : اربعة ، عباس بن

مرداس السلمى ، وقيس بن الحطيم الاوسى ، وعنترة بن شداد العبسى ،

ورجل من بنى مزينة ، اما عباس فلقوله :

أشد على الكنية لا أبالي أفيها كان حنفي ام سواها

واما قيس بن الحطيم فلقوله :

وانى لدى الحرب العوان موكل بتقديم نفس لا أريد بقاءها

وأما عنترة بن شداد فلقوله :

اذ تتقون بى الاسنة لم أضم عنها ولكن قد تضايق مقدمى

واما المزنى فلقوله :

دعوت بنى قحافة فاستجابوا فقلت : امضوا فقد طاب الورود

٦ - من أشعر الناس :

قال عبد الملك بن مسلم : كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج :

انه لم يبق شيء من لذة الدنيا الا وقد اصبت منه ، ولم يبق لى الا مناقلة

الاخوان الاحاديث وقبلك عامر الشعبى ، فابعث به الي يحدثنى •

فدعا الحجاج بالشعبى وجهزه ، وبعث به اليه ، واطراه فى كتابه ،

فخرج الشعبي ، حتى اذا كان بباب عبدالمملك قال للحاجب : استأذن لي ، فقال : ومن أنت ؟ قال : عامر الشعبي ، قال : حياك الله ! ثم نهض ، وأجلسه على كرسیه ، فلم يلبث أن خرج الحاجب اليه فقال : ادخل ، قال الشعبي : فدخلت فاذا عبدالمملك جالس على كرسی ، وبين يديه رجل ابيض الرأس واللحية على كرسی ، فسلمت فرد السلام ، ثم أوما اليّ فقعدت عن يساره ، ثم اقبل على الذى بين يديه فقال : ويحك ! من اشعر الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ! فأظلم عليّ ما بينى وبين عبدالمملك ، ولم اصبر ان قلت : ومن هذا يا أمير المؤمنين الذى يزعم انه اشعر الناس ! فعجب عبدالملك من عجلتى قبل ان يسألنى عن حالى ، ثم قال : هذا الاخطل ! فقلت : يا أخطل اشعر منك الذى يقول :

مقبل الخير سريع التمام	هذا غلام حسن وجهه
والحارث خير الانام	للحارث الاكبر والحارث الاصغر
اسرع فى الخيرات منه امام	ثم لهند ولهند ، فقد
هم خير من يشرب صوب الغمام	خمسة آباءهم ما هم

فقال عبدالملك : ردّها عليّ ، فرددتها حتى حفظها ، فقال الاخطل : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا الشعبي ، قال : صدق ، والله النابغة اشعر منى !

قال الشعبي : ثم اقبل عليّ عبدالملك فقال : كيف أنت يا شعبي ؟ قلت : بخير - لا زلت به - ثم ذهبت لاصنع معاذيرى لما كان من خلافى على الحجاج مع عبدالرحمن بن محمد الاشعث *

فقال : مه ! فأنا لا نحتاج الى هذا المنطق ، ولا تراء منا فى قول ولا فعل حتى تفارقنا ، ثم اقبل عليّ فقال : ما تقول فى النابغة ؟ قلت يا أمير المؤمنين ، قد فضّله عمر بن الخطاب فى غير موطن على جميع الشعراء ،

وذلك أنه خرج يوما وببابه وفد غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، أى شعرائكم الذى يقول :

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
الم تر ان الله اعطاك سطوة ترى كل ملك دونها يتذبذب
كأنك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبدهن كواكب
لئن كنت قد بلغت عنى جناية لمبلغك الواشى أغش وأكذب
ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث ، أى الرجال المهذب!

قالوا النابغة ، قال ، فأيكم الذى يقول :

فانك كالليل الذى هو مدركى وان خلت ان المنتأى عنك واسع
خطاطيف مجنٍ فى جبال متينة تمد بها أيد اليك نوازع

قالوا : النابغة ، قال : أيكم الذى يقول :

الى ابن محرق اعمت نفسى وراحلتى وقد هدت العيون
اتيتك عاريا خلقا ثيابى على خوف تظن بى الظنون
فألفيت الامانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

قالوا : النابغة ، قال : هذا اشعر شعرائكم • ثم أقبل عبد الملك على
الاخطل فقال : أتحب ان لك قياضا بشعرك شعر أحد من العرب ، او
تحب انك قلته ، فقال : لا والله ، الا انى وددت انى كنت قلت أبياتا قالها
رجل منا ، كان والله مغدق القناع ، قليل السماع ، قصير الذراع ، قال :
وما قال : فانشده :

انا محيوك فأسلم أيها الطلل وان بليت وان طالت بك الطول
ليس الجديد به تبقى بشاشته الا قليلا ولا ذو خلة يصل
والعيش لا عيش الا ما تقر به عين ولا حال الا سوف تنتقل
والناس من يلقى خيرا قائلون له ما يشتهى ولأم المخطيء الهبل

فقد يدرك المتأنى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل
قال الشعبي : فقلت : قد قال القطاميّ افضل من هذا ، قال وما قال؟
طرفت جنوب رحالنا من مطرق ما كنت احسبه قريبا المنق
حتى أتيت على آخرها ، فقال عبدالملك : ثكلت القطاميّ أمه ، هذا
والله الشعر ، ثم قال : يا شعبي ، أى شعراء الجاهلية كان اشعر النساء ؟
قلت : خنساء قال : ولم فضلتها على غيرها ؟ قلت : لقولها :

وقائلة والنعش قد فات خطوها لتدركه يا لهف نفسي على صخر
ألا ثكلت أمّ الذين غدوا به الى القبر ، ماذا يحملون الى القبر
فقال عبدالملك : اشعر والله منها ليلي الاخيلية حيث تقول :

مهفهف الكشح والسربال منخرق عنه القميص لسير الليل مختقر
لا يأمن الناس ممساه ومصبحه فى كل حى وان لم يغز يتتظر
ثم قال يا شعبي لعله شق عليك ما سمعته ، فقلت : أى والله يا امير
المؤمنين أشد المشقة ، انى قد حدثتك فلم افدك الا أبيات النابغة فى الغلام .

ثم قال عبد الملك : يا شعبي انما أعلمناك هذا ، لأنه بلغنى ان أهل
العراق يتناولون على أهل الشام ويقولون : ان كانوا غلبونا على الدولة ،
فلن يغلبونا على العلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق . ثم
ردد علي أبيات ليلي حتى حفظتها ، وأذن لي فانصرفت ، فكنت اول داخل
وآخر خارج .

٧ - ايجاز فى المقال وبلاغة فى البيان :

قال سفيان القرشى : كنا عند هشام بن عبدالملك وقد وفد عليه وفود
أهل الحجاز وكان شباب الكتاب اذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة
خطبائهم فحضرت كلامهم .

وكان محمد بن ابى الجهم أعظم القوم قدرا ، وأكبرهم سنا ،

وأفضلهم رأيا وحلما فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، ان خطباء قريش قد
قالت فيك ما قالت : وأكثرت وأطنت ، والله ما بلغ قائلهم قدرك ، ولا
أحصى خطيهم فضلك ، وان أذنت في القول قلت ، قال : تكلم ، قال :
أفأوجز أم أطنب ؟ قال : بل أوجز •

قال : تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالتقوى ، وجمع
لك خير الآخرة والاولى ، ان لى حوائج أفأذكرها ؟ قال : هاتها ، قال :
كبرت سنى ونال الدهر منى ، فان رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسرى ،
وينقى فقرى فعل ! •

قال : وما الذى ينقى فقرك ، ويجبر كسرك ؟ قال : الف دينار والف
دينار والف دينار • فأطرق هشام طويلا ، ثم قال هيهات يا ابن ابى الجهم ،
بيت المال لا يحتمل ما ذكرت • فقال ان الله آثرك لمجلسنا ، فان تعطنا فحقا
أديت ، وان تمنعنا فسأل الذى بيده ما حويت ، يا أمير المؤمنين ، ان الله جعل
العطاء محبة ، والمنع مبغضة ، والله لان احبك أحب الي من أن أبغضك •

قال : فألف دينار لماذا ؟ قال أقضى بها دينا قد حان قضاؤه ، وقد عانى
حملة ، وأضر بى أهله ، قال : فلا بأس ، تنفس كربة ، وتودى أمانة ،
والف دينار لماذا ؟ قال : ازوج بها من أدرك من ولدى • قال : نعم المسلك
سلكت ، اغضضت بصرا ، واعففت ولدا ، ووضعت نسلا ، والف دينار لماذا ؟
قال : أشتري بها أرضا يعيش بها ولدى ، وأستعين بفضلها على نوائب الدهر ،
وتكون ذخرا لمن بقى •

قال : فانا قد أمرنا لك بما سألت • قال : فالمحمود الله على ذلك وجزاك
الله يا أمير المؤمنين والرحم خيرا ، ثم خرج •

فأتبعه هشام بصره ، وقال : تا الله ما رأيت رجلا الطف فى سؤال ،
ولا أأرفق فى مقال من هذا ، هكذا فليكن القرشى ، أما والله انا لنعرف الحق

إذا تزل ، وتكره الاسراف والبخل ، وما نعطى تديرا ، ولا نمنع تقيرا ،
وما نحن الا خزان الله فى بلاده وامناؤه على عباده ، فاذا اذن أعطينا ، واذا
منع أينا ، ولو كان كل قائل يصدق وكل سائل يستحق ، ما جبهنا قائلا ،
ولا ردنا سائلا ، ونسأل الذى بيده ما استحفظنا أن يجزيه على أيدينا ، فانه
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر انه كان بعباده خيرا بصيرا . فقالوا :
يا أمير المؤمنين ، لقد تكلمت فأبلغت وما بلغ فى كلامه ما قصصت . قال :
انه مبتلى وليس المبتلى كالمعتلى .

٨ - فصاحة نصيب العباسي :

وجه المهدي نصيبا الشاعر مولاه الى اليمن فى شراء ابل مهيبة ،
ووجه معه رجلا من الشيعة ، وكتب معه الى عامل اليمن بعشرين الف دينار ،
فمد يده فى الدنانير ينفقها فى الاكل والشرب . وشراء الجوارى
والترويح ، فكتب الشيعى بخبره الى المهدي ، فطلبه المهدي موثقا بالحديد ،
فلما حضر دخل على المهدي وأنشده فقال :

تأوينى ثقل من الهم موجع	فارق عيني والخليون هجّع
هموم توات لو اطاف يسيرها	بسلمى لظلت صمة تتصدع
وعادت بلاد الله ظلماء حندسا	فخلف دجا ظلماتها لا تقشع
اليك أمير المؤمنين ولم أجد	سواك مجيرا منك يدنى ويمنع
تلمست هل من شافع لى فلم أجد	سوى رحمة أعطاكها الله تشفع
لئن جلت الاجرام منى وأفظعت	لعفوك عن جرمى أجل وأوسع
لئن لم تسعنى يا ابن عم محمد	فما عجزت عنى وسائل أربع
طبت عليها صبغة ثم لم تزل	على صالح الاخلاق والدين تطبع
تغايك عن ذى الذنب ترجو صلاحه	وأنت ترى ما كان يأتى ويصنع
وعفوك عن لو تكون جزيته	لطارت به فى الجو نكباء زعزع
وانك لا تنفك تنعش عائرا	ولم تعترضه حين يكبو ويضلع

وحلمك عن ذي الجهل من بعدما جرى به عنق من طائش الجهل أشنع
 واني لمولاك الذي ان جفوته أتى مستكينا خاشعا يتضرع
 واني لمولاك الضعيف فاعفني فاني لعفو منك أهل وموضع
 ثم تشفع له الهادي واعتهقه ، وأمضى المهدي ذلك له ، وأمر بحديده
 ففك عنه ، وخلع عليه عدة من الخلع ، ووصله بألفي دينار ، وأمر له بجارية
 جميلة فائقة ، فقال له سالم : لا أدفعها لك أو تعطيني الف درهم فعاد الى
 المهدي وأنشده :

ما زلت تبذل لي الاموال مجتهدا حتى لاصبحت ذا أهل وذا مال
 وزوجتي يا ابن خير الناس جارية ما كان أمثالها يهدى لامثالي
 وزوجتي بضة بيضاء ناعمة كأنها درة في كف مختال
 حتى توهمت ان الله عجلها يا ابن الخلائف لي من خير أعمال
 فسالني سالم الفا فقلت له اتى لي الالف يا قبحت من سال
 هيهات القك الا ان اجيء بها من فضل مولى لطيف المن مفضل
 فأمر له المهدي بألف دينار اخرى ولسالم بألف درهم :

٩ - أئته الخلالة منقادة -

جلس المهدي للشعراء يوما فأذن لهم ، وفيهم بشار بن برد أعجمي
 أبوه أخذ في سبى المهلب بن ابي صفرة ، وكان أشجع يأخذ عن بشار
 ويعظمه ، وكان في القوم غير هذين ، أبو العتاهية واسمه اسماعيل بن
 القاسم من أهالي الكوفة ، قال أشجع : فلما سمع بشار كلام أبي العتاهية
 قال : يا أخا سليم ، أهذا ذلك الكوفي الملقب ؟ قلت : نعم ! قال :
 لا جزى الله خيرا من جمعنا معه • ثم قال له المهدي : انشد ، فقال ويحك !
 أو يستشدد أيضا قبلنا ؟ فقلت : قد ترى ، فأنشد :

ألا ما لسيدتي ما لها اولا فأحمل اولالها
 والا ففيم تجنت وما جنيت ! سقى الله اطلالها

الا أن جارية للامسا
م قد أسكن الحسن سر بالها
مشت بين حور قصار الخطى
تجاذب في المشى اكفالها
وقد اتعب الله نفسى بها
واتعب باللوم عدالها
قال أشجع : فقال لى بشار : ويحك يا أخا سليم ! ما أرى من أى
أمر به أعجب : أم ضعف شعره ، أم من تشبيهه بجارية الخليفة ، وهو
يسمع ذلك بأذنه حتى أتى على قوله :

أتته الخلافة منقادة
اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الاله
ولم يك يصلح الالهها
ولو رامها أحد غيره
لزلزلت الارض زلزالها
ولو لم تطعه نيات القلوب
لما قبل الله أعمالها
قال أشجع : فقال لى بشار ، وقد اهتز طربا : ويحك يا أخا سليم
أترى الخليفة لم يطر من فراشه طربا لما يأتى به هذا الكوفى •

١٠ - لولا فصاحتهم لضربت أعناقهم :

أمر الحجاج صاحب حرسه أن يطوف بالليل ، فمن رآه بعد العشاء
سكرانا ضرب عنقه ! فطاف ليلة من الليالى ، فوجد ثلاثة فتيان يتمايلون
وعليهم امارات السكر ، فأحاطت بهم الغلمان ، وقال لهم صاحب الحرس :
من أنتم حتى خالفتم أمر امير المؤمنين ، وخرجتم فى مثل هذا الوقت ؟
فقال أحدهم :

أنا ابن من دانت الرقاب له
ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيه بالرغم وهى صاغرة
يأخذ من مالها ومن دمها
فأمسك عنه ، وقال : لعله من أقارب امير المؤمنين ! ثم قال للآخر :
وأنت من تكون ؟ فقال :

أنا ابن لمن لا تنزل الدهر قدره
وأن نزلت يوما فسوف تعود

تترى الناس أفواجا الى ضوء ناره فمنهم قيام حولها وقعود
فأمسك عنه ، وقال : لعله ابن أشرف العرب ! ثم قال للآخر : وأنت
من تكون ؟ فأشد على البديهة :

أنا ابن لمن خاض الصفوف بعزمه وقومها بالسيف حتى استقامت
وركباه لا ينفك رجلاه منهما اذا الخيل فى يوم الكريهة ولت

فأمسك عنه ايضا ، وقال لعله ابن أشجع العرب ، واحتفظ عليهم •
فلما كان الصباح رفع أمرهم الى الحجاج ، فأحضرهم ، وكشف عن حالهم ،
فاذا الاول ابن حجاج ! والثانى ابن فوال ! والثالث ابن حائك !

فتعجب من فصاحتهم ، وقال لجلسائه : علموا أولادكم الادب ، فوالله
لولا فصاحتهم لضربت أعناقهم !

الخامس عشر - أيام العرب

للعرب أيام هى عنوان عزمهم وفخرهم حوت مكرمات وفضائل تجعلنا
تفاخر بها وتتناول على الامم الاخرى بمفاخرها وهذه الايام حدثت فى
جاهلية العرب وبعد اسلامهم • منها :

١ - معركة ذى قار :-

كان للمنذر ملك الحيرة اثنا عشر ولدا يسمون بالاشاهب لفرط جمالهم
ومن أشهرهم النعمان والاسود ، فأوكل بتربية النعمان الى عدى بن زيد
وبالاسود الى قوم من مرينا وكان عدى مقربا عند الاكاسرة وأحد المترجمين
عندهم الى اللغة العربية ، فلما مات المنذر استدعى كسرى عديا وسأله رأيه
فى اولاد المنذر وأيهم يصلح لخلافة أبيه فأجابه عدى كلهم رجال وأرى أن
تختبرهم بنفسك فدعاهم كسرى الى زيارته فلما حضروا اجتمع بهم عدى
قبل كسرى وأظهر لهم انه يفضلهم جميعا على النعمان لتولى الملك وأخذ
يخلو بهم واحدا واحدا ويقول لهم اذا سألكم الملك « أتكفونى شر العرب ؟

فقولوا : نكفيكم الا من النعمان • وقال للنعمان : اذا سألك الملك هل تكفيني العرب ؟ فقل نعم ، فاذا سألك من لى بأخوتك ؟ فقل له : اذا عجزت عن اخوتي فانا عن غيرهم اعجز • وكان لبني مرينا شاعر داهية يميل الى الاسود بن المنذر فنصححه ألا ينخدع بعدي بن زيد وأكد له أن عديا بن زيد غير مخلص فى نصيحته ، فلم يلتفت الاسود الى قوله ، وحضروا امام كسرى فسألهم رجلا رجلا اتكفوننى شر العرب ؟ فقالوا نعم ، الا النعمان • ولما دخل النعمان سأله كسرى اتكفيننى شر أخوتك وبأس العرب ؟ فقال : نعم • وان عجزت عن اخوتي فانا عن غيرهم اعجز ، فأعجب كسرى بجوابه وساعده على تسلم العرش والبسه تاجا قيمته ستون الف درهم ، وحنق ابن مرينا وذهب الى الاسود وقال : اذا فاتك الملك فلا تنس أن تطلب بتارك من عدى بن زيد الذى ساعد اخاك ، وقد نصحتك قبلا فخالفت نصحتى فخسرت الملك ، وانى اود ان لا يأتيك فائدة من مالك وارضك الا عرضتها على ولى فى هذا مأرب ينفك ، فعمل الاسود بمشورة ابن مرينا ، وكان ابن مرينا غنيا فأخذ يقدم الهدايا والطرف للنعمان يوميا حتى أحبه النعمان وقربه اليه ثم استمال ابن مرينا أصحاب النعمان فمالوا اليه ، ثم أعدّ دسيسة محكمة اذ جعلهم يقولون للنعمان ان عدى بن زيد يقول : انك عامله وانه هو الذى بوأك العرش حتى أضغنوه عليه فأرسل النعمان الى عدى بن زيد يسأله أن يزوره فى الحيرة ، فاستأذن على كسرى وأتى الى النعمان فأمر بحبسه فأخذ عدى ينظم فى السجن الشعر المؤثر فوصل أكثر شعره الى النعمان فخشى اذا هو أطلقه أن يكيد له ، وينتقم منه ، فلم يطلقه ، فنظم عدى قصيدة وأرسلها سرا الى أخيه الذى كان ذا حضوة عند كسرى فأعلمه بحال أخيه ، فكتب كسرى كتابا الى النعمان وأرسله مع رجل من خاصته يطلب فيه اطلاقه وأشار أخو عدى على الرسول أن يدخل على عدى قبل النعمان ففعل ودخل على عدى وأعلمه انه أرسل لاطلاقه فقال له عدى : لا تخرج من عندى

واعطى الكتاب حتى أرسله الى النعمان ، فانك ان خرجت من عندى قتلنى ، فلم يفعل ، ودخل أعداء عدى على النعمان وأعلموه بالخبر ، وخوفوه انتقامه بعد اطلاقه ، فأرسل من خنقه فى السجن ودفنه فيه ، وجاء الرسول بالكتاب الى النعمان • فقال النعمان بعد أن قرأ الكتاب : حبا وكرامة ونفح الرسول اربعة آلاف مثقال ذهب وجارية وقال له : اذا أصبحت فأدخل عليه وخذ أنت بنفسك • ولما أصبح الرسول غدا الى السجن فلم ير عديا وقال له الحرس انه مات منذ أيام فلم تجترىء على أن نخبر الملك خوفا منه لأنه يحرص على حياته • فرجع الى النعمان وأخبره انه رآه بالامس ولم يره اليوم ، فقال النعمان للرسول : كذبت وزاده رشوة واستوثق منه أن لا يخبر كسرى الا بأنه مات قبل أن يقدم عليه ، فرجع الرسول الى كسرى وقال : انى وجدت عديا قد مات قبل أن أدخل عليه • وأخذ اعداء عدى يجترؤن على النعمان حتى أصبح يهابهم وخرج النعمان ذات يوم فرأى ابنا لعدي يقال له زيد ففرح به ولاطفه واعتذر اليه من أمر أبيه وسيره الى كسرى وأرفقه بكتاب سأل فيه كسرى أن يجعل الولد مكان أبيه ففعل وعينه كاتباً عنده يكتب له الى العرب خاصة وأقام عنده سنوات مكرما • وكان ملوك الاعاجم صفة للنساء مكتوبة عندهم ، وكانوا يبعثون فى طلب من تكون على هذه الصفة من النساء ولا يقصدون العرب لأن العرب معروفون بأنفتهم من تزويج العربيات من الاعاجم ولكن زيدا بن عدى قال لكسرى ذات يوم : « اننى أعرف عند النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه أكثر من عشرين امرأة جميلة كلهن على هذه الصفة » فقال كسرى : « اننى أحتاج الى تزويج اولادى وأهلى وأود أن أزوجهم من بنات النعمان » فأجابه زيد : « ايها الملك ان شر شيء فى العرب وفى النعمان خاصة انهم يتكرمون بأنفسهم عن العجم مهما كانت منزلة العجم ، وأرى أن تبعث معى رجلا يفقه العربية ويرى ما يكون » فبعث معه رجلا ورحلا الى الحيرة فدخلا على النعمان

وتكلم زيد وقال : « ان كسرى العظيم قد احتاج الى بنات يزوجهن من ولده وأهله ، وهو يعلم ان الصفات التي يطلبها في عرائس أولاده لا تتوفر الا في بناتك ، فبعث اليك يطلب ود بناتك » • فشق هذا الكلام على النعمان وقال لزيد والرسول يسمع : « اما في مها السواد ما تبغون به حاجتكم » ؟ فسأل الرسول زيدا ما المها ؟ فقال له : البقر ، وأنزلهما النعمان يومين ، ثم كتب الى كسرى يعتذر اليه • وقال لزيد التمس لي العذر عند كسرى ، وعاد زيد والرسول الى كسرى فلما دخلا عليه قال زيد لكسرى : سل هذا الرسول عن الذي قاله فانني اكرم الملك عن ذلك ، ولا أبيع لنفسي التلفظ • قال : فسأل الرسول فأجاب : « انه قال ألا يوجد في بقر السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا » ؟ فغضب كسرى وسخط ، وبلغ هذا النعمان فاستعد ، حتى أتاه بعد أشهر كتاب من كسرى يستدعيه اليه ، فأخذ النعمان سلاحه ورجأ الى قبيلة من طي وطلب منهم أن يمنعوه ويحموه وكانوا ضعافا بالنسبة الى كسرى فلما رأى النعمان ضعفهم تركهم وذهب الى بني شيبان في مكان يسمى (ذى قار) وهو ما بين الكوفة وواسط فنزل عندهم ولقى هناك هانيء بن مسعود الشيباني وكان سيذا هماما فاستجار به فأجاره وقال له : « لقد لزمني ذمامك وأنا مانعك مما أمنع نفسي وأهلي وولدي منه ما بقي من عشيرتي رجل واحد ، ولكن لا يجمل بالرجل أن يكون بعد الملك سوقة ، ولأن تموت كريما خير من أن تتجرع الذل وتبقى سوقة بعد الملك فامض الى كسرى وأحمل اليه الهدايا فإن صفح عنك عدت ملكا عزيزا وان أصابك فالموت خير من أن يتلعب بك صعاليك العرب » فقال النعمان : واهلي ؟ فأجاب هانيء • هن في ذمتي لا يخلص اليهن شر حتى يخلص الى بناتي » فقال النعمان : هذا الرأي صحيح • فأودعه النعمان أهله وماله وفيه اربعمائة درع وتوجه الى كسرى حتى اذا وصل الى المدائن (سلمان باك حاليا) لقيه زيد بن عدى على قنطرة ساباط فقال : « انج نعيم ان استطعت النجاة » •

فقال النعمان : أفعلتها يا زيد ؟ أما والله لأن بقيت لأفعلن بك ما فعلته بأبيك !
فقال زيد : امضِ نعيم فقد وضعت لك عقبه هيهات أن تجتازها ، ولما بلغ
كسرى قدوم النعمان بعث إليه من قيده وأرسله الى سجن خانقين حيث
أصابه الطاعون فمات هناك • فلما علمت بكر بموته ، شرعت تغير
على السواد تثار له فحنق كسرى وأرسل الى هانئ بن مسعود يطلب
ما استودعه أياه النعمان فأبى هانئ ورفض طلب كسرى وقال : « من اسودع
أمانة فهو حقيق أن يردها على من أودعه أياها ولن يسلم العربي الحر
أمانته » فغضب كسرى حين علم ذلك وعقد لعامله على عين التمر (اياس بن
قيصة) على جميع العرب الذين تحت أمرته وجاء بنو شيان الى ذى قار
فأرسل اليهم كسرى رسولا يخيرهم بين واحدة من ثلاث :-

١ - اما أن يسلموا جميع مخلفات النعمان ٢- أن يتركوا ديارهم ٣-
وأما الحرب • فأجمع العرب كلهم على حرب كسرى وصاحوا
صيحة رجل واحد « الثأر ولا العار » وعند ذلك ارسل كسرى اليهم جيشا
عمر ما يقوده أياس بن قيصة ومعه بعض مرابذة الفرس ومعهم جيش
واجمع العرب على اختيار حنظلة بن ثعلبة قائدا لهم • وقبل أن يبدأ
القتال برز من صفوف جيش كسرى عربى هو النعمان بن زرعة وقال :
أتيتكم رسولا من عند كسرى وأتم اخوالى وأهلى والرائد لا يكذب اهله
وقد اتاكم بما لا قبل لكم به من ابطال فارس وفرسان العرب فادفعوا
ودائعكم ورهنا من اولادكم تنجو من المهالك فاجاب حنظلة : قبح الله رأيا
أنت حامله ولا تستطيع جيوش فارس ان تضع ارجلها بطحاء ذى قار وانا
اسمع المنادى ولو لا أن العرب لا تقتل الرسول لما رجعت الى قومك سالما ،
ثم التفت الى هانئ فقال : ان ذمتكم ذمتنا عامة ولن يصل اليك كسرى
حتى تفنى أرواحنا وأنشد :

يا قوم طيبوا بالقتال نفسا اجود يوم أن تعلوا الفرسا

واشار هانى بالانسحاب الى الفلاة غير ان حنظلة قطع حزام هودج زوجته وأحزمة الهودج الاخرى وضرب رأسه قبة حمراء وأقسم أن لا يفر حتى تفر هذه القبة من فوق رأسه واستقوا ماءً يكفيهم نصف شهر • فلما تقدمت اليهم جيوش فارس صاح حنظلة يخاطب بنى بكر وهم مقدمة قبائل ربيعة فقال : يا معشر بكر ان شباب العجم كثير فاذا ارسلوه لم يخطئكم فعاجلوه باللقاء والتحموا معهم بالسيوف • ثم نهض هانىء وقال : يا قوم مهلك مقدور خير ممن فرار مغرور ، وان الحذر لا يدفع القدر ، وان الصبر من أسباب الظفر ، المنية ولا الدينة واستقبال الموت خير من استدباره يا قوم جدوا فما من الموت بد ، ويا آل بكر شدوا واستعدوا ، والا تشدوا تردوا • ثم وقف شريك بن عمر احد رؤسائهم فقال : يا قوم انما تهابونهم لانكم ترونهم عند الحرب أكثر منكم وكذلك انتم فى اعينهم ، وعليكم بالصبر فان الاسنة تروى الاعنة يا آل بكر الى الامام قدما قدما •

وبدأ القتال واشتد وطيسه وحمى سعيره فانهزم العجم فى الهجمة الاولى فلحقتهم فتيان يعرب وابلت فيهم بلاءا حسنا واخذوا يضربون فى أافية العجم حتى حالوا الى بطحاء ذى قار فاشتد هناك القتال فخرج قائد الفرس الهامرز فبرز اليه الحارث بن شريك وقتله وعند اشتداد القتال انحاز العرب الذين مع الفرس الى جانب اخوانهم العرب اذ عز عليهم ان يقاتلوا اخوتهم وبنى عمومتهم ففر الفرس وهزموا هزيمة منكرة وعقبتهم العرب حتى ادخلوهم سواد فارس وقتل العرب من الفرس خلقا كبيرا وغنموا كثيرا وكان اول الواصلين الى كسرى باخبار الهزيمة قائده العميل اياس بن قبيضة واعتبر العرب يوم ذى قار تاريخا فاصلا بين عهد العبودية وعهد الاستقلال والحرية ولما بلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه

قال « هذا أول يوم انتصفت العرب فيه من العجم وبى نصروا » وروى ان
النبي صلى الله عليه وسلم رويت له الواقعة بالمدينة فرفع يديه الى السماء
ودعا لبني ربيعة وقال (اللهم انصر ربيعة) وهذا برهان آخر على عروبة
النبي العربي الكريم • وقد وقعت ذى قار بعد بدر بقليل فباركهما الله معا •

٢ - مقتل كليب وحرب البسوس : -

كان كليب قد عزَّ وساد في ربيعة ، فبغى بغيا شديدا ، وكان هو
الذى ينزلهم منازلهم ويرحلهم ، ولا ينزلون ولا يرحلون الا بأمره ،
فضرب به المثل في العز فقيل « أعز من كليب وائل » وكان لا يجير أحد
من بكر وتغلب الا بأذنه ، ولا يحمى حمى الا بأمره •
وكان لمرة بن زهل من شيان عشرة بنين ، حبساس اصغرهم ،
وكانت اختهم زوجة كليب •

وكان حبساس خالة تعرف بالبسوس ، فجاءت فنزلت على ابن اختها
حبساس ، فكانت جارة لبني مرة ومعها ابن لها ، ولهم ناقة خوارة ،
ومعها فصيل ، فرأى كليب الناقة فأنكرها ، فقال : لمن هذه ؟ قالوا لحالة
حبساس ، قال : أو قد بلغ من امر ابن السعدية أن يجير عليّ بغير اذني !
ارم ضرعها يا غلام ، فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة فاحتلط دمها بلبنها •
وراقت الرعاة على حبساس فأخبروه بالامر ، فقال : اطلبوا لها
مكيالي لبن ، ولا تذكروا لها من هذا شيئا •

فسكت حبساس حتى ضمن ابن وائل ، فمرت بكرٌ على نهبي يقال
له شبيث فنفاهم كليب عنه ، وقال : لا يدوقون منه قطرة • ثم مروا على
نهبي آخر يقال له الاحص فنفاهم عنه ، ثم مروا على بطن الجريب فمنعهم
اياه ، حتى نزلوا الذنائب وتبعهم كليب وحيّة حتى نزلوا عليه •
ثم مر عليه حبساس وهو واقف على غدير الذنائب ، فقال: طردت

اهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشا ! فقال كليب : ما منعناهم من ماء ،
الا ونحن له شاعلون ، فقال له حبساس : هكذا كفعلك بناقة خالتي !
فقال له : أوقد ذكرتها ! أما اني لو وجدتها في غير ابل مرة لاستحللت تلك
الابل بها !

فعطف عليه حبساس فرسه ، فطعنه برمح فأنفذه خصيته ، فلما
تداعمه الموت قال : يا حبساس ، اسقني من الماء ، قال : ما عَقَلْتَ
استسقاءك الماء منذ ولدتك امك الا ساعتك هذه ! ثم أمال يده بالفرس
حتى انتهى الى اهله •

فقال اخته حين رأته لابيها : ان ذا حبساس " أتى خارجة ركبناه ،
قال : والله ما خرجت ركبناه الا لامر عظيم •

فلما جاء قال : ما ورائك يا بني ؟ قال ورائي أني قد طعنت طعنة
للسعول بها شيوخ وائل زمنا ؟ قال : أقتل كليبيا ؟ قال : نعم ! قال :
ووددت انك واخوتك كنتم متم قبل هذا ، ما بي الا ان تشاءم بي أبناء
روائل ! فقال حبساس :

تأهب عنك اهبة ذى امتناع فأن الامر جلّ عن التلاحى
فأنى قد جنيت عليك حربا تُغصُ الشيخ بالماء القراح
فأجابه أبوه :

فان تك قد جنيت عليّ حربا فلا وانٍ ولا رثَ السلاح
سألبس ثوبها وأدي عني بها يوم المذلة والفضاح

وكان همام بن مرة آخى مهلهلا وعاقده ألا يكتمه شيئا ، فجاءت
أمة له فأسرت اليه قتل حبساس كليبيا ، فقال مهلهل : ما قالت ؟ فلم يخبره
فذكره العهد بينهما ، فقال : اخبرتنى ان حبساسا قتل كليبيا ، فلم يصدق
مهلهل الخبر ، واجتمع نساء الحي للمآتم فقلن لاخت كليب : رحلي جليله

عن مأمك « زوج كليب وأخت حبساس » فأن قيامها فيه شماتة وعار
علينا عند العرب ، فقالت لها : يا هذه اخرجي عن مأمنا ، إنتِ اختِ
واترنا وشقيقة قاتلنا ، فخرجت وهي تجرُ أعطافها ، فلقبها أبوها مرة
فقال : ما وراءك يا جليلة ؟ فقالت ثكل العدو وحزن الابد ، وفقد خليل ،
وقتل اخ عن قليل ، وبين ذين غرس الاحقاد ، وتفتت الاكباد .

فقال لها : اويكفى ذلك كرم الصفح واغلاء الديات ؟ فقالت جليلة :
امنية' مخدوعٍ ورب الكعبة ! أبا لبدنِ تدعُ لك تغلب دمَ ربها ؟
ولما رحلت جليلة قالت اخت كليب : رحلة المعتدى وفراق الشامت!
ويل غدا لآل مرة ، من الكرّة بعد الكرة . فبلغ قولها جليلة ، فقالت :
وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها ؟ اسعد الله جدّ اختي !
أفلا قلت : نفرة الحياء ، وخوف الاعتداء ثم انشأت تقول :

تعجلي باللوم حتى تسألي	يأبنة الاقوام ان شئتِ فلا
يوجب اللوم فلومي واعذلي	فاذا انت تبينت الذي
شنقٍ منها عليه فأفعلي	ان تكن اخت امرىء ليمت عليّ
حسرتي عما انجلت أو تنجلي	جل عندي فعل حبساسٍ فيا
قاطعٌ ظهرى ومدنٍ اجلي	فعل حبساس على وجدى به
سقف بيتي جميعا من علٍ	يا قتيلا قوض الدهر به
وانثنى فى هدم بيتي الاول	هدم البيت الذي استحدثته
خصنى الدهر برزءٍ معضل	يا نسائي دونكن اليوم قد
من ورائي ولظى مستقبلي	خصنى قتل كليب بلظى
انما يبكى ليوم ينجلى .	ليس من يبكى ليومين كمن
درّكى ثأرى ثكل المثل	يشتقى المدرك بالثأر وفي
يدلاً منه دماً من أكحلي	ليته كان دمي فأحتلبوا
ولعل الله أن يرتاح لي	انتي قاتلةٌ مقتولةٌ

ثم قال بنو تغلب بعضهم لبعض : لا تعجلوا على اخوتكم حتى
تعذروا بينكم وبينهم ، فانطلق رهط من اشرافهم وذوى أسانفهم حتى
أتوا مرة بن ذهل ، فعظموا ما بينهم وبينه وقالوا : اخترنا خصالا : اما
ان تدفع الينا حبسائنا فنقتله بصاحبنا ، فلم يظلم من قتل قاتله ، واما ان
تدفع الينا هماما واما ان تقيدنا من نفسك ♦

فسكت وقد حضرته وجوه بنى بكر بن وائل ، فقالوا : تكلم غير
مخذول ، فقال : اما حبسائنا فغلام حديث السن ركب رأسه ، فهرب
حين خاف ، فلا علم لي به ، واما همام فأبو عشرة ، وأخو عشرة ، ولو
دفعته اليكم لصاح بنوه فى وجهى ، وقالوا : دفعت أبانا للقتل بجريرة
غيره ؟ واما أنا فلا اتعجل الموت ، وهل تزيد الخيل على ان تجول جولة
فأكون أول قتيل !

ولكن هل لكم فى غير ذلك ؟ هؤلاء بنى ، فدونكم احدهم فاقتلوه
به ، وان شئتم فلکم الف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل ، فغضبوا وقالوا :
انا لم نأتك لترذل لنا بنيك ، ولا لتسومنا اللبن ، فنفرقوا ووقعت الحرب ♦
٣ - الهجرس بن كليب يثار لابييه :

ولدت جليلة زوج كليب غلاما فسمته الهجرس ، ورباه خاله
حبسائس ، فكان لا يعرف أباً غيره ، وزوجه ابنته ♦ فوقع بين الهجرس
ووين رجل من بنى بكر بن وائل كلام ، فقال له البكرى : ما أنت بمنته
حتى نلحقك بأبيك فأمسك عنه ، ودخل الى امه كئيها ، فسألته عما به ،
فأخبرها الخبر ♦

فلما آوى الى فراشه ، ونام الى جنب زوجته وضع انفه بين ثدييها ،
وتنفس تنفساً تنفط ما بين ثدييها من حرارتها ، فقامت الجارية فزعة ،
وقد ألقها رعدة حتى دخلت على أبيها ، فقصت عليه قصة الهجرس ،
فقال حبسائس : ثائر " ورب الكعبة !

وبات حبساس قلقاً حتى أصبح ، فأرسل الى الهجرس فأتاه فقال له ، انما انت ولدى ومنى بالمكان الذى قد علمت ، وقد زوجتك ابنتى ، وأنت معى ، وقد كانت الحرب فى أيبك زمانا طويلا حتى كدنا نفنى ، اصطلحنا وتحاجزنا ، وقد رأيت ان تدخل فيما دخل الناس فيه من الصلح ، وان تنطلق حتى تأخذ عليك مثل ما أخذ علينا وعلى قومنا •

فقال الهجرس : أنا فاعل ، ولكن مثلى لا يأتى قومه الا بلامته وفرسه ، فتحمله حبساس على فرسه واعطاه لامة ودرعا ، فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما • فقص عليهم حبساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا اليه من العاقبة ، ثم قال : وهذا الفتى ابن اختى قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد ما عقدتم ، فلما قربوا الدم ، وقاموا الى العقد أخذ الهجرس بوسط رمحه ، ثم قال : (وفرسى واذنيه ، ورمحى ونصليه ، وسيفى وغرّيه ، لا يترك الرجل قاتل ابيه وهو ينظر اليه) ثم طعن حبساس فقتله ، ولحق بقومه ، فكان آخر قتيل فى بكر ابن وائل •

٤ - ضيعنى صغيرا ، وحملنى دمه كبيرا !

كان حجر فى بنى اسد ، وكانت له عليهم اتاوة فى كل سنة مؤقّنة ، فغير ذلك دهرا ، ثم بعث اليهم جابيه الذى كان يجيهم ، فمنعوه ذلك - وحجر يومئذ بتهمة - وضربوا رسله ، وخرجوهم خرجا شديدا قبيحا •

فبلغ ذلك حجرا ، فسار اليهم بجند من ربيعة وقيس وكنانة ، فأتاهم وأخذ سراهم ، فجعل يقتلهم بالعصا ، واباح الاموال وصيرهم الى تهامة ، آلى بالله ألا يساكنوهم فى بلد أبدا ، وحبس منهم عمرو بن مسعود الاسدى ، وكان سيدا ، وعبيد بن الابرص الشاعر ، فسارت بنو اسد ثلاثاً •

ثم ان عبيد بن الابرص قام فقال : أيها الملك اسمع مقالتي :

يا عين فأبكي ما بنى	اسد فهم اهل الندامة
اهل القباب الحمر	والنعم المؤبن والمدامة
وذوى الجياد الجرد والا	سل المثقفة المقامة
حَلَّا ايت اللعن حَلَّا ان	فيما قلت آمه
في كيل واد بين يث	رب فالقصور الى اليمامة
تطريب عان أو صياح	محرق او صوت هامة
ومنعتهم نجدا فقد	حلّوا على وجل تهامة
برمت بنو اسد كما	برمت لبيضتها الحمامة
جعلت لها عودين من	نشم وآخر من ثمامة
امّا تركت تركت عف	وآ او قتلت فلا ملامة
انت المليك عليهم	وهم العبيد الى القيامة
ذلوا لسوطك مثل ما	ذل الأشيقر ذو الخزامة

فرق لهم حجر حين سمع قوله ! فبعث في أثرهم فأقبلوا ، حتى اذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم فقال لبنى أسد : من الملك الاصب ، الغلاب غير المغلب ، في الابل كأنها الربرب ، لا يقلق رأسه الصخب ؟ هذا دفه ينشب ، وهذا غدا اول من يسلب .

قالوا : من هو ؟ قال : لولا ان تجيش نفس جاشية لاخبرتكم انه

• حجر

فركبوا كل صعب وذلول ، فما اشرق لهم النهار - حتى أتو على عسكر حجر فهجموا على قبه ، وهزموا اصحابه واسروه فحبسوه ، وتشاور القوم في قتله ، فقال لهم كاهن من كهنتهم بعد ان حبسوه ليروا رأيهم فيه : أي قوم ! لا تعجلوا بقتل الرجل حتى ازجر لكم .

فانصرف عن القوم لينظر فى قتله ، فلما رأى ذلك علياء بن الحارث الكاهلى خشى ان يتواكلوا فى قتله ، فدعا غلاما من بنى كاهل وكان ابن اخته - فقال : يا بنى ، أعندك خير فتأر بأبيك ، وتنال شرف الدهر ، وان قومك لن يقتلوك !؟

فلم يزل بالغلام حتى أقنعه ، ودفع اليه حديدة وقد شحذها وقال : ادخل عليه مع قومك ، ثم اطعنه فى مقتله •

فعمد الغلام الى الحديدة فخبأها ، ثم دخل على حاجر فى قبته التى حبس فيها • فلما رأى الغلام غفلة وثب عليه فقتله ، فوثب القوم على الغلام فقالت بنو كاهل : ثأرنا وفى ايدينا !

فقال الغلام : انما ثأرت بأبى فخللوا عنه •

واقبل كاهنهم المزدرجر فقال : أى قوم ! قتلتموه ! ملك شهر ، وذل دهر ، أما والله لا تحظون عند الملوك بعده أبدا •

ولما طعن الغلام حجرا ولم يجهز عليه ، اوصى ودفع كتابه الى رجل وقال له : انطلق الى ابنى نافع - وكان اكبر ولده - فأن بكى وجزع فأله عنه ، واستنفرهم واحدا واحدا ، حتى تأتى امرأ القيس - وكان اصغرهم - فأيهم لم يجزع فادفع اليه سلاحى وخيلى ووصيتى ، وبين فى وصيته من قتله ، وكيف كان خبره •

فانطلق الرجل بوصيته الى نافع ابنه فأخذ التراب فوضعه على رأسه ، ثم استنفرهم واحدا واحدا ، فكلهم فعل ذلك ، حتى اتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويداعبه بالنرد ، فقال له : قتل حجرا ، فلم يلتفت الى قوله ، وامسك نديمه • فقال له امرؤ القيس : اضرب فضرب ، حتى اذا فرغ قال : ما كنت لافسد عليك لعبتك •

ثم سأل الرسول عن أمر ابيه كله ، فأخبره ، فقال : الخمر على النساء حرام ، حتى اقتل من بنى اسد مائة واجز نواحي مائة •

وكان امرؤ القيس قد طرده ابوه حجر ، وآلى ألا يقيم معه أنفةً
من قوله الشعر - وكانت الملوك تأنف من ذلك - فكان يسير في
احياء العرب ومعه اخلاط من شذاذ العرب : من طيء وكلب وبكر بن
وائل ، فاذا صادف غديرا او روضة او موضع صيد اقام فذبح لمن معه في
كل يوم ، وخرج الى الصيد فتصيد فأكل واكلوا معه ، وشرب الخمر
وسقاهم وغنته قيانه •

ولا يزال كذلك حتى ينفذ ماء ذلك الغدير ، ثم ينتقل عنه الى غيره •
فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدمون من ارض اليمن فقال :

تطاول الليل علينا دمون دمون انا معشر يمانون
وانا لاهلنا محبون

ثم قال : ضيعني ابي صغيرا ، وحملني دمه كبيرا • لا صحو اليوم ،
ولا سكر غدا ، « اليوم خمر ، وغدا امر » ثم قال :
خليلي لا في اليوم مصحى لشارب ولا في غدٍ اذ ذاك ما كان يشرب
ثم شرب سبعا ، فلما صحا آلى ألا يأكل لحما ، ولا يشرب خمرا ،
ولا يدهن بدهن ، ولا يصيب امرأة حتى يدرك بثأره ، فلما جنّه الليل
رأى برقاً ، فقال :

ارقت لبرق بليل أهلّ يضيء سناه بأعلى الجبل
أتاني حديث فكذبتّه بأمر تزعزع منه القلّل
بقتل بنى اسد ربهم ألا كل شيء سواء جلل
فاين ربيعة عن ربها وأين تميم وأين الخول
ألا يحضرون لدى بابيه كما يحضرون اذا ما أكلّ

وارتحل امرؤ القيس حتى نزل بكرةً وتغلب ، فسألهم النصر ،
وبعث العيون على بنى اسد ، فلما كان الليل قال لهم علياء : يا معشر بنى

أسد : تعلمون والله ان عيون امرىء القيس قد أتتكم ، ورجعت اليه
بخبركم ، فأرحلوا بليل ، ولا تعلموا بنى كنانة ، ففعلوا •

واقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب ، حتى انتهى الى بنى
كنانة وهو يحسبهم بنى اسد ، فوضع السلاح فيهم ، وقال : يا لثارات
الملك ! يا لثارات الهمام ! فخرجت اليه عجوز من بنى كنانة فقالت : أبيت
اللعن ! لسنا لك بثأر ، نحن من كنانة ، فدونك ثأرك فأطلبهم ، فان القوم
ساروا بالامس •

فتبع بنى اسد ، فقال :

ألا يا لهف هند إثر قوم هم كان الشفاء فلم يصابوا

وأدركهم ظهرا ، وقد تقطعت خيله ، وقطع أعناقهم العطش ، وبنو
اسد جامون على الماء ، فنهذ اليهم فقاتلهم ، حتى كثرت الجرحى والقتلى
فيهم ، وحجز الليل بينهم ، وهربت بنو اسد •

فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم ، وقالوا له : قد أصبت
ثأرك • قال : والله ما فعلت ولا أصبت من بنى كاهل ولا من غيرهم من
بنى أسد أحدا • قالوا : بلى ، ولكنك رجل مشثوم ، وكرهوا قتالهم ،
وأنصرفوا عنه ، فمضى هاربا لوجهه حتى لحق بجمير •

فاستأجر من قبائل العرب رجالا ، فسار بهم الى بنى اسد ، ومروا
بصنم للعرب تعظمه ، فاستقسم عنه بقداحه ، وهى ثلاثة : الأمر ،
والناهى ، والمتربص • فأجالها فخرج الناهى ، ثم اجالها فخرج الناهى ،
فجمعها فكسرها وضرب بها وجه الصنم ، وقال : لو أبوك قتل ما عقتنى ،
ثم خرج فظفر بنى اسد •

وألح المنذر فى طلب امرىء القيس ، ووجه الجيوش فى طلبه من
أيادى وبهراء وتنوخ ، وأمدته أنو شروان بجيش من الاساورة فسرحهم فى

طلبه ، فلم يكن لامرئ القيس بهم طاقة ، ففترقت حمير ومن كان معه
عنه ، فنجوا في عصابة من بنى آكل المرار ، ونزل بعض رؤساء القبائل
يستجير بهم ، وصار يتحول عنهم الى غيرهم ، حتى نزل برجل من بنى
فزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازن ، فطلب منه الجوار ، حتى يرى
ذات عيبه •

فقال له الفزاري : يا بن حجر ، اني اراك في خلل من قومك ،
وأنا أنفستك بمثلك من اهل الشرف ، وقد كدت بالامس تؤكل في دار
طىء ، واهل البادية أهل وبر ، لا اهل حصون تمنعهم ، وبينك وبين اهل
اليمن ذؤبان من قيس ، أفلا ادلك على بلد ! فقد جئت قيصراً ، وجئت
النعمان فلم أر لضيف نازل ولا لمجد مثله ولا مثل صاحبه •

قال : من هو ؟ وأين منزله ؟ قال : السموءل بقيماء ، وهو يمنع
ضعفك حتى ترى ذات عيبك ، وهو في حصن حصين وحسب كبير •
فقال له امرؤ القيس : وكيف لي به ؟ قال : اوصلك الى من يوصلك
اليه •

فصاحبه الى رجل من بنى فزارة يقال له الربيع بن ضبع الفزاري
ممن يأتي السموءل فيجمله ويعطيه •

فلما صار اليه قال له الفزاري : ان السموءل يعجبه الشعر ، فتعال
نتناشد له اشعارا ، فقال امرؤ القيس : قل حتى اقول • فقال الربيع :
قل للنية أى حين نلتقى بقاء بيتك فى الحضيض المزلق
ولقد أتيت بين المصااص مفاخرا والى السموءل زرتة بالابلق
فأتيت افضل من تحمل حاجة إن جئته فى غارم او مرهق
عرفت له الاقوام كل فضيلة وحوى المكارم سابقا لم يسبق
فقال امرؤ القيس :

طرقتك هند بعد طول تجنب
وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق

ثم مضى القوم حتى أقدموا على السموءل ، فأنشدو الشعر ، وعرف
لهم حقهم ، ثم انه طلب اليه ان يكتب له الى الحارث بن ابي شمر الغساني
ليوصله الى قيصر .

ومضى حتى انتهى الى قيصر ، فقَبِلَه وَاكْرَمَه ، وكانت له عنده
منزلة . ثم ان قيصر ضم اليه جيشا كثيفا ، فيه جماعة من أبناء الملوك ،
فلما فعل قال لقيصر قوم من اصحابه : قولا شككته بنية امرىء القيس
ووخوفوه منه .

فبعث اليه حينئذ بحلة مسمومة منسوجة بالذهب ، وقال له انى
ارسلت اليك بحلتى التى كنت البسها تكرمةً لك ، فاذا وصلت اليك
فألبسها باليمن والبركة ، واكتب اليّ بخبرك من منزل الى منزل .
فلما وصلت اليه لبسها ، واشتد سروره بها ، فأسرع فيه السم
وسقط جلده ، فقال :

لقد طمخ الطماح من بعد ارضه ليلسنى مما يلبس أبؤساً
فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفُساً

فلما صار الى بلدة من بلاد الروم تدعى انقره احتضر بها فقال :

رب جفنة متعجزة وطفنة مستحضرة

تبقى غدا بأنقره

ورأى قبر امرأة من ابناء الملوك ماتت هناك ، فدفنت فى سفح جبل
يقال له : عَسِيب ، فسأل عنها فأخبر بقصتها ، فقال :

عاذلتى إن المزار قريب وإنى مقيم ما أقام عسيب
اجارتنا إنا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب

ثم مات ودفن هناك .

٥ - فى يوم اليرموك :

شهد اليرموك الف رجل من اصحاب رسول الله فيهم مائة من اهل بدر ، وكان ابو سفيان يسير فيقف على الكراديس فيقول : الله الله انكم زادة العرب وانصار الاسلام ، وانهم زادة الروم وانصار الشرك ، اللهم ان هذا يوم من ايامك ، اللهم انزل نصرك على عبادك *

وأمر خالدٌ عكرمة والقعقاع ، فأشبا القتال ، وارتجز القعقاع

وقال :

يا ليتنى القاك فى الطراد قبل اعتزام الجحفل الوراد

وقال عكرمة :

قد علمت بفتكتى الجوارى أتى على مكرمة أحامى

فشب القتال ، والتحم الناس ، وتطارد الفرسان ، فبينما هم على ذلك اذ قدم البريد من المدينة فأخذته الحيلول ، وسألوه الخبر ، فلم يخبرهم إلا بسلامة ، وأخبرهم عن امداد ، وانما جاء بموت ابى بكر رحمه الله ، وتأمير أبى عبيدة !

فأبلغوه خالدا فأخبروه خبر أبى بكر اسرّه اليه ، واخبره بالذى أخبر به الجند ، فقال : احسنت فقف وأخذ الكتاب ، وجعله فى كنانته ، وخاف ان هو أظهر ذلك ان يتشتر له امر الجند ، فوقف محمية بن زعيم مع خالد - وهو الرسول - وخرج جرجة حتى كان بين الصفين ، ونادى ليخرج الى خالد !

فخرج اليه خالد ، وأقام ابا عبيدة مكانه ، فواقفه بين الصفين حتى اختلفت اعناق دابتهما ، وقد أمن احدهما صاحبه ، فقال جرجة : يا خالد ، اصدقنى ولا تكذبنى فان الحر لا يكذب ، ولا تخادعنى فان الكريم

لا يخادع ، هل انزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكمه فلا تسله على قوم إلا هزمتهم ، قال : لا ! قال : فيما سميت سيف الله ؟ قال : ان الله عز وجل بعث فينا نبيه ، فدعانا فنفرنا عنه ، وتآبينا جميعاً ، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا باعده وكذبه ، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ، ثم ان الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه ، فقال : انت سيف من سيوف الله سلته الله على المشركين ، ودعا لي بالنصر ، فسميت سيف الله بذلك ، فأنا من أشد المسلمين على المشركين ، قال صدقتني !

ثم اعاد اليه جرجة : يا خالد ، اخبرني إلام تدعوني ؟ قال : الى شهادة أن لا اله إلا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، والاقرار بما جاء به من عند الله ، قال : فمن لم يجيكم ؟ قال فالجزية ونمنعه ! قال : فان لم يعطها ؟ قال تؤذنه بحرب ثم نقاتله ! قال : فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيكم الى هذا الامر اليوم ؟ قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضعنا وأولنا وآخرنا •

ثم أعاد عليه جرجة : هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل ما لكم من الاجر والذخر ؟ قال : نعم وأفضل • قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟

قال : انما دخلنا في هذا الامر ، وبايعنا نبينا وهو حي بين اظهرينا تأتية اخبار السماء ، ويخبرنا بالكتب ، ويرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا ان يسلم ويبايح ، وانكم انتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل في هذا الامر بحقيقة ونية كان افضل منا •

قال جرجة : بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني ؟ قال : با الله لقد صدقتك وما بي اليك ولا الى احد منكم وحشة ، وان الله لولي

ما سألت عنه • فقال : صدقتى وقلب الترس ومال مع خالد ، وقال :
علمنى الاسلام ، فمال به خالد الى فسطاطه فشف عليه قربة من ماء وصلى
ركعتين !

٦ - فى يوم القادسية :

كان ابو محجن الثقفى قد اتهم بشرب الخمر ففناه سيدنا عمر
رضى الله عنه ، الى جزيرة فى البحر ، وبعث معه حرسا ، فهرب منهم ولحق
بسعد بن ابى وقاص ، وهو فى حربه مع الفرس - وكانت حرب القادسية
المعركة التى غيرت مجرى تاريخ العروبة فى بلاد الشرك •

ولما بلغ عمر خبر هروبه كتب الى سعد بجسبه ، فجسبه فى القصر ،
وتطلع ابو محجن الى الحرب ، فرآها مشتعلة ، فطلب الى سلمى بنت ابى
حفص زوج سعد ، فقال لها : هل لك فى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال
تخلين عنى وتعيننى اللقاء ولامة حرب سعد ، فالله على ان سلمنى الله
ان ارجع اليك حتى تضعى رجلى فى قيدي ، فقالت : وما انا وذاك ؟ فارجع
يرسف فى قيوده ، ويقول :

كفى حزنًا ان ترتدى الحيل بالقنا	وأترك مشدودا علي وثاقيا
اذا قمت عنانى الحديد وغلقت	مصاريح من دونى تصم المناديا
وقد كنت ذا مال كثير واخوة	فقد تركونى واحدا لا أخا ليا
وقد شف جسمى انى كل شارف	اعالج كبلا مصمتا قد برانيا
فله درى يوم أترك موثقا	وتذهل عنى اسرتى ورجاليا
حيسا عن الحرب العوان وقد بدت	واعمال غيرى يوم ذاك العواليا
ولله عهد لا أخيس بعهده	لئن فرجت ألا ازور الحوانيا

فقلت له سلمى : انى قد استخرت الله ورضيت بعهدك واطلقته •
فاقتاد ابو محجن الفرس ، وأخرجها ثم ركبها ، ودب عليها ، وفى ذلك

اليوم أظهر من شجاعته عجباً • ولما تحاجز أهل العسكريين أقبل ابو
محجن حتى دخل القصر ، ووضع نفسه عن دابته ، وأعاد رجله في
القيد وقال :

لقد علمت ثقيف غير فخرٍ بأنا نحن اكرمهم سيوفاً
واكثرهم دروعاً سابقاتٍ واصبرهم اذا كرهوا الوقوفاً
فإن احبَسَ فقد عرفوا بلائى وان اطلق اجرعهم خوفاً

فقلت له سلمى : يا أبا محجن ، فى أى شىء حبسك هذا الرجل ؟
فقال : اما والله ما حبسنى بحرام اكلته ولا شربته ، ولكنى كنت صاحب
شراب فى الجاهلية ، وانا امرؤٌ شاعر ، يدب الشعر على لسانى ، فينفثه
احياناً ، فحبسنى لانى قلت :

اذا مت فأدفننى الى اصل كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقتها
ولا تدفننى بالفلاة فأننى اخاف اذا ما مت أن لا أذوقها

فذهبت الى سعد واخبرته خبر ابى محجن ، فدعا به واطلقه ،
وقال : اذهب فما أنا مؤخذك بشىء تقوله حتى تفعله ، فقال والله لا أجت
لسانى الى قبيح ابدا •

٧ - فى فتح نهاوند :

بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه السائب بن الاقرع مولى ثقيف ،
وكان رجلاً كاتباً حاسباً ، فقال الحق بهذا الجيش - جيش المسلمين
بنهاوند - فكن فيهم ، فان فتح الله عليهم فأقسم على المسلمين فيهم ، وخذ
خمس الله وخمس رسوله ، وان هذا الجيش اصيب فأذهب فى سواد
الارض فبطن الارض خير من ظهرها •

قال السائب : فلما فتح الله على المسلمين نهاوند اصابوا غنائم عظيماً ،
فوالله انى لا قسم بين الناس اذ جاءنى علج من اهلها ، فقال : أتؤمننى على

نفسى واهلى واهل بيتى على أن ادلك على كنوز آل كسرى ، تكون لك
ولصاحبك ولا يشركك فيها احد؟ قال : قلت نعم ! قال : فابعث معى من
ادله عليها • فبعثت معه احد رجالى فأتى بسفطين عظيمين ليس فيهما إلا
الؤلؤ والزبرجد والياقوت •

فلما فرغت من قسمى بين الناس احتملتها معى ، ثم قدمت على عمر
ابن الخطاب فقال : ما وراءك يا سائب؟ فقلت : خيرا يا أمير المؤمنين ، فتح
الله عليك بأعظم الفتح ، واستشهد النعمان بن مقرن رحمه الله ، فقال
عمر : انا لله وانا اليه راجعون ، فبكى حتى نشج •

فلما رأيت ذلك قلت : والله يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده من رجل
يعرف وجهه !

ثم قام ليدخل المسجد فقلت : ان معى مالا عظيما قد جئت به ، ثم
اخبرته خبر السفطين ، فقال : ادخلهما بيت المال حتى تنظر فى شأنهما ،
والحق بجندك ، فأدخلتهما بيت المال ، وخرجت سرىعا الى الكوفة •

قال : وبات تلك الليلة التى خرجت فيها ، فلما اصبح بعث نى أثرى
رسولا فوالله ما أدركنى حتى دخلت الكوفة ، فأنخت بعيرى واناخ بعيره
على عرقوبى بعيرى ، فقال : الحق بأمر المؤمنين ، فقد بعثنى فى طلبك ،
فلم اقدر عليك إلا الآن ! قلت : ويلك ، ماذا ؟ ولماذا ؟ قال : لا ادرى
والله •

فركبت معه حتى قدمت عليه ، فلما رآنى قال : مالي ولا ابن ام
السائب؟ بل ما لابن ام السائب وما لي؟ قلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين؟
قال ويحك ! والله ما هو الا ان نمت فى الليلة التى خرجت فيها فبات
ملائكة ربه تسحبني الى ذينك السفطين يشتعلان نارا ، يقولون : لنكويَنَّك
بهما ، فأقول : انى ساقسمهما بين المسلمين ، فخذها عنى لا أبأ لك ،

والحق بهما فبعهما في اعطية المسلمين وارزاقهم !

قال : فخرجت بهما حتى وضعتهما في مسجد الكوفة ، فابتاعهما مني عمرو بن حريث المخزومي بألفي ألف ، ثم خرج بهما الى أرض الاعاجم فباعهما بأربعة آلاف ألف .

٨ - في فتح بيت المقدس :

لما تكامل للمسلمين فتوح الشام ، واقاموا على دمشق شهرا ، جمع قائدهم ابو عبيدة امراء المسلمين واستشارهم في المسير الى قيسارية او الى بيت المقدس ، قال معاذ بن جبل : أيها الامير ، اكتب الى امير المؤمنين عمر بما أمرك فامتله . فقال له أصبت الرأي يا معاذ .

ثم كتب الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلمه بذلك ، وارسل الكتاب مع عرفجة ابن ناصح النخعي ، فسار حتى وصل الى المدينة ، فسلم الكتاب الى عمر .

فقرأه على المسلمين واستشارهم ، فقال علي بن أبي طالب : يا أمير المؤمنين ، 'مر' صاحبك ينزل بجيوش المسلمين الى بيت المقدس ، فاذا فتح الله بيت المقدس ، حرف وجهه الى قيسارية ، فانها تفتح بعدها ان شاء الله .

فدعا عمر بدواة وكتب . « بسم الله الرحمن الرحيم . من عمر بن الخطاب الى عامله بالشام أبي عبيدة .

اما بعد ، فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو ، واصلى على نبيه . وقد وصل اليّ كتابك تستشيرني الى أي ناحية تتوجه ؟

وقد اشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير الى بيت المقدس ، فان الله يفتحها على يدك ، والسلام » .

ولما وصل الكتاب الى أبي عبيدة قرأه على المسلمين ، وفرحوا بالمسير

الى بيت المقدس ، وتقدم الجيش اليها ، وأقام المسلمون فى القتال عشرة أيام ، واهل بيت المقدس يظهرن الفرح وعدم الخوف •

فلما كان اليوم الحادى عشر اشرفت عليهم راية ابى عبيدة وخالد عن يمينه وعبدالرحمن بن ابى بكر عن يساره ، فضج الناس بالتهليل والتكبير ، ووقع الرعب فى قلوب اهل بيت المقدس ، فاجتمعوا فى البيعة المعظمة عندهم •

فلما وقفوا بين يدى البطرک قال لهم : ما هذه الضجة التى أسمع ؟ قالوا : قد قدم امير المؤمنين بقیة المسلمين •

فلما سمع ذلك تربد وجهه ، وقال : اننا وجدنا فى علمنا الذى ورثناه : بأن الذى يفتح الارض هو الرجل الاحمر ، صاحب نبيهم محمد . فان كان قدّم عليكم فلا سبيل الى قتاله ، ولا بد ان أشرف عليه ، وانظر الى صفته ، فان كان هو اجبته الى ما يريد ، وان كان غيره فلا بأس عليكم •

ثم وثب قائما والقسس والرهبان من حوله ، وقد رفعوا الصلبان على رأسه ، فصعدوا الى السور الى ان ورد ابو عبيدة ، فناداهم رجل من الروم : يا معشر المسلمين ، كفوا عن القتال حتى نسألكم !

فأمسك المسلمون عنهم فناداهم بلسان عربى : اعلموا ان الرجل الذى يفتح بلدتنا هذه صفته عندنا ، فان كانت فى اميركم لم نقاتلكم ، بل نسلم اليكم ، وان لم تكن هذه صفته فلا نسلم اليكم ابدا •

فأعلم المسلمون أبا عبيدة بذلك ، فخرج ابو عبيدة اليهم الى أن حاذاهم ، فنظر اليه البطرک مليا ، ثم قال : ليس هو الرجل ، فابشروا بوقاتلوا عن دينكم وحریمكم •

وكان نزول المسلمين على بيت المقدس فى فصل الشتاء والبرد ،

فأقاموا اربعة اشهر فى أشد قتال •

فلما نظر اهل بيت المقدس الى شدة الحصار ورأوا ما حل بهم من المسلمين ، وقفوا بين يدى البطرك ، وقالوا : قد عظم الامر ، ونريد منك أن تشرف على القوم وتسال ما الذى يريدون ؟ فان كان امرا صعبا فتحنا الابواب ، وخرجنا اليهم ، فاما ان نقتل عن آخرنا او نهزمهم عنا •

فاجابهم البطرك الى ذلك ، وصعد فى السور ، واجتمع القيسيون والرهبان حوله ، ونادى رجل : يا معشر الفرسان ، عمدة دين النصرانية قد اقبل يخاطبكم ، فليدن منا أميركم •

فقام ابو عبيدة يمشى ، ومعه جماعة من اصحاب رسول الله فلما وقف بازائهم قال : ما الذى تريدون ؟ قال البطرك : انكم لو اقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا الى فتح بلدتنا ، وانما يفتحها رجل ليس معكم •

قال : ابو عبيدة ، وما صفة من يفتح بلدكم ؟ قال : لا نخبركم بصفته ولكن قرأنا ان هذا البلد يفتحه صاحب لمحمد يعرف بالفاروق لا تأخذه فى الله لومة لائم ، ولسنا نرى صفته فيكم •

فلما سمع ابو عبيدة كلام البطرك تبسم وقال : فتحنا البلد ورب الكعبة ! ثم اقبل البطرك وقال : ان رأيت الرجل تعرفه ؟ قال نعم ! وكيف لا اعرفه ؟

قال ابو عبيدة : هو والله خليفتنا وصاحب نبينا ! قال : فاذا كان الامر على ما ذكرت فاحقن الدماء ، وابعث الى صاحبك ، فاذا رأيناه وتبيننا نعمته فتحنا له البلد ، واعطيناه الجزية •

فانصرف ابو عبيدة وامر الناس بالكف عن القتال • وكتب الى عمر يعلمه الخبر ، فلما وصل اليه الكتاب قرأه على المسلمين ، وقال : ما ترون - رحمكم الله - فيما كتب لنا ابن الامة ، فكان اول من تكلم عثمان بن

عفان ، فقال : يا أمير المؤمنين ان الله قد اذل الروم ، فان انت اقمتم ولم
تسر علموا انك بأمرهم مستخف فلا يلبثون الا يسيرا ♦

فلما سمع عمر ذلك من عثمان جزاه خيرا ، وقال : هل عند احد
منكم رأى غير هذا ؟ فقال عليّ بن ابي طالب : نعم ! عندي غير هذا الرأى
يوانا ابيده اليك ♦ فقال له عمر : وما هو يا أبا الحسن ؟ قال . ان القوم قد
سألوك ، وفي سؤالهم ذلّ ، وهو على المسلمين فتح ، وقد اصابهم جهد
عظيم ، من البرد والقتال ، وطول المقام ، وان سرت اليهم فتح الله على
يديك هذه المدينة ، وكان فى مسيرك الاجر العظيم ولست آمن منهم اذا
يسوا منكم أن يأتيهم المدد من طاغيتهم فيحصل للمسلمين بذلك الضرر
فالرأى أن تسير اليهم ♦

فقال عمر : لقد احسن عثمان النظر فى المكيدة للعدو ، واحسن
عليّ النظر للمسلمين جزاهما الله خيرا ♦ ولست آخذ إلا فى مشورة عليّ ،
فما عرفناه الا عمود المشورة ميمون الطلعة ♦

ثم ان عمر أمر الناس ان يأخذوا الابهة للمسير معه ، واستخلف على
المدينة عليّ بن ابي طالب ، وخرج على بعير له احمر عليه غزارتان فى
احدهما سويق وفى الاخرى تمر وبين يديه قربة ماء وخلفه جفنة
للزاد ♦

وسار الى ان اقبل على بيت المقدس ، فتلقيه ابو عبيدة ، فلما رآه
اناخ قلوصله ، واناخ عمر بعيره ، وترجلا ، ومد ابو عبيدة يده وصافح
عمر ، واقبل المسلمون يسلمون على عمر ، ثم ركبوا جميعا الى أن نزلوا ♦
فصلى عمر صلاة الفجر ، ثم خطبهم ، فلما فرغ من خطبته جلس وابو
عبيدة يحدثه بما لقي من الروم الى ان حضرت صلاة الظهر ! فاذن بلال
فى ذلك اليوم ، فلما قال الله اكبر خشعت جوارحهم واقشعرت ابدانهم ،

وحينما قال : اشهد ان لا إله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله • بكى الناس بكاءً شديداً عند ذكر الله وذكر رسوله ، فلما فرغ من الاذان صلى عمر ، وجلس ، ثم امر القوم بالركوب •

وركب هو - وكانت عليه مرقعة من الصوف - فقال المسلمون : يا أمير المؤمنين لو ركبت غير بعيرك هذا جوادا ، ولبست ثيابا لكان ذلك اعظم لهيبتك فى قلوب اعدائك ! واقبلوا يسألونه ، ويتلطفون له الى ان أجابهم الى ذلك ، ونزع مرقعته ، ولبس ثيابا بيضاء ، وطرح على كتفيه مندبلا من الكتان دفعه اليه ابو عبيده ، وقدم له برذونا اشهب من براذين الروم •

فلما صار عمر فوقه جعل البرذون يهجلح به ، فلما نظر الى ذلك نزل مسرعا وقال : اقبلونى اقال الله عثراتكم يوم القيامة ، لقد كاد أميركم يهلك مما داخله من الكبر •

ثم انه نزع ثيابه وعاد الى لبس مرفعته ، وركوب بعيره ، فعلت ضجة المسلمين ، فقال البطرك لقومه : انظروا ما شأن المسلمين •

فأشرف رجل منهم ، فقال : يا معشر العرب ! ما شأنكم ؟ قالوا : ان عمر ابن الخطاب قد قدم الينا ، فرجع هذا واعلم البطرك ، فاطرق ولم يتكلم •

فلما كان الغد صلى عمر بالمسلمين ، ثم قال لابي عبيدة ، تقدم الى القوم واعلمهم انى قد أتيت •

فخرج ابو عبيدة وصاح بهم : ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب قد أتى ، فما تصنعون ؟ قال البطرك : قل له يدنو منى ، فاننا نعرفه بصفاته ونعته ، وافردوه من بينكم حتى نراه •

فرجع ابو عبيدة الى عمر ، فاخبره بما قال : فهمّ عمر بالقيام ،

فقال له بعض اصحابه : يخشى عليك من الافراد بلا عدة •

فقال عمر : لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ، هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون • ثم لبس مرقعته وركب بعيره ، وأبو عبيدة سائر بين يديه الى ان أتى بازاء البترك قريبا من الحصن •

فقال ابو عبيدة : هذا أمير المؤمنين ! فأخرج البترك عنقه ونظر اليه فزرع وقال : هذا والله الذي صفته بكتبتنا •

ثم قال : يا أهل بيت مقدس ، انزلوا اليه ، وخذوا منه الامان والذمة ، فهذا والله صاحب محمد • فنزلوا مسرعين ، وكانت انفسهم قد ضاقت من شدة الحصار ، وفتحوا الباب وخرجوا الى عمر يسألونه العهد . فلما رأهم عمر على تلك الحالة خر لله ساجدا على قتب بعيره ، ثم اقبل عليهم وقال : ارجعوا الى بلدكم ولكم العهد •

فرجع القوم الى البلد ، ولم يغلقوا الابواب ، ورجع عمر •

فلما كان الغد دخل عمر القدس ، وخط بها محرابا وأقر اهلها على عهدهم واداء الجزية فيهم ، وادركته صلاة العصر فصلّاها خارج الكنيسة لئلا يتخذها المسلمون مسجدا واختط المسجد الحالى مكان صلّاته •

٩ - عند ملك الصين :

وغل قتيبة بن مسلم الباهلى فى بلاد الشرق حتى قرب من الصين ! فكتب اليه ملك الصين : أن ابعث لينا رجلا من الشرق ممن معكم يخبرنا عنكم ونسأله عن دينكم • فانتخب قتيبة من عسكره اثنى عشر رجلا ، لهم جمال واجسام والسن وشعور ، وبأس عظيم ، فكلّمهم قتيبة وفاطنهم فرأى عقولا وجمالا ، فأمر لهم بعدة حسنة من السلاح والمتاع الجيد من الوشى والرقيق والبغال وغيره ، وحملهم على خيول مطهّمة تقاد معهم ودواب يركبونها •

وكان هيرة الكلابي مفوها ، فقال له : يا هيرة ، كيف أنت صانع ؟
قال : اصلح الله الامير ! قل ما شئت اقله وَاخذ به ، قال : سيروا على بركة
الله وبالله التوفيق ، لا تضعوا العمائم عنكم حتى تقدموا البلاد ، فاذا دخلتم
عليه فاعلموه اني قد حلفت ألا انصرف حتى أظأ بلادهم ، واجبي
• خراجهم •

فساروا وعليهم هيرة الكلابي ، فلما قدموا أرسل اليهم ملك الصين
يدعوهم ، فدخلوا الحمام ثم خرجوا فلبسوا ثيابا بيضا تحتها الغلائل ،
ولبسوا النعال والاردية ، ودخلوا عليه ، وعندة عظمة اهل مملكته
فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا أحد من جلسائه فنهضوا وانصرفوا •
فقال الملك لمن حضره : كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا : رأينا قوما ما هم
الا نساء ، ما بقى أحد منا حتى رأهم الا وجد رائحتهم •

فلما كان الغد أرسل اليهم ، فلبسوا الوشي وعمائم الخز والمطارف ،
وغدوا عليه فلما دخلوا عليه قيل لهم : ارجعوا ، فرجعوا ، فقال لاصحابه :
كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ قالوا : هذه الهيئة أشبه بهيئة الرجال من تلك
الاولى وهم اولئك •

فلما كان اليوم الثالث أرسل اليهم فشدوا عليهم سلاحهم ، ولبسوا
البيض والمغافر وتقلدوا السيوف ، وأخذوا الرماح ، وتكبوا القسي ،
وركبوا خيولهم وغدوا فنظر اليهم صاحب الصيني فرأى أمثال الجبال
مقبلة ، فلما دنوا ركزوا رماحهم ، ثم أقبلوا نحوهم مشمرين ، فقيل لهم
قبل أن يدخلوا : ارجعوا ، لما دخل قلوبهم من خوفهم •

فانصرفوا فركبوا خيولهم ، وحملوا رماحهم ، ثم دفعوا خيولهم
كأنهم يتطاردون بها ، فقال الملك لاصحابه : كيف ترونهم ؟ قالوا :
ما رأينا مثل هؤلاء قط •

فلما أرسل اليهم الملك أن ابعثوا الى زعيمكم وأفضلكم ، فبعثوا
اليه هبيرة • فقال له : حين دخل عليه : قد رأيتم عظيم ملكي ، وانسه
ليس أحد يمكنكم مني ، وأنتم في بلادى ، وانما أتم بمنزلة البيضة في
كفي ، وأنا سائلك عن أمر فان لم تصدقني قتلتمكم ، قال : سل ، قال : لما
صنعتم ما صنعتم من الزرى في اليوم الاول والثانى والثالث ؟ قال : أما
زيننا الاول فلبسنا عند أهالينا وريحنا عندهم ، وأما يومنا الثانى ، فلبسه
اذا أتينا امراءنا ، وأما زيننا فى اليوم الثالث ، فزيننا لعدونا ، فاذا هاجنا
هيج وفرع كنا هكذا ، قال : ما أحسن ما صنعتم ، فانصرفوا الى صاحبكم
فقولوا له : ينصرف فاني قد عرفت حرصه وقلة أصحابه ، والا بعثت
عليكم من يهلككم ويهلكه •

قال له : كيف يكون قليل الاصحاب من أول خيله فى بلادك
وآخرها فى منابت الزيتون ؟ وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا
عليها وغزاك ؟ وأما تخويفك ايانا بالقتل فاننا لنا آجالا اذا حضرت فأكرمها
القتل • فلسنا نكرهه ولا نخافه •

قال : فما الذى يرضى صاحبك ؟ قال : انه قد حلف الا ينصرف
حتى يطاء أرضكم ويعطى الجزية ، قال : فاننا نخرجه من يمينه فنبعث اليه
بتراب من تراب أرضنا فيطأوه ، ونبعث اليه بجزية يرضاها ، ثم دعنا
بصحاف من ذهب فيها تراب وبعث بحريير وذهب ، ثم جزاهم فأحسن
جوائزهم ، فساروا فقدموا بما بعث به ، فقبل قتيبة الجزية ووطىء
التراب •

١٠ - واعتصماه - فتح عموريا - :

وقف رجل على المعتصم بن الرشيد فقال : يا أمير المؤمنين ، كنت
بعمورية وجارية من أحسن النساء سيرة ، قد لطمها علج فى وجهها ،

فنادت : وامعتصماه ! فقال لها العليح : وما يقدر عليه المعتصم ؟ يجيبىء
على أبلق وينصرك ! وزاد فى ضربها ♦

فقال المعتصم : وفى أى جهة عمورية ؟ فأشار الرجل الى جهتها
قائلا : ها هى ذى فرد المعتصم وجهه اليها ، وقال : ليك ، ليك ، ليك أيتها
الجارية ليك هذا المعتصم بالله أجابك ♦ ثم تجهز اليها فى اثنى عشر الف
فرس أبلق ، وحاصرها ♦

ولما طال مقامه عليها جمع المنجمين فقالوا له : انا نرى انك لا تفتحها
الا فى زمان نضج فيه العنب والتين ، فشق عليه ذلك واغتم ، وخرج ليلة
مع بعض حشمه متجسسا فى العسكر يسمع ما يقول الناس فمر بخيمة
حداد يضرب نعال الخيل ، وبين يديه غلام أقرع قبيح الصورة ، وهو
يضرب على السندان ويقول : فى رأس المعتصم ! فقال له معلمه ، اتركنا
من هذا ، مالك وللمعتصم ؟ فقال : ما عنده تدبير ، له كذا وكذا يوما على
هذه المدينة مع قوته ولا يفتحها ، لو أعطانى الامر ما بات غدا الا فيها ♦

فتعجب المعتصم مما سمع ، وترك بعض رجاله موكلا به ، وانصرف
الى خبائه ، فلما أصبح جاؤه به ، فقال : ما حملك يا هذا على ما بلغنى
عنك ؟ فقال الرجل ؟ الذى بلغك حق ، ولو وليتنى الحرب فانى أرجو
أن يفتح الله عليك ، فقال : قد وليتك وخلع عليه وقدمه على الحرب ،
ففتح الله عليه ، ودخل المعتصم المدينة ولم يثبت قول المنجمين ♦

ثم دعا بالرجل الذى بلغه حديث الجارية : فقال له : سر بى الى
الموضع الذى رأيتها فيه ، فسار به ، وأخرجها من موضعها ، وقال لها :
يا جارية : هل أجابك المعتصم ؟ ثم ملكها العليح الذى لطمها ، والسيد
الذى كان يملكها وجميع ماله ♦

أخلاق العرب وأحلامهم

قدمنا لك أيها القارئ الكريم في الفصول السابقة نماذج من صفات العرب وميزاتهم على أقرانهم من أمم الأرض ونحن ندرج لك فيما يلي نماذج من تلك الأخلاق •

١ - العرب أعقل الأمم :

قال شبيب بن شيبه أحد بلغاء العرب وجليس الملوك كنا وقوفا في المربرد - وهو محل في البصرة تعرض فيه الأبل للبيع - وكان المربرد مآلف الإشراف إذ أقبل ابن المقفع ، وبدأناه بالسلام فرد علينا السلام ثم قال : لو ملتكم إلى دار نيروز وظلها الظليل ، وسورها المديد ، ونسيمها العجيب ، فعودتم أبدانكم تمهيد الأرض ، وأرحتم دوابكم من جهد الثقل ، فإن الذي تطلبونه لم تفلتوه ، ومهما قضى الله لكم من شيء تناولوه •

فقبلنا وملنا ، ولما استقر بنا المكان قال لنا : أي الأمم أعقل ؟ فنظر بعضنا إلى بعض ، فقلنا : لعله أراد أصله من فارس ، فقلنا ، فارس ، فقال : ليسوا بذلك انهم ملكوا كثيرا من الأرض ، ووجدوا عظيما من الملك ، وغلبوا على كثير من الخلق ، ولبث فيهم عقد الأمر ، فما استنبطوا شيئا بعقولهم ، ولا ابتدعوا باقى حكم فى نفوسهم •••

قلنا : فالروم ، قال : أصحاب صنعة • قلنا : فالصين ، قال : أصحاب طرفة • قلنا فالهند ، قال : أصحاب فلسفة ، قلنا : فالسودان قال : شر خلق الله ، قلنا : فالترك ، قال : كلاب مختلصة ، قلنا : فالخزر ، قال : بقر سائمة ، قلنا : فقل ، قال : العرب • فضحكنا جميعا ، فقال : أما أنى ما أردت موافقتكم ، ولكن إذا فاتنى حظى من النسب ، فلا يفوتنى حظى من المعرفة ، ان العرب حكمت على غير مثال لها ، ولا أثار أثرت ، أصحاب

ابل وغنم ، وسكان شعر وادم ، وجود أحدهم بقوته ، ويتفضل بمجهوده ،
 ويشارك في ميسوره ومعسوره ، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ،
 ويفعله فيصير حجة ، ويحسن ما شاء فيحسن ، ويقبح ما شاء فيقبح ،
 أدبتهم أنفسهم ، ورفعتهم هممهم وأعلتهم قلوبهم وألستهم ، فلم يزل
 حياء الله فيهم ، وحبأؤهم في أنفسهم ، حتى رفع لهم الفخر ، وبلغ بهم
 أشرف الذكر ، وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر ، وافتح دينه وخلافته
 بهم الى الحشر ، وفيهم قال سبحانه وتعالى : (ان الارض لله يورثها من
 يشاء من عباده والعاque للمتقين) ♦

فمن وضع حقهم خسر ، ومن أنكر فضلهم خصم - غلب بالحجة -
 ودفع الحق باللسان أكبت للجان ، والله المستعان ومنه نستلهم الهدى الى ما فيه
 صلاح ديننا ودنيانا ♦

٢ - بنت حاتم طى :

قال علي بن أبي طالب - عليه السلام - يا سبحان الله ! ما أزهد
 كثيرا من الناس في الخير ! عجبت لرجل يجيئه أخوه في حاجة فلا
 يرى نفسه للخير أهلا ! فلو كنا لا نرجو جنة ولا نخاف نارا ، ولا نخشى
 عقابا لكان ينبغي لنا أن نطلب « مكارم الاخلاق » فانها تدل على سبيل
 النجاة ♦

فقام اليه رجل فقال : فداك أبى وامى يا أمير المؤمنين ! اسمعته من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، وما هو خير منه ، لما أتينا
 بسبايا طى ، كانت فى النساء جارية حماء - سوداء - حوراء العينين ،
 لعساء - سوداء مشربة بالحمرة - لمياء - سحرة فى الانف - عطاء -
 طويلة العنق - شماء الانف معتدلة القامة ♦

فلما رأيتها اعجبت بها ، فقلت : لاطلبنها الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ليجعلها من فيئتي ، فلما تكلمت انسيبت جمالها لما سمعت من فصاحتها ، قالت : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فان رأيت أن تخلي عني ، فلا تشمت بي أحياء العرب ، فاني بنت سيد قومي ، كان أبي يفك العاني ، ويحمي الذمار ، ويقري الضيف ، ويشبع الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا بنت حاتم طي ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ! يا جارية ، هذه صفات المؤمن ، ولو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ، خلوا عنها ، فان أباهما كان يحب مكارم الاخلاق .

٣ - العطف والتراحم :-

كانت الخيزران أم الهادي والرشيد في دارها وعندها امهات أولاد الخلفاء وغيرهم من بنات بني هاشم ، فبينما هي كذلك اذ دخلت عليها جارية ، فقالت : أعز الله السيدة ، بالباب امرأة ذات حسب وجمال في أطمار رثة ، وليس وراء ما هي عليه من سوء الحال غاية ، تأبى أن تخبر باسمها وهي تروم الدخول .

فقالت الخيزران للجارية : أدخلها ، فانه لا بد من فائدة أو ثواب فدخلت امرأة ذات حسن وجمال في أطمار رثة ، فوفقت بجنب عضادة الباب ، ثم سلمت فتكلمت فأوضحت عن بيان ولسان ، فقالوا لها : من أنت ؟

فقالت : أنا مزنة زوج مروان بن محمد ، وقد أضرني الدهر الى ما ترين ، ووالله ما الاطمار الرثة التي عليّ الا عارية ، وانكم لما غلبتمونا على هذا الامر ، وصار لكم دوننا لم نأمن من مخالطة العامة - ما نحن فيه من الضرر - على بادرة الينا تزيل موضع الشرف فقصدناكم لتكون في حجابكم على أية حال كانت ، حتى تأتي دعوة من له الدعوة .

فلما سمعت الخيزران قولها ، اغرورقت عيناها بالدموع لان عاطفة
القربى قد المهبت قلبها بالعطف والحنو فراحت عيناها تدرف الدمع سخيا
غزيرا وأشارت الى جارية من جواريتها ، فعدلت بها الى بعض مقاصير
القصر وأمرت بتغيير حالها والاحسان اليها •

فلما دخل المهدي على الخيزران قصت عليه قصة مزنة وما أمرت
به من تغيير حالها ، فدعا المهدي بالجارية التي أصلحت حالها وسألها فقال:
لما رددتها الى المقصورة ما الذى سمعتها تقوله ؟ قالت : سمعتها تقرأ وهى
تبكى « ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل
مكان ، فكفرت بانعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا
يصنعون » • فقال المهدي للخيزران : والله لو لم تفعل بها ما فعلت ،
ما كلمتك أبدا • وبكى بكاء كثيرا وقال : اللهم انى أعوذ بك من زوال
النعمة •

ثم بعث جارية الى مقصورتها التي اعدت لها ، وقال للجارية :
اقرئها منى السلام وقولى لها ، يا بنت العم ، ان اخواتك قد اجتمعن
عندى ، ولولا انى ابن عمك لجئناك •

فلما سمعت الرسالة علمت مراد المهدي فجاءت تسحب اذيالها ،
فأمرها بالجلوس ورحب بها ورفع منزلتها ، ثم تذاكروا أخبار أسلافهم
وايام الناس والدولة وتنقلها فما تركت لاحد فى المجلس كلاما •

ثم أخدمها وأجازها ، فأقامت فى قصره معززة مكرمة الى أن قضى
المهدي والهادى وشطرا من أيام الرشيد ، وماتت فى خلافته وجزع عليها
جزعا شديدا • هذا هو عطفنا وحنونا على أبناء جلدتنا وتراحمنا عند
الملمات •

٤ - آية أخلاق كانت للعرب في الجاهلية : -

رافق أبو بكر وعلي بن أبي طالب ، رسول الله صلى الله عليه وسلم في سيره ، ثم انتهوا جميعا الى مجلس عليه السكينة والوقار ، واذا مشايخ لهم أقدار وهيئات • فتقدم أبو بكر - وكان مقدما في كل خير - فسلم وقال : ممن القوم ؟ قالوا : من شيان ابن ثعلبة ، فالتفت أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال ، بأبي أنت وقومي ! ليس بعد هؤلاء من يميز في قومهم ، وهؤلاء غرر فيهم ، وكان فيهم مفروق بن عمرو ، وهانيء بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك ، وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا ، وكانت له غدירתان تسقطان على صدره فكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر ، فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال له : انا لنزيد على ألف ، ولن تغلب الف من قلة ، فقال له : كيف المنعة فيكم ؟ فقال : علينا الجهد ولكل قوم جد • فقال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال : انا أشد مانكون لقاء حين نغضب ، وانا لنؤثر الجياد على الاولاد ، والسلاح على اللقاح ، والنصر من عند الله : يدلنا مرة ويديل علينا مرة ، لعلك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر : ان كان بلغكم انه رسول الله فهذا هو •

فقال مفروق : قد بلغنا انه يذكر ذلك ، ثم التفت الى رسول الله فجلس ، وقام أبو بكر يظله بثوبه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أدعوكم الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واني رسول الله ، وأن تؤوونى وتنصرونى ، حتى أؤدى عن الله الذى أمرنى به ، فان قريشا قد تظاهرت على أمر الله ، وكذبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغنى الحميد » •

قال مفروق : وإلام تدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « قل تعالوا نتل ما حرم ربكم عليكم ألا

تشرکوا به شیئا وبالوالدین احسانا ولا تقتلوا اولادکم من اطلاق ، نحن نرزقکم وایاهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ذلکم وصاکم به لعلکم تعقلون ، ولا تقربوا مال الیتیم الا بالتي هي أحسن حتی يبلغ أشده ، وأفوا الکیل والمیزان بالقسط لا تکلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فأعدلوا ولو کان ذا قربی وبعهد الله أفوا ، ذلک وصاکم به لعلکم تذكرون ، وان هذا صراطی مستقیما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بکل عن سبيله ، ذلکم وصاکم به لعلکم تتقون » ♦

فقال مفروق : وإلامَ تدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وایتاء ذی القربی وينهى عن الفحشاء والمنکر والبغی يعظکم لعلکم تذكرون » ♦

فقال مفروق : دعوت والله يا أخا قريش الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك - وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانيء بن قبيصة - فقال : وهذا هانيء بن قبيصة شيخنا ♦

فقال هانيء : قد سمعت مقاتلك يا أخا قريش ، وصدقت قولك ، واني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا دينك لمجلس جلسته لينا ليس له أول ولا آخر ، ذلة في الرأي وطيشة في العقل ، وقلة نظر في العاقبة ، وانما تكون الزلة مع العجلة ، وأن ليس ورائنا قوما نكره أن نعقد عليهم عقدا ، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر - وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثني بن حارثة - فقال : وهذا المثني شيخنا وصاحب حربنا ♦

فقال المثني : قد سمعت مقاتلك ، واستحسنت قولك يا أخا قريش ، وأعجبني ما تكلمت به ، والجواب هو جواب هانيء فانا انما نزلنا الصريبين

اليمامة والسمانة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما هذان الصربان ؟ فقال له : أما احدهما فطفوف البر وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى ، وانما أنزلنا على عهد أخذه علينا كسرى الا نحدث حدثا ، ولا نؤوى محدثا ، ولعل هذا الامر الذى تدعوننا اليه مما تكرهه الملوك ، فاما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور ، وعذره مقبول ، وأما ما كان مما يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول ♦ فان أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلي العرب فعلنا ♦ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ما أسأتم الرد اذ أفحصتم بالصدق ، انه لا يقوم بدين الله الا من حاطه من جميع جوانبه ♦

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيتم ان لم تلبثوا الا يسيرا حتى يمتعكم الله بلادهم وأموالهم أتسبحون الله وتقصدونه ؟ » ♦ فقال له النعمان بن شريك : اللهم وان ذلك لك يا أخا قريش ! فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » ♦ ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم قابضا على يد أبى بكر ، والتفت الى علي ، وقال : يا على أية أخلاق للعرب كانت فى الجاهلية ! ما أشرفها ! بها يتحاجزون فى الحياة الدنيا !

الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
ومن فات	ومن مات فات	٥	١٥
وفي وذلك	وفي ذلك	٦	٨
يسبيك	ما يسبيك	٩	١٥
جذب	جذب	١٠	٦
بشعدها	بعدها	١٧	١٢
الحين	الحي	٢٣	٢١
العوادلى	العوالى	٢٤	٢٠
اذ	اذا	٤٩	١٢
قصدت	قصدت	٥٩	٢
بابن	يابن	١٠١	١٠
ورثت	ورثك	١٠٣	١٣
السان	الشنان	١٠٣	١٣
الطام	الطعام	١٠٦	١٤
بابن حازم	بأبى حازم	١٠٦	١٨
وهل أجد	وهل دخل أحد	١١٦	٢١
ببقعة	ببقعة	١٢٣	١٢
فأخذها	مأخذها	١٢٤	١٤
آخرها بعبير	آخر بعير	١٢٧	١
يلغ	يلغ	١٣٤	٢١
لعرضهن	لعرضهن	١٧١	٣
التق	الحق	١٧١	١١

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
وشهوا	وشهودا	١٧١	٢٢
السؤال	السؤال	١٧٣	٢١
منهم	لهم	١٧٤	٠١
الكلاك	الكلال	٢٢٠	١١
اذ داك	اذ ذاك	٢٢٦	٠٥
لعادتي	لعادني	٢٣٢	١٣
قتلنا	قتلنا	٢٣٢	٢١
ولا أأرفق	ولا ارفق	٢٤١	٢٣
أن جارية	ان جارية	٢٤٤	٠١
أم ضعف	ام من ضعف	٢٤٤	٥
اذ ذلك	اذ ذاك	٢٥٨	١٣
بين	بني	٢٦٠	٢٠
دابتهما	دابتيهما	٢٦٢	٢١
الكاتب	الكتاب	٢٦٧	٢٣
مرفعه	مرفعته	٢٧١	١٣
خامسا	رابعا	٩٢	١

الفهرست

الموضوع	الصفحة
الباب الاول - صفات العرب	
(١) الوفاء عند العرب	٩
قوس حاجب بن زراره	٩
قصة السموأل بن عاديا	١٠
مع النعمان بن المنذر	١١
قصة سفانة بنت حاتم طي مع رسول الله (ص)	١٣
قصة عباس بن مرداس مع سجان عبيدالله بن زياد	١٤
قصة العجوز مع الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر رضي الله عنهم	١٥
قصة يزيد بن المهلب	١٦
نعمة عدوك قلادة في عنقي	١٧
لقد أمكنك الله من الوفاء	١٨
محمد بن صالح وحمدونة بنت موسى	٢١
وفاء دلفاء لزوجها	٢٣
قصة أبي حاضرة داعية عيسى بن زيد	٢٥
قصة الحرة المنبوعة	٢٦
قصة عمارة	٢٨
(٢) حفظ العهد والجوار	٣٢
أجاره من الموت	٣٢
أغائه	٣٣
زفر بن الحارث يجير خالد بن عتاب	٣٥

الموضوع	الصفحة
حدثني عن أغرب ما مر بك	٣٦
هذا بغية أمير المؤمنين	٣٨
أبو حنيفة يرعى الجوار	٣٩
الحجاج يعفو عن أسير	٤٠
حاتم الطائي وسعد بن حارثة	٤١
تستجير بقبر أبيه	٤٣
الكرم والايثار (٣)	٤٣
ايثار بن ماجة الايادي	٤٤
من كرم حاتم	٤٤
حاتم ومعاوية	٤٥
جود عثمان بن عفان رضى الله عنه	٤٦
ليد والوليد بن عقبة	٤٧
كرم معاوية بن أبي سفيان	٤٨
أسخى من البحر اذا زخر	٤٩
يجود على مقدار نفسه	٥٠
من حيل الكرماء	٥١
يد عند عبد الله بن عباس	٥٢
اختيار الاجواد	٥٢
ان هذا لاسخى منى	٥٣
عمارة وعبد الملك بن مروان	٥٤
احتكموا وأكثروا	٥٥
أنت أخو الندى وحليفه	٥٦
معن بن زائدة	٥٧

الموضوع	الصفحة
ما ولدت العرب أكرم منك	٥٩
الاصمعي يطلب القرى	٦٠
ولقد أبيت على الطوى	٦١
غسان بن عياد وعلى بن عيسى	٦٣
لقد كان ذلك الرجل شؤما	٦٥
قل للكرام ببابنا يلجوا	٦٦
حاتم يقرى الضيف بعد موته	٦٧
عقيد المجد والجود	٦٨
(٤) العفو عند المقدرة	٦٨
مكرمة	٦٨
ارحموا عزيزا ذل	٧١
معاوية يعفو	٧٢
هذا بغية أمير المؤمنين	٧٤
أموى عند الرشيد	٧٦
أفضل الاصحاب	٧٩
ابراهيم بن المهدي والمأمون	٨٠
المأمون يعفو عن الحسين بن الضحاك	٨٥
ان قريشا حدثت انك من أحلمها	٨٦
مثلك من قدر فعفا	٨٩
(٥) الصراحة والجرأة الادبية	٩٢
واعظ الرشيد	٩٢
سودة بنت عمارة عند معاوية	٩٥

الموضوع	الصفحة
نبهكم على	٩٧
وهل أحل عندك محل علي ؟	٩٨
نبحتنى كلابك	٩٩
أروى بنت الحارث	١٠٠
ام سنان تشكو مروان	١٠٢
سليمان بن عبد الملك وأبو حازم	١٠٤
المنصور وابن طاووس	١٠٧
أوارث أنت بنى امية ؟	١٠٨
أنا بالله ثم بالقاضى	١٠٩
قاضى لا يقبل شهادة خليفة	١١١
قد كان يسؤنى أن تكون أميرا	١١٣
لولا ما جعل الله لنا فى يدك ما أتيناك	١١٤
واعظ أبى جعفر المنصور	١١٦
الشجاعة (٦)	١١٩
قوة وبطش	١١٩
لا تعرضوا لهذا الشيطان	١٢٠
هلال يصارع عبدا جيارا	١٢١
مصرع الزباء	١٢٣
شجاعة صفية بنت عبدالمطلب	١٢٧
شجاعة أسماء بنت أبى بكر	١٢٧
أجبن الناس وأحيل الناس وأشجع الناس	١٢٩
عند الموت	١٣٤

الموضوع	الصفحة
الذكاء والفتنة (٧)	١٣٨
وافق شن طبقة	١٣٨
لن يبرح العبدان حتى يقتلا	١٣٩
النذير	١٤٠
حديث عن امرئ القيس	١٤١
أنا أعلم بقريش من قريش	١٤٣
الاحنف يفحم معاوية	١٤٤
ذكاء ابن عباس	١٤٥
دهاء عمارة بن تميم اللخمي	١٤٥
دهاء عمرو بن العاص	١٤٧
عمرو بن العاص وأحد كفار العجم	١٥٠
الزهد في العيش والترفع عن الدنيا (٨)	١٥٠
أعطيك مالى اذا شئت	١٥١
الشمعة والسراج	١٥١
عفة الشريف الرضى	١٥٢
أمين	١٥٤
لا يقبل على اصطناع المعروف مكافأة	١٥٦
لا تذهبن بنفسك عن الحق	١٥٨
خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء	١٥٩
الشعراء عند عمر بن عبدالعزيز	١٦٢
فى وفاة عمر بن عبدالعزيز	١٦٥
جئتك من عند أزهد الناس	١٦٦
الولد سر أبيه	١٦٧

الموضوع	الصفحة
لا أسألكم عليه أجرا	١٦٨
عمر بن عبدالعزيز يحمل الناس على الحق	١٧٠
نزاهة عاقبة بن يزيد القاضي	١٧١
الزهد فى العيش	١٧٢
الامثلة عند العرب (٩)	١٧٣
الحديث ذو شجون	١٧٣
جوع كلبك يتبعك	١٧٣
تأبط شرا وابن براق	١٧٤
شب عمرو عن الطوق	١٧٥
كل امرئ يأكل زاده	١٧٧
ما معى الا قفاى	١٧٧
قسم فأحسن القسمة	١٨٠
تعدو الذئاب على من لا كلاب له	١٨١
اكلت يوم اكل الثور الابيض	١٨٢
حكومة الضب	١٨٣
اعلمك ثلاث خصال	١٨٣
مجير ام عامر	١٨٤
كيف اعاودك وهذا اثر فأسك ؟	١٨٤
حكيم	١٨٥
أترى الله يعطيك وينسانى ؟	١٨٦
ذهب الحمار بأم عمرو	١٨٦
حذاء أبى القاسم	١٨٨

الموضوع	الصفحة
(١٠) الالباء والشمم	١٩٠
أبى الذل	١٩٠
بمن استجير من جورك	١٩٢
تنصرت الاشراف من عار لطفة	١٩٢
(١١) الدهاء والسياسة	٢٠١
الحجاج والغضبان بن القبعثرى	٢٠١
حديث السقيفة	٢٠٦
(١٢) العدل والمساواة أمام القانون	١١٧
متى تعبدتم الناس يا عمرو؟	٢١٧
أحب الولاية الى عمر بن الخطاب	١١٨
عمر يتفقد رعيته	٢١٩
عمر يخاطب نفسه	٢٢٠
عمال عمر بن عبدالعزيز	٢٢١
قاضي ينصح خليفة بالعدل	٢٢١
بنو امية وعمر بن عبدالعزيز	٢٢٢
اقطعك أربعا	٢٢٤
المنصور فى ساحة القضاء	٢٢٥
لا أفلح قاض لا يقيم الحق	٢٢٦
رجل يقاضى المأمون	٢٢٧
درع على بن أبى طالب	٢٢٨
(١٣) الفصاحة والبلاغة	
أبو الاسود الذؤلى ووزجته	٢٢٩

الموضوع	الصفحة
الفرزدق وسكينة بنت الحسين	٢٣٢
المتكلمة بالقرآن	٢٣٣
عبدالله بن عباس والحطيئة	٢٣٥
أشجع الناس شعرا	٢٣٧
ايجاز في المقال وبلاغة في البيان	٢٤٠
فصاحة نصيب العباسي	٢٤٢
أنته الخلافة منقادة	٢٤٣
لولا فصاحتهم لضربت أعناقهم	٢٤٤
(١٤) أيام العرب	
معركة ذي قار	٢٤٥
مقتل كليب وحرب البسوس	٢٥١
الهجرس بن كليب يثار لآبيه	٢٥٤
ضيغنى صغيرا وحملنى دمه كبيرا	٢٥٥
فى يوم اليرموك	٢٦٢
فى يوم القادسية	٢٦٤
فى فتح نهاوند	٢٦٥
فى فتح بيت المقدس	٢٦٧
عند ملك الصين	٢٧٢



سحر الفسوف نصف دينار

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library



32101 072240433